

ككتاب أنزلناه اليك مبارك ليديره وآياته ﴿ وقد يفتح الله على المتدبر
والمتفكر في التأويل والمعاني مالا يفتح على غيره ، وفوق كل ذي
علم علم عليم .

وفي الخازن والقرآن نور أنزله الله ليهدى به من الضلالة ؛ وينقذ
به من الجهالة ، وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه وبالخسران لمن أعرض
عنه بعد ما سمعه ، أمر فيه وزجر ، وبشر وأنذر ، وذكر المواعظ
ليتذكر ، وضرب فيه الامثال ليتدبر ، وقص فيه من اخبار الماضين
ليعتبر ، ودل فيه على آيات التوحيد ليتفكر ، ثم لم يرض منا بسر دحروفه
دون حفظ حدوده ، ولا باقامة كلماته دون العمل بحكائمه ؛ ولا بتلاوته
دون تدبر آياته في قرآئته ولا بدراسته دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه
وذكر ابن كثير في تفسيره أيضا ﴿ والذين اذا ذكروا بآيات
ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ قال مجاهد رحمه الله لم يسمعوا ولم
يبصروا ولم يفقهوا شيئا ، وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى كم من
رجل يقرؤها ويخر عليها اصم اعمى قال الشعبي رحمه الله تعالى ولا
ينبغي للمؤمن أن يكون إمعة بل يكون على بصيرة من أمره وبقين
واضح بين وقال البغوى في تفسير الآية بل يسمعون ما يذكرون به
فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه .

وقوله تعالى ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾
يعنى وقتها الاول وأما عن أدائها باركانها وآدابها وشروطها على الوجه

للأمور به ، وأما عن الخشوع والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل ذلك
ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية

وفي مجموعة التوحيد النجدية ؛ لا إله الا الله ، هي كلمة الاخلاص
المنافية للشرك ، وكلمة التقوى التي تقى قائلها من الشرك بالله ولكن
لا تنفع قائلها الا بشروط سبعة الاول العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا ، والثاني
اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشرك ، الثالث الاخلاص المنافي
لشرك الخ .

قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومي وفقه الله تعالى لما فيه
رضاه ، وقد تبين مما ذكرناه أن فهم المعاني والتفهم لها واجب ، لانه
لا يصح العمل إلا بعد العلم ، والعلم لا يحصل الا بالفهم والتفهم ، والقرآن
وان كانت تلاوته عبادة مطلوبة يتميد بها ، ولكن المقصد الاصلى منه
الفهم والعمل ، فمن يتلوه ولا يفهم معناه ولا يعمل به فهو كمثل الحمائر
يحمل أسفاراً ، أو كمثل العرض بلا ذات ، أو كمثل اللون بلا طعم ولا
رائحة طيبة ؛ أو كمثل بندقية أو مدفع بلا سهم ولا رصاص وها أنت
ذاكر مثالين يشرحان للمطلب .

ملك كبير له ممالك واسعة ، ونواب واصراء عديدة ؛ فكتب اليهم
كتاباً وأمر فيه بان يفعلوا كذا وكذا ، ويبنوا المدارس والبنائيات
الفلانية ، وينظموا العساكر والجنود على نظام كذا ، ويبنوا داراً يتام
كذا ، ويربوا الايتام فيها تربية كذا ، ويعاملوا مع الدعارين والفسدين

معاملة كذا ، فيعمروا البلاد ويؤمنوا الرعية والعباد ، وكذا وكذا .
فلما وصل الكتاب اليهم أخذوه بالتعظيم وقاموا إجلالا له
فوضعوه على رؤسهم وقبلوه وقرؤه ، ثم علقوه فوق رؤسهم ، أو في
أعناقهم وصدورهم ؛ وكلما أصبحوا فعلوا هكذا وهكذا كل يوم ،
ولكنهم لم يعملوا بما فيه الا البعض اليسير . فبعد مدة فتش الملك عن
ذلك وبعث مفتشين ، فاذا لم يفعلوا مما أمروا في فرمان الا النزر
اليسير ، فسألهم أما وصل اليكم فرمان الملكى ، فقالوا نعم وصل ، فقالوا
لم ما امتثلتم الاصر ولم تفعلوا ما أمرتم به ، فأجابوا بانهم قرأوه وعظموه
ورفعوه فوق رؤسهم واستبركوا به حتى قبلوه ووضعوه على عيونهم
كما كان يفعل من قبلهم ممن شاكلهم ، فعاد المفتش وقال لم يكن مقصود
الملك من ذلك قرائته فقط وتمظيمه صورة ، بل مقصوده العمل
بما فيه وأنتم تركتم العمل ؛ فاجابوهم بانهم لم يفهموا معناه ، أو ظنوا
انه حكاية مما مضى ؛ فبذلك خالفوا أمر مولاهم ، وصاروا سبباً لهلاك
الرعية وخراب المملكة ، فهل لا يستحق هؤلاء الامراء غضب الملك ،
والا يستحقون العزل والطرده ، وهذا لا يشك فيه عاقل ؛ ولا يتوقف
في حكمه البصير ، انهم يستحقون الغضب والعزل والطرده . فكذلك
تحزن المسلمون منذ أزمنة بعيدة تركنا التدبر في القرآن والعمل بمقتضاه ؛
لانه قد استولى على الحكم السفهاء ، وتصدى للفتوى الجهلاء ، وتصدر
للتدريس الحقهاء ، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهواءهم ،

وقد أمرنا القرآن بالاتفاق والاتحاد ونحن متخالفون ومتخالفون ،
وأمرنا بالاستبصار والاعتبار ونحن نأثمون ولاهون آناء الليل وأطراف
النهار ، وأمرنا بالاستصناع واعداد العدة والآلات ونحن تاركون
ذلك مضيعاً أوقاتنا بالخرافات ، وأمرنا بالصدق والامانة وأما نحن
فنغمسون في رذغة الكذب والخيانة ، وأمر بالعدل والانصاف ونحن
منهمكون في الظلم والاعتساف؛ وأمرنا بالعفة والصيانة ونحن متلبسون
بالزنا والفاحشة واللواط ، وهكذا غيرنا فغير الله تعالى علينا فاعتبروا
يا أولى الابصار .

المثال الثاني صندوق ما كينة غرامافون وراديوون فانهم حبسوا
الاصوات فيه فيغنى ويقراً ويؤذن ويسبح ويهلل ويتلوا القرآن بلحون
القراء المصريين ، وكذا طير البيغاء والطوطى اذا يعلمونه القرآن فيتلوه
فهل يحصل لهذا الصندوق ثواب لتلاوته القرآن أو تسبيحه وتهليله ؟
ولا شك أنه لا يحصل له شيء من الثواب ، ولما ذا مع أنه تلا القرآن
وسبح وهلل لانه لا شعور له ولا علم ولا فهم ولا يتأثر منه ، فان كان
هكذا فما الفرق بينه وبين تلاوة كثير منا ؟ فانا لا نفهم معناه ولا
نتدبر ما فيه ولا نتعظ بمواعظه ، فاذاً نحن والجماد سواء ، بل نحن أسوء
حالا منه فانا عاقلون مكلفون وبفهمه والعمل بما فيه مأمورون ، ولهذا
قال النبي ﷺ « رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه » وكذا ورد « القرآن
حجة لك أو عليك » أى اذا قرأت وفهمت وعملت فلك والآ فعليك ،

أى إذا قرأت ولكن ما فهمت أو فهمت ولكن ما سمعت^(١) والله سبحانه
المهادى الى سبيل الرشاد ، اللهم ازقنا تلاوته ، وسهل لنا فهم معانيه ،
ووقفنا للعمل بمقتضاه ، فاجعله اللهم حجة لنا واحفظنا أن يكون حجة
علينا آمين يا رب العالمين .

فصل

هل تنفع العبادات الظاهرة بلا تصحيح الاعتقاد والقلب
اعلم ان أول الضروريات الواجبة على المكلف انما هو تصحيح
العقيدة على وفق عقيدة أهل السنة والجماعة من السلف الصالحين ؛ فان
النجاة الآخروية مرهونة به ، وهم هم الفرقة الناجية ، لانهم على طريق
النبي ﷺ وأصحابه رضی الله تعالى عنهم ، والمعتبر من العلوم المستفادة من
الكتاب والسنة انما هو ما أخذ منه هؤلاء الاكابر ، فان كل مبتدع
وضال يدعى أنه أخذ عقيدته الفاسدة منها بزعمه الفاسد ، ثم بعد تصحيح
العقيدة لا بد من تعلم علم الحلال والحرام والفرض والمندوب والمكروه
وغيرها مما تكفل به علم الفقه ؛ والعمل بمقتضى هذا أيضاً ضرورى ،
فان وقع عياداً بالله تعالى خلل على مسألة من المسائل الاعتقادية الضرورية
فقد تحقق الحرمان من النجاة الآخروية ، بخلاف العمليات فانها اذا وقعت

(١) ومما يناسب هذا المقام ما فى الحيلة لاني زعيم عن كعب الاحبار رجه الله
قال ليقرأن القرآن رجال وامم أحسن صوتاً من عزاءات وحداة الابل لا ينظر الله
اليهم يوم القيامة وليصبغن أقوام بالسواد لا ينظر الله اليهم يوم القيامة انتهى
ص ٣٧٧ منه عني عنه .

المساهلة فيها يرجى العفو والتجاوز عنها ولو بلا توبة ، وان أخذ بها
ولكن النجاة متحققة في آخر الامر ، فعمدة الأمر تصحيح العقيدة
وقد نقل عن الخوارجة عبيد الله الاحرار السمرقندي رحمه الله تعالى
أنه قال : لو أعطينا الاحوال والمواجيد كلها ولم تكن حقيقتنا محلاة
ومزينة بعقائد أهل السنة والجماعة لانعتقد تلك الاحوال شيئاً غير الخذلان
ولئن اجتمع فينا القصور والنقصان الظاهرية وحقيقتنا مستقيمة على
عقائد أهل السنة والجماعة لا نرى بأساً في ذلك فثبت أن الاعتقاد مقدم
على العمل ، كما أن العلم مقدم عليه لقوله تعالى ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾
كما حققه الشيخ احمد السمرقندي في المكتوب (١٦٠-١٦٤) من مكاتوباته .

قال الجامع المعصومي والاصل في هذه المسئلة ما رواه الشيخان في
المصحيحين وأبو داود في سننه واللفظ له بسنده عن علي رضي الله عنه
أنه قال انى سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج قوم من أمتى يقرؤن
القرآن ليست قرائتكم الى قرائتهم شيئاً ولا صلاتكم الى صلاتهم شيئاً ،
ولا صيامكم الى صيامهم ، شيئاً ، يقرؤن القرآن يحسبون انه لهم وهو
عليهم ، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يرقون من الاسلام كما يرق السهم من
الرمية » وفي سنن ابن ماجه بسنده عن ابى سعيد الخدرى رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله ﷺ « أن قوما يتعبدون يحقر أحدكم صلاته مع
صلاتهم وصومه مع صومهم » الحديث وفيه دليل على أن كثرة الصلاة
والصيام والقربات لا تنفع مع العقيدة الفاسدة ، كذا حرره المحدث الفقيه

شاه عبيد الغنى الدهلوى رحمه الله تعالى .

وذكر الشيخ احمد السرهندى فى المكتوب (٢٩ — و — ٥٣)
من مكتوباته اعلم أن مدار الامر على القلب ، فان كان القلب متعلقا
ومفتونا بغير الله تعالى فذلك القلب خراب وأبتر ، ولا يحصل شىء
من مجرد الاعمال الصورية والعبادات الرسومية ، بل لا بد من كل من
سلامة القلب والاعمال الصالحة المتعلقة بالبدن التى أمر الشرع بفعلها
ودعوى سلامة القلب بدون اثبات الاعمال الصالحة باطلة ، كما أن
وجود الروح بلا بدن غير متصور فى هذه الدنيا كذلك وجود لا بدن
بدون روح باطل وكثير من الملحدین يدعون هذه الدعوى فى هذا
الزمان نجانا الله تعالى عن معتقداتهم السيئة .

وفى المكتوب (٧٣ — و — ٨٥) منه أيضا وصورة الصلاة
والاسلام لا تنفع من النجاة شيئا ، بل لا بد لحصول النجاة من تحصيل
اليقين والاعتقاد الصحيح ، وقد تقرر عند الحكماء أن المريض مادام
مريضا لا ينفعه غذاء أصلا ولو كان من أعز الاكل وأحسنه ، فلا بد
أولا من إزالة مرضه ثم الاجتهاد فى تحصيل القوة بالاغذية المناسبة
فكذلك الانسان مادام مبتلى بمرض القلب بالشرك ونحوه لا تنفعه
عبادة وطاعة أصلا . الخ . فاللازم علينا أولا تصحيح العقائد على
مقتضى الكتاب والسنة على نهج أهل السنة والجماعة ، ثم علم الاحكام
للشرعية من الفرائض والسنن والحلال والحرام ، ثم العمل بمقتضاه ،

فما لم تصح العقيدة لا ينفع العلم ولا العمل شيئاً ، وهذا هو الأساس .
قال الجامع المعصومي وفقه الله لما فيه رضاه ، ان كثيراً من الناس
مغرورون بالظاهر ، ومفتونون بالالفاظ والصور ، فلا يتدبرون المعاني
ولا يتفكرون في المقاصد والمطالب ، الا النادر ممن وفقه الله تعالى من
أولى الالباب .

ولا يخفك يا أخى هل المقصد من الجوز والوز والفسق غير
ليه ، فلا يغتر بالقشور الا الصبيان أو من يشابههم وقد ذكر العلامة
العز بن عبد السلام في اواخر كتابه (قواعد الاحكام في مصالح الانام)
مانصه أن معظم الناس خاسرون ، وأقلهم راجحون ، فمن أراد أن ينظر
في خسره وربحه فليعرض نفسه على الكتاب والسنة متفهماً ومتدبراً
فان وافقهما فهو الراجح ان صدق ظنه في موافقتهما ، وان كذب ظنه
فياحسرة عليه ، وقد أخبر الله تعالى بخسر الخاسرين وربح الراجحين ،
وأقسم بالعصر إن الانسان لفي خسر الا من اجتمع فيه أربعة أوصاف
الايان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، واجتماع
هذه الخصال في الانسان عزيز نادر في هذا الزمان الا من وفقه الله
تعالى ، فكم من جاهل يظن انه عالم ، وكم من غافل يظن انه متيقظ ،
ومن عاص يظن انه مطيع ، ومن بعيد يظن انه قريب ، ومن مخالف
يظن انه موافق ، ومن منتهك يعتقد انه متمسك ، ومن مدبر يعتقد انه مقبل ،
وآمن يعتقد انه خائف ، ومن مرء يعتقد انه مخلص ، ومن ضال يعتقد انه

مهتدى، ومن عم يعتقد انه مبصر، ومن راغب يعتقد انه زاهد ، وكم من عمل يعتمد عليه المرأى وهو وبال عليه، وكم من طاعة يستهلك بها المستمع وهي مردودة عليه، والشرع ميزان يوزن به الرجال ، وبه يتيقن الربح من الخسران ؛ فمن رجح في ميزان الشرع كان من اولياء الله ، وتختلف مراتب الرجحان ، ومن نقص في ميزان الشرع فاؤلئك اهل الخسران، وتتفاوت خفتهم في الميزان ، وأخسها مراتب المشركين والكفار ، ولا تزال المراتب تتناقص حتى تنتهى الى منزلة مرتكب اصغر الصغائر، فاذا رأيت انسا يطير في الهواء او يمشى على الماء او يخبر بالمغيبات؛ ويخلف الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب محلل ؛ او يترك الواجبات بغير سبب مجوز ، فاعلم انه شيطان نصبه الله لفتنة للجهلة واهل الضلالة ، وليس ذلك ببعيد من الاسباب التى وضعها الله للضلال ، فان الدجال يحى ويميت فتنة لاهل الضلال ، وكذلك من يأكل الحيات ويدخل فى النار ؛ فانه مرتكب للحرام بأكل الحيات ، وفاتن للناس بدخول النيران ليقتدوا به فى ضلالتة ، ويتابعوه على جهالتة . الخ . قلت وكل هذه ناشئة من عدم الفهم حقيقة الشرع والوامر الالهية ، ارعناد وتكبر وضلالة ، نسأل الله تعالى التوفيق والعصمة ؛ والحاصل ان من لم يفهم المعنى فهما صحيحا يقع فى هاوية الضلال ورددغة الخبال ، فلا ينفعه الصور والجمال ، نسأل الله تعالى ان يرزقنا فهما لمعانى كتابه ، ويوفقنا للعمل به مخلصا لله تعالى آمين

(فصل)

الفاتحة أم الكتاب وام القرآن

إنما سميت بالفاتحة لأنها اول القرآن فى هذا الترتيب ، وهى نزلت بمكة خلافا لمجاهد رحمه الله تعالى فالاجماع على ان الصلاة كانت بالفاتحة لاول فرضيتها ، ولا شك ان ذلك كان بمكة ، وقال بعضهم انها نزلت مرتين مرة بمكة عند فرضية الصلاة ، واخرى بالمدينة حين حولت القبلة والله تعالى اعلم

وانما سميت بام القرآن لانها تشتمل على جميع ما فى القرآن ، لان القرآن ما نزل الا لاجل امور اولها التوحيد ، والثانى الوعد والتبشير لمن عمل به ، والوعيد والانذار على من اعرض عنه . وقد وعد الله المؤمنين بالاستخلاف فى الارض والعزة والسلطان ؛ وأوعد المخالفين بالخزى والشقاء فى الدنيا ، كما وعد المؤمنين فى الآخرة بالجنة والنعيم ، وأوعد الكفار بالمذاب ونار الجحيم ، والثالث العبادة التى تحيى التوحيد فى القلوب وتثبتته فى النفوس ؛ والرابع قصص من وقف عند حدود الله تعالى واخيار الذين تعدوا حدوده كما سنفضله انشاء الله تعالى ومن آيات ذلك وامثلته ان السنة الالهية فى هذا الكون ، سواء كان كون ايجاد او كون تشريع ؛ ان يظهر سبحانه الشئ مجملا ، ثم يتبعه التفصيل بعد ذلك تدريجا ، وما مثل الهدايات الالهية الا مثل البذرة والشجرة العظيمة ، فهى بدايتها مادة حياة تمتوى على جميع اصولها ، ثم تنمو

بالتدريج حتى تبسق فروعها بعد ان تعظم دوحها ثم تجود عليك
بشعرها والفاحة مشتملة على مجمل ما في القرآن وكل ما فيه تفصيل
للاصول التي وضعت فيها وهذا لا شك فيه ولا ريب فعلى هذا تكون
الفاحة جديرة بان تسمى ام القرآن وام الكتاب كما نقول ان النواة ام
الذخلة فان النواة مشتملة على شجرة الذخلة كلها حقيقة لا كما قال بعضهم
ان المعنى في ذلك ان الام تكون اولا ويأتي بعدها الاولاد .

نزلت هذه السورة لتعليم العباد كيف يتبركون باسم الله عز وجل
في سائر احوالهم وكيف يحمدونه ويستعينون به فيبتدئ القاريء قائلًا
اقراً متبركاً باسم الله الرحمن المنعم بجلال النعم كالسموات والارض
والصحة والعقل والرحيم المنعم بدقائقها كسواد العين وتلاصق شعرات
اهدابها المانعات من دخول الغبار المؤذي لها مع ان النور يلمع من
خلالها وهكذا اللهم الله الانبياء واوحى اليهم ان يعلموا العباد كيف
يتبركون باسم الله في اول اعمالهم كالقراءة والاكل ذا كرين ربهم ورحمته
الواسعة التي عمت سائر العوالم فيمتلئ قلب العبد ايقاناً بالرحمة واستبشاراً
بالنعمة وفرحاً برحمة الرحمن الرحيم فاذا ابتدأ القاريء بالتسمية وامتلأ
قلبه بتلك الرحمة لا جرم ينطلق لسانه بالحمد بعد ان افعم قلبه بالاجلال
فيقول الحمد لله انا اذا عرفت رحمة الله سارية في سائر العوالم ، ولقد
علمت ان كل من انعم عليه بنعمة يشكر مسديها ، فالولد يشكر والديه
على التربية، والضعيف الذليل يشكر القادر الشجاع الذي انقذه من الذلة

والتعلم يشكر العالم الذي اسبغ عليه نعمة العلم ، كما ذكره الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى في تفسيره .

وقال ايضا هذه السورة تسمى فاتحة الكتاب وام القرآن وام الكتاب والوافية والكافية ، ولقد يعجب القاري من تسميتها بام القرآن وبام الكتاب وبالوافية وبالكافية ، وكيف تقرأ في كل صلاة ، فيعلم ذو اللب ان الذي يتلى على اللسان دائماً ، ويتلوه الجاهل والعالم سراً وجهرًا يصبح في انفس التاليين من المألوفات التي لا يسعى الى شيء وراها وتصبح كالسمع والبصر والعقل والجسم الانساني عند الجهلاء ، فالناس لما رأوا اجسامهم والانهار والسماء والارض لم يظنوا فيها عجائب ولا غرائب لانها مكشوفة امامهم معروضة كل حين كالعالم في بلده والنبي في قريته ، فهكذا فاتحة الكتاب يقرؤها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها واكثرهم جاهلون لا يعقلون ، ولذلك داستنا الفرنجة فقتلت ابناءنا واستحيت نساءنا ونحن في غفلة معرضون وفي الالعب والترهات منهمكون .

واعلم ان العلماء هم الذين يعرفون اسرار الاشياء وحكمها فكذلك المفكرون هنا في القرآن هم الذين يعقلون الفاتحة وعلومها ، فاعلم ان الفاتحة تشتمل على الاشارات لجميع ما ورد في القرآن فاتحة الكتاب أي خطأ وبها تفتح القراءة في الصلاة ويقال لها أيضا أم الكتاب عند الجمهور وقد ثبت في الصحيح كما رواه الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « الحمد لله رب العالمين »

أم الكتاب وأم القرآن ويقال لها الشفاء لما رواه الدارمي عن أبي سعيد
رضي الله عنه مرفوعاً (فاتحة الكتاب شفاء من كل سم) وروي الشعبي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سماها اساس القرآن قال وأساسها بسم
الله الرحمن الرحيم وسماها سفيان بن عيينه رحمه الله تعالى (الواقية)
وسماها يحيى بن كثير رحمه الله تعالى (الكافية) لانها تكفي عماعداها ولا
يكفي ما سواها عنها كما جاء في بعض الاحاديث المرسلة (أم القرآن
عوض من غيرها وليس غيرها عوضاً عنها) ويقال لها سورة الصلوة لما
رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه
قال (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام)
ف قيل لأبي هريرة رضي الله عنه ان نكون خلف الامام فقال اقرأ بها
في نفسك فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول (قال الله عز وجل قسمت
الصلوة بيني وبين عبدي نصفين ولعبيدني ما سألت فادعني) الحمد لله رب
العالمين) قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال الله
تعالى اثنى علي عبدي فاذا قال ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال الله تعالى مجدني
عبدي وقال مرة فوض الى عبدي فاذا قال ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين
قال الله تعالى هذا بيني وبين عبدي واعبدي ما سألت واذا قال (اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين ﴾ قال الله تعالى هذا لعبدي ولعبيدني ما سألت) وهكذا رواه
النسائي عن اسحاق ابن راهويه ورواه الترمذي وقال حديث حسن وقال
ابو زرعه صحيح كما فصله الحافظ العباد بن كثير في تفسيره الشهير .

فسميت الفاتحة صلاة لانها شرط فيها وهي مكية وقيل مدينة
ويقال نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة والاشبه الاول قال الامام
البخارى فى اول كتاب التفسير من صحيحه وسميت ام القرآن وأم
الكتاب لانه يبدأ بكتابتها فى المصاحف ويبدأ بقراءتها فى الصلوة
وقيل انما سميت بذلك لرجوع معانى القرآن كله الى ما تضمنته قال ابن
جرير رحمه الله تعالى فى تفسيره والعرب تسمى كل جامع امرا او مقدم
لامر اذا كانت له توابع تتبعه هولها امام جامع اما فتقول للجلدة التى
تجمع الدماغ أم الرأس ويسمون لواء الجيش ورايتهم التى يجتمعون
تحتها أما وسميت مكة أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجمعها ماسواها .
وهذه السورة المباركة اشتملت على حمد الله وتمجيده والثناء عليه
بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العلىا وعلى ذكر المعاد وهو يوم
الدين وعلى ارشاده عبيده الى سواه والتضرع اليه والتبرؤ من حولهم
وقوتهم والى اخلاص العبادة له وتوحيده بالالوهية تبارك وتعالى وتنزيهه
ان يكون له شريك أو نظير أو مماثل ، والى سؤالهم اياه الهداية الى الصراط
المستقيم وهو الدين القويم ، وثبيتهم عليه حتى يقضى لهم بذلك إلى جواز
الصراط الحسية يوم القيامة المفضى بهم إلى جنات النعيم ، فى جوار النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ، واشتملت على الترغيب فى الأعمال
الصالحة ، ليكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل لئلا
يحشروا مع سالكها يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالون ، قال
المحقق الفخر الرازى فى مفاتيح الغيب أن سورة الفاتحة لها اسماء كثيرة

وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى منها فاتحة الكتاب سميت بذلك الاسم لانه يفتح بها في المصاحف والتعليم والقراءة في الصلاة ، ولان الحمد فاتحة كل كلام ، ومنها أم القرآن لاسباب الاول أن أم الشىء أصله ، والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة : الآلهيات والمعاد والنبوات واثبات القضاء والقدر لله تعالى ، فقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم يدل على الآلهيات ومالك يوم الدين يدل على المعاد ، وإياك نعبد وإياك نستعين يدل على نفي الخبر والقدر وعلى اثبات أن الكل بقضاء الله وقدره ، واهدنا الصراط المستقيم الخ . يدل أيضاً على اثبات قضاء الله والقدرة وعلى النبوات فلما كان المقصد الاعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة وهذه السورة مشتملة عليها لقبته بأم القرآن .

والثاني أن حاصل جميع الكتب الآلهية يرجع الى أمور ثلاثة : أما الثناء على الله باللسان ، وأما الاشتغال بالخدمة والطاعة ، وأما طلب المكاشفات والمشاهدات فقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ كله ثناء على الله ، وقوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ اشتغال بالخدمة والعبودية بالجد والاجتهاد ، واعتراف بالمعجز والذلة والمسكنة والرجوع الى الله ؛ وأما قوله ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ فهو طلب للمكاشفات والمشاهدات وأنواع الهدايات ، والثالث انما سميت بأم القرآن لان المقصود من جميع العلوم أما معرفة عزة الربوبية أو معرفة ذلة العبودية ، فقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ يدل على أنه هو الآله المستولى على كل أحوال الدنيا

والآخرة ، ثم قوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين الخ﴾ يدل على ذل العبودية فانه يدل على أن العبد لا يتم له شيء من الأعمال الظاهرة ، ولا من المكاشفات الباطنة إلا بإعانة الله تعالى وهدايته .

(الرابع) أن العلوم البشرية أما علم ذات الله تعالى وصفاته وافعاله وهو علم الاصول ، وأما علم أحكام الله تعالى وتكاليفه وهو علم الفروع ، وأما علم تصفية الباطن وظهور الانوار الالهية ، والمقصود من القرآن بيان هذه الانواع الثلاثة ، وهذه السورة الشريفة مشتملة عليها على أكمل الوجوه ، فقوله ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾ إشارة إلى علم الاصول ؛ لأن الدال على وجوده وجود مخلوقاته ، فقوله ﴿رب العالمين﴾ يجرى مجرى الإشارة إلى أنه لا سبيل إلى معرفة وجوده الا بكونه رباً للعالمين ، وقوله الحمد لله إشارة الى كونه مستحقاً للحمد ، ولا يكون مستحقاً للحمد الا اذا كان قادراً على كل الممكنات عالماً بكل المعلومات .

ثم وصفه بنهاية الرحمة وهو كونه رحماناً رحيماً ، ثم وصفه بكمال القدرة وهو قوله ﴿مالك يوم الدين﴾ حيث لا يهمل أمر المظلومين بل يستوفى حقوقهم من الظالمين وعند هذا تم الكلام في معرفة الذات والصفات وهو علم الاصول ثم شرع بعده في تقرير علم الفروع وهو الاشتغال بالخدمة والعبودية وهو قوله اياك نعبد ثم مزجه أيضاً بعلم الاصول مرة أخرى وهو ان وظائف العبودية لا تكمل الا بالإعانة الربوبية ثم شرع بعد ذلك في بيان درجات المكاشفات وهي على كثرتها

محصورة في أمور ثلاثة اولها حصول هداية النور في القلب وهو المراد من قوله اهدنا الصراط المستقيم والثاني ان يتجلى له درجات الابرار المطهرين من الذين انعم الله عليهم بالجلال والقدسية والجواذب الالهية حتى تصير تلك الارواح القدسية كالمرآيا المجلوة فينعكس الشعاع من كل واحدة منها الى أخرى وهو قوله صراط الذين أنعمت عليهم وثالثها أن تبقى معصومة عن أوزار الشهوات والشبهات وهو قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين فلاشتمال هذه السيرة على هذه الاسرار العالية سميت بام القرآن كما ان الدماغ يسمى أم الرأس لاشتماله على جميع الحواس والمنافع ومن اسمائها سورة الحمد والسبع المثاني ، والواقفة والكافية والاساس والشفاء والصلوة والسؤال ، والشكر والدعاء وغيرها

قال الفخر الرازي أيضا وروى عن الحسين رضى الله عنه انه قال أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب من السماء فودع علوم المائة في الاربعة وهى التوراة والانجيل والزيور والقرآن ثم أودع علوم هذه الاربعة في القرآن ثم أودع علوم القرآن في الفاتحة فن علم تفسير الفاتحة كان كن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة ومن قرأها فكانما قرأ تلك الكتب كلها فاسأل الله تعالى أن يوفقنى وجميع المؤمنين لقراءتها وتدبر معانيها والاعتقاد والعمل بها آمين .

فصل

في ما ورد في فضل الفاتحة

وقد ذكر العلامة العباد ابن كثير في تفسيره الشهير روى الامام احمد في مسنده عن ابى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال كنت أصلى فدعاني

رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت فاتيته فقال ما منعك أن تأتيني قال قلت يا رسول الله انى كنت أصلى قال لم يقل الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ﴾ الآية ثم قال لاعلمتك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد قال فاخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت يا رسول الله انك قلت لاعلمتك أعظم سورة في القرآن قال نعم ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته « وهكذا رواه البخارى وابوداود والنسائى والترمذى وابن ماجه وذكره عبد العظيم المنذرى فى الترغيب والترهيب وروى مسلم فى صحيحه والنسائى فى سننه بسندهما عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضاً فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب قدفتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال ابشر بنورين قدأوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ حرفاً منها الاأوتيته واللفظ للنسائى

قال العبد الضعيف المعصومى عفى الله تعالى عنه وقد روى احمد فى مسنده والبيهقى فى الشعب وذكره السيوطى فى الدر المنثور عن عبد الله ابن جابر رضى الله عنه انه قال ان رسول الله ﷺ قال الا أخبرك باخير سورة نزلت فى القرآن قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب وقال فيها شفاء من كل داء وأخرج سعيد بن منصور فى سننه والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال ان رسول الله ﷺ قال فاتحة

الكتاب شفاء من السم وروى الدارمي والبيهقي عن عبد الملك بن عمير
رضي الله عنه انه قال قال رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب شفاء من كل داء
وروى البزار في مسنده وابن كثير في تفسيره عن أنس رضي الله عنه قال
قال رسول الله ﷺ اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب
وقل هو الله احد فقد أمنت من كل شيء الا الموت وعن رجاء الغنوي رضي الله
عنه انه قال قال رسول الله ﷺ أستشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمده
خلقه، وبما مدح الله به نفسه. قلنا وما ذاك يا رسول الله قال الحمد لله وقل هو الله
احد فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله وروى ابو الشيخ ابن حبان والسيوطي
في الدر المنثور والدرر المنتثرة عن عطاء رحمه الله تعالى مر سلا انه قال
الفاتحة لما قرئت له واذا أردت حاجة فاقرا بفاتحة الكتاب حتى تختمها تقضى
انشاء الله تعالى

قال الفخر الرازي في تفسيره من قرأ سورة الفاتحة وآمن بها وعرف
حقائقها صار آمناً من الدركات السبع في جهنم قال العبد الضعيف المعصومي
لانه صار مؤمناً كاملاً ومن هذا شأنه فلا شك انه من الفالحين الفائزين
فيارب اجعلنا منهم بفضلك يا أرحم الراحمين .
فصل

في اواع الكفر والشرك الذي كان في عصر النبي ﷺ
« ونزل القرآن لبيانه »

منهم من كان لا يعرف خالق العالم وينكر وجوده تعالى ويعتقد
ان الاشياء حادثة بنفسها توجد بها الطبيعة والمادة والذهر وهم الدهريون
والطبيعية ذره المادة ذره المنجم ذره كافر عن ذره واضاله واللاذقة فلهذه

الايام وقد بين الله عز وجل اثبات وجوده ودل عليه بوجود مخلوقاته
وعجائب مصنوعاته كما فصله في آيات كثيرة كما قال تعالى في سورة ابراهيم
﴿ قالت رسولهم أفي الله شك فاطر السموات والارض . يدعوكم ليغفر
لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى . قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا .
تريدون أن تصدوننا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ﴾ وفي
سورة البقرة ﴿ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من
ماء فأحياء به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح
والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون ﴾ وحكى
الله تعالى عن المنكرين كما في سورة المؤمنين أنهم يقولون ﴿ ابعثكم انكم اذا
متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون ؛ هيهات هيهات لما توعدون ان
هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ وفي سورة الشعراء
﴿ فأتيا فرعون فقولا أنا رسول رب العالمين ؛ قال فرعون وما رب
العالمين ؟ قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ﴾ وفي
سورة المؤمن ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فأطلع إلى إله موسى ، وإني لأظنه كاذباً ؛ وكذلك زين
لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ، وما كيد فرعون إلا في تباب ﴾ وفي
سورة الجاثية ﴿ أفرايت من اتخذ آلهه هواه ، وأضله الله على علم ؛ وختم
على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ؛ فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون
وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم

بذلك من علم ؛ أن هم لا يظنون ﴿ وهوؤلاء الكفار الدهريون ومنكروا
وجود الله الخالق البارئ رب العالمين كانوا في نواحي مصر والفرس
والهند والصين . وفي هذه الايام كثروا في بلاد الروس وسائر بلاد
أوروبا وأمريكا والصين . واشتهروا باسم القومونيست والشيوعية
والبلاشفة . ابادهم الله تعالى وأهلكهم وطهر الدنيا عنهم .

ومنهم من كانوا يعرفون الله تعالى ويصدقون بوجوده . ويقرون
بأنه خلق الخلق وربهم ويربهم وان الجنة والنار موجودتان الى غير ذلك
من الآلهيات ، ولكنهم يقولون أنه لا يمكن الوصول اليه إلا بالوسائط
والشفعاء ويقيسونه بملوك الدنيا فيتخذون الوسطاء ويخضعون لهم
ويخشون منهم ويرجون منهم فيتضرعون اليهم ، وينذرون اليهم ويعبدونهم
مدعيًا أنهم شفعاؤهم عند الله فهم يقربونهم إلى الله زلفى ، وهم جمهور
العرب واليهود والنصارى والمجوس فافاد الله أنهم مشركون وكفار ؛ وما
نفعهم اقرارهم بوجوده تعالى وقولهم انه رب السموات والأرض ، بل
طلب منهم أن لا يعبدوا إلا إياه ولا يخضعوا إلا له ولا يخشوا إلا منه ؛
ولا ينذروا إلا اليه ؛ وان لا يدعوهم بدعاء وان لا يتخذوهم شفعاء لأنه
تعالى أقرب الينا من حبل الوريد ؛ وهو معهم أينما كانوا فلا يحتاج إلى
الشفعاء وهو يجيب الدعوات ويقضى الحاجات ويدفع البلياب وليس له
معين ولا وزير وهو غني عن العالمين .

فارسل الله تعالى محمداً ﷺ اليهم فدعاهم إلى توحيد الله توحيد العبادة
وان يتبرؤا من معبوداتهم وشفعائهم ؛ بالجملة وأنهم وان أعترفوا بتوحيد

الربوبية ولكنهم اشركوا في العبادة والالوهية فبذلك صاروا مشركين فأوعدهم الله تعالى وانذر ، وعمما كانوا عليه حذر وزجر ، كما افاد في آيات كثيرة سأتلوه عليك ان شاء الله تعالى ، واني قد شاهدت الصينيين البوذيين ومجوسيهم وبراهمة الهند والتبت أنهم يقرون بوجود الله تعالى وأنه خالق العالم ويشيرون الى السماء ويقولون ان الله موجود في السماء وهو الخالق العليم الخبير ، ولكنهم يخضعون لرهبانهم وينذرون اليهم ويعبدونهم بدعوى أنهم يتقربون بهم إلى الله تعالى ؛ فبذلك كفروا واشركوا فاستحقوا الوعيد الشديد .

والحاصل أن جميع الكفار والمشركين ما عدا الدهريين يقرون بوجود الله تعالى وأنه الخالق، ولكن ما نفهم هذا الاقرار ؛ ولم يدخلهم في الاسلام ، بل شرط التبرئ عن كل الشفعاء والوسائط والمعبودات كلها ، وفصل ذلك فيما أنزله على رسوله محمد ﷺ ، وها أنا أتولك بعض تلك الآيات بحوله تعالى وقوته ، ففي آخر العنكبوت ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض وسيق الشمس والقمر ليقولن الله فاني يؤفكون ، ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله ؛ قل الحمد لله ؛ بل أكثرهم لا يعقلون ، فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ؛ فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون ، ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون ، والذين جاهدوا فينا لهديتهم سبيلنا ؛ وان الله لمع المحسنين ﴿ وفي لقمان ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله ، قل الحمد لله ؛ بل أكثرهم لا يعلمون ، ذلك بان الله هو الحق ،

وان ما يدعون من دونه الباطل ، وان الله هو العلي الكبير ؛ واذا غشيتهم
موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ؛ فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ،
وما يجحد بآياتنا إلا كل ختال كفور ، يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا
يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ان
وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴿ وفي
سورة الزمر ﴾ ولئن سألتهم من خالق السموات والأرض ليقولن الله ،
قل أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ قل حسبي الله ، عليه يتوكل
المتوكلون ﴿ وفي آخر سورة الزخرف ﴾ ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله فاني يؤفكون .

فانظروا إلى هذه الآيات وامثالها ، وتفكروا فيها وتدبروا إن
كل الكفار والمشركين يعترفون بوجود الله تعالى وأنه خالق السموات
والأرض وانه مسخر الشمس والقمر ، وأنه هو الذي ينزل من السماء
المطر فيحيي به الأرض وأنه هو الذي ينجيهم من أمواج البحار وطفوفان
البلاء ، ومع كل هذا ما نفعمهم ذلك الاعتراف والاقرار ، وما نجاهم من عذاب
النار ، وغضب الله الواحد القهار ، بل شرط مع ذلك أن يتبرؤا من كل
ما يعتقدونه إلهاً ومعبوداً وناهما وضاراً من دون الله تعالى وأن لا يعبدوا
إلا إياه . وأن يؤمنوا بكل ما جاء به النبي محمد رسول الله ﷺ ويلتزموا
شريعته . فدعاهم النبي ﷺ إلى ذلك . وأفاد ان كل ما فيهم من دعاء من

دون الله وعبادته أوقعهم في خيال الشرك وظلمات الضلال . فاعتبروا
يا أولى الابصار .

تنبيه ان كان اعتراف الكفار والمشركين بوجود الله وقولهم
الله لم ينفعهم . فهل ما يسميه أهل الطرق من اسم الذات (الله)
وتكرارهم ذلك ينفعهم . ويكون هو مأمورا به وذكر مشروعا . قد
اختلف الناس في ذلك . فبعض الصوفية عدوه ذكرا مشروعا . فامروا
مريديهم بتكرار ذلك (الله الله) وأما العلماء المحققون فقد عدوه بدعة .
كما بين العلامة ابن تيمية في رسالة الكرامة والمعجزات حيث قال .
أن بعض الصوفية يختارون الخلوات فيخرج الى أجناس غير مشروعة
فمن هؤلاء من يأمر المريدان لا يزيد على الفرض لا قراءة ولا نظرا .
في حديث نبوي ولا غير ذلك ، بل قد يأمرونه بالذكر . ويقسمون
الذكر الى ذكر العامة وهو لا إله إلا الله ، وذكر الخاصة الله الله ، وذكر
خاصة الخاصة هو هو ، فتحصل لهم من هذه العبادات البدعية حالات
شيطانية ، وتنزل لهم الشياطين وخطاب شيطاني ، وبعضهم يطير
به شيطانه .

ولا شك ان الذكر بالاسم المفرد مظهرا ومضمرا بدعة في
الشريعة وخلفا في القول واللغة ، فان الاسم المفرد المجرد ليس هو كلاما
لا إلهان ولا شركوا . وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال .
« أفضل الكلام بعد القرآن أزيغوا هين مع القول بأن يستعجبان الله والحمد
لله ولا إله إلا الله والله أكبر » وفي حديث آخر « أفضل الذكر لا إله

الا الله وأفضل ما قلت انا والنبليون من قبلي . لا إله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير » واما ذكر الاسم
المفرد فبدعة لم يشرع ، وليس هو بكلام يعقل ولا فيه إيمان . ولهذا
صار بعض من يأمر به من المتأخرين يبين انه ليس قصدنا ذكر الله
تعالى . ولكن جمع القلب على شئ معين حتى تستعد النفس لما يرد عليها .
فكان يأمر مريده بان يقول هذا الاسم مرات . فاذا اجتمع قلبه القى
عليه حالا شيطانيا فيلبسه الشيطان ويخيل اليه انه قد صار في الملائكة
الأعلى . ومقصودهم بذلك الجمع ان تجتمع النفس حتى ينزل فيها
الشيطان . وقد يأمرون ان يقعد في مكان مظلم ويغطي رأسه
ويقول الله الله وابو حامد يكثر من مدح هذه الطريقة في الاحياء
وغيره . وهذا من بقايا الفلسفة عليه الخ . وكذا حقه العلامة ابن
القيم في كتابه .

قال العبد الضعيف المهاجر وفي حرم الله المجاور محمد سلطان المعصومي
الحندي عفى الله عنه ان لفظ (الله) وأمثاله قد يقرب به جميع المشركين
والمجوس واليهود والنصارى ماعدى الدهرية المادية الطبيعية كما جررت
أنفاسا حكاها الله تعالى عنهم من انهم يقررون بان الله موجود وأنه خالق
السموات والأرض ومنزل الأمطار ورازق الاحياء ومع ذلك لا يعترفون
قولههم ذلك ولا يسمى قلوبهم الله ذكرا مشروعا ولا حصل لهم به ثواب
ولا انهم صاروا مؤمنا به فلذا كان كذلك فلا يكون قائل الله الله ذكرا
ولا مؤمنا به شرعيا اسلاميا . بل الذكر الاسلامي الشرعي الحمد لله الذي

من الكفر والضلال والمحصل للثواب ورضا ذى الجلال انما هو لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ان من قال محمد محمد ولو الف مرة لا يكون مسلما ولا مصيبا الا اذا قال محمد رسول الله فكذلك لا يكون قائل الله الله ذاكر الله ولا موحدنا ولا مخلصا ولا مسالما حتى يقول لا اله الا الله وهذا هو الذكر الذى يخرج صاحبه من الظلمة الى النور ومن الكفر الى الايمان ومن الجهالة الى العرفان فانى قد شاهدت كثيرا من اليهود والنصارى فى اوربا وروسيا وتركستان وعابنت جمعا وفيرا من المجوس والبوديين والبراهمة فى بلاد الصين والهند انهم يذكرون لفظ الله بلغتهم ويقررون ويقولون انه تعالى موجود وانه خالق العالم ويشيرون الى السماء ولكن يثبتون له شركاء وينسبون اليهم التصرف فى الكون ويزعمون كأنهم نواب الله فلهدا لم ينفعهم قولهم الله الله ولا ادخلهم فى الاسلام فانتبهوا يا ايها الغافلون .

فصل فى بيان التعوذ من الشيطان الرجيم فى ابتداء القراءة
وفى كل الازمان والحالات

امرنا الله تعالى كلما نريد ان نتلو القرآن ان نستعيز بالله تعالى من شر الشيطان الرجيم . وشر وسوسته حيث قال فى سورة النحل (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون . انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) العوذ والتموذ والاستعاذة والاعاذة . والاستعاذة هى الالتجاء الى الله تعالى والاتصاف بجنابه تعالى من شر كل ذى

شر . فالعبادة تكون لدفع الشر واللياقة تكون لطلب جلب الخير
ومعنى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اى استجير بحجاب الله تعالى من
الشيطان الرجيم ان يضرني فى ديني او دنياي . او يصدني عن فعل
ما أمرت به . او ليحثني على فعل ما نهيت عنه فان الشيطان لا يكفه
عن الانسان الا الله عز وجل ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الانس
ومداراته باسداء الجميل اليه ليرده طبعه عما هو فيه من الاذى وامر
بالاستعاذة من شيطان الجن لانه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل
لانه شرير بالطبع فلا يكفه عنك الا الذى خلقه فالعائذ والمستعيد
هو الملتجىء والمعتصم الهارب الى ربه مما يخافه عموما وخصوصا . وقد
أمر الله تعالى عباده فى كتابه بالاستعاذه به فى مواضع من كتابه كما بينه
العلامة العباد ابن كثير فى تفسيره الشهير والاستاذ الشيخ محمد عبده
ايضا فى تفسيره بينه احسن بيان .

وقال العلامة الفخر الرازى من تفسيره الكبير الموسوم بمفاتيح
الغيب وفى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمسة أركان . الاستعاذة والمستعيد
والمستعاذ به والمستعاذ منه والشىء الذى لاجل تحصل الاستعاذة فاعوذ
مشتق من العوذ . ومعناه «الالتجاء والاستجاراة والالتصاق كما يقال اطيب
اللحم عوده اى ما التصق منه بالمعظم فعنى اعوذ بالله التجيىء الى رحمته تعالى
وعصمته والاصق نفسى بفضيل الله ورحمته . والغرض من الاستعاذة الاحتراز
من شر الوسوسة ومعلوم ان الوسوسة كانها حروف خفية فى قلب الانسان

ولا يطلع عليها احد فكان العبد يقول يا الله انت القادر على دفع هذه الوسوسة عني فادفعها عني بفضلك

سم اعلم ان الاستعاذة لاتتم الا بعلم وحال وعمل . اما العلم فهو كون العبد عالماً بكونه عاجزاً عن جلب المنافع الدنيوية والدينية وعلى دفع المضار الدينية والدنيوية وان الله تعالى قادر على ايجاد جميع المنافع الدينية والدنيوية وعلى دفع جميع المضار الدينية والدنيوية قدرة لا يقدر احد سواه على دفعها عنه فاذا حصل هذا العلم في القلب بولد عن هذا العلم حصول حالة في القلب وهي انكسار وتواضع وبعبارة اخرى تلك الحالة بالتضرع الى الله تعالى والخضوع له فالركن الاعظم في الاستعاذة هو علمه بالله وعلمه بنفسه وأن يعلم انه لا يقدر احد سوى الله تعالى على ان يعينه على مقاصده اذ لو جاز ان يكون غير الله يعينه على مقاصده لم تكن الرغبة قوية في الاستعاذة بالله وذلك لا يتم الا بالتوحيد المطلق واعني بالتوحيد المطابق ان يعلم ان مدير العالم واحد وان العبد غير مستقل بافعال نفسه فمال يعرف العبد عزة الربوبية وذلة العبودية لا يصح منه ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن الناس من يزعم ان الذكر بالناسان فقط يكفيه فهذا ضعيف جداً لا ثمرة له

والركن الثاني المستعاذ به . وهذا قد ورد في القرآن والاحبار على وجهين . اعوذ بالله . واعوذ بكلمات الله . والمراد بكلمات الله هو قوله ﴿ انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴾ والمراد من قوله كن نفاذ قدرته في الممكنات وسريان مشيئته في الكائنات بحيث يمنع ان يعرض

له عائق ومانع . والركن الثالث المستعبد واعلم أن أعوذ بالله امر منه تعالى لعباده ان يقولوا ذلك وهذا غير مختص بشخص معين فهو امر على تسبيل العموم لانه تعالى حكى ذلك عن الانبياء والاولياء وذلك يدل على ان كل مخلوق يجب ان يكون مستعبداً بالله فالانبياء عليهم الصلوات والتسليمات كلهم كانوا أبدأً في الاستعاذة من شر شياطين الانس والجن . كما سنفصله انشاء الله تعالى .

والركن الرابع المستعاذ منه . وهو الشيطان . والمقصود من الاستعاذة دفع شر الشيطان ووسوسته . بناء على ماورد في الآثار انه يغوص في باطن الانسان ويضع رأسه على حبة قلبه ويلقى اليه الوسوسة وقد قال رسول الله ﷺ ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث .

الركن الخامس المطالب التي لأجلها يستعاذ فاعلم أنا بينما أن حاجات العبد غير متناهية فلا خير من الخيرات إلا وهو محتاج الى تحصيله ولا شر من الشرور إلا وهو محتاج الى دفعه وابطاله فقوله أعوذ بالله يتناول دفع جميع الشرور الروحانية والجسمانية وكلها أمور غير متناهية ونحن ننبه على معاقدها فنقول الشرور اما ان تكون من باب الاعتقادات الحاصلة في القلوب واما ان تكون من باب الاعمال الموجودة في الابدان اما القسم الاول فيدخل فيه جميع العقائد الباطلة فيدخل فيه مذاهب فرق الضلال في العالم وهي اثنان وسبعون فرقة من هذه الامة وسبعمائة وأكثر خارج عن هذه الامة فقوله أعوذ بالله

يتناول الاستعاذة من كل واحد منها واما ما يتعلق بالاعمال البدنية فهي على قسمين منها ما يفيد المضار الدينية والدنيوية فاما المضار الدينية فكل ما نهى الله عنه في جميع اقسام التكليف واعوذ بالله يتناول كلها واما ما يتعلق بالمضار الدنيوية فهو جميع الالام والاسقام والحرق والغرق والفقر والزمانة والعمى وانواعها فقول اعوذ بالله يتناول الاستعاذة من كل واحد منها واهم ما يستعاذ منه الجهل بأنواعه ويدخل فيه مذاهب اهل الكفر واهل البدعة على كثرتها والفسوق بانواعها فيجب على العاقل انه اذا اراد ان يقول اعوذ بالله فإنه يستحضر في ذهنه هذه الاجناس كلها ويلتجى الى القادر على دفعها فيقول عند ذلك اعوذ بالله القادر على كل المقدورات من جميع اقسام الافات والخافات فالعبد حين يقول اعوذ بالله يفر الى الله ويلتجى اليه مقر اعلى نفسه بالعجز والافتقار فيشاهد سر قوله تعالى (ففروا الى الله) فالمتعوذ بالله معترف بعجز نفسه وبقدرة الرب وهذا يدل على انه لا وسيلة الى القرب من حضرة الله الا بالعجز والانكسار حكاية تناسب المقام وهي ما حكاها العلامة الحافظ ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه نقد العلم والاعماء او تلبيس ابليس . حكى عن بعض السلف انه قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا قال اجاهده قال فان عاد قال اجاهده قال فان عاد قال اجاهده قال هذا يطول رأيت اذا مرت بغم فنبحك كلها أو منعك من العبور ما تصنع قال أكابده وازده جهدي قال هذا يطول عليك واسكن استعن بصاحب الغم يكفه عنك انتهى قلت فينبغي على العاقل أن يتعوذ من الشيطان بالذي خلقه وسلطه على من شاء كما لا يخفى على العاقل الفطن فيا رب احفظنا من شر الشيطان الرجيم

تنبیه

﴿ في تحقيق لفظ الجلالة « الله » ومعناه ﴾

واما الله فعلم على الرب تبارك وتعالى وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ولهذا لا يعرف له في كلام العرب اشتقاق وان اختلفوا وتكلموا فيه بما لا يفيد هنا ف قيل انه مشتق من اهدت الى فلان اي سكنت اليه فالمقول لا تسكن الا الى ذكره والارواح لا تفرح الا بمعرفته لانه الكامل على الاطلاق دون غيره قال الله تعالى ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ وقيل اله الفصيل اذا ولع بأمه والمعنى ان العباد مألوهون ومواعون بالتضرع اليه في كل الاحوال وقيل من اله الرجل يأله اذا فزع من امر نزل به فاله اي أجاره فالجبر لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه لقوله تعالى ﴿وهو يجبر ولا يجار عليه﴾ وأختار الفخر الرازي انه اسم غير مشتق البتة وقال وهو قول الخليل وسيبويه واكثر الاصوليين والفقهاء.

وذكر ابن كثير في تفسيره وقيل مشتق من اله الرجل اذا تعبد به وتاله اذا تنسك وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما (ويذكر وألهتك) اي عبادتك ويقال ان الله هو الاسم الاعظم لانه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى ﴿هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم﴾ فاجرى الله الاسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى ﴿والله الاسماء الحسنى فادعوه

بها ﴿ وقال تعالى ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ﴿ وفي الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحداً من أحصاها دخل الجنة » وجاء تعدادها فى رواية الترمذى وابن ماجه : وبين الروايتين اختلاف زيادة ونقصان وقد ذكر الرازى فى تفسيره عن بعضهم ان لله خمسة آلاف اسم الف فى الكتاب والسنة الصحيحة والف فى التوراة والف فى الانجيل والف فى الزبور والف فى اللوح المحفوظ والله أعلم .

وفى مجموعة التوحيد النجدية نقلا عن كتاب البدائع لابن القيم الجوزية والآله هو الذى تأله القلوب محبة وإجلالا واناة وكراما وتعظيما وذلا وخضوعاً وخوفاً ورجاء وتوكلا عليه وسؤالاً منه ودعاء له لا يصلح ذلك كله الا لله وحده فمن أشرك مخلوقاً بشىء من هذه الامور التى هى من خصائص الالهية كان ذلك قدحاً فى إخلاصه فى قول لاله الا الله وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك. وقال ابو عبد الله القرطبي فى تفسيره (لاله الا الله) اى لا معبود الا الله وقال ابن تيمية الاله هو المعبود المطاع فان الآله هو المألوه الذى يستحق أن يعبد وكونه يستحق هو بما اتصف به من الصفات التى تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب الخضوع له غابة الخضوع والآله هو المحبوب المعبود الذى تأله القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه وتنيب اليه فى شدائدها وتدعوه فى مهباتها وتتوكل عليه نى مصالحها وتاجأ اليه وتطمئن بذكره وتسكن الى حبه وليس ذلك الا الله وحده ولهذا كانت

لا اله الا الله اُصدق الكلام و كان أهلها اهل الله و حزبه و المنكرون لها أعداؤه و أهل غضبه و نعمته فاذا صححت صح بها كل مسألة و حال و ذوق و اذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه و أعماله و هذا هو الكلام عند أهل السنة جميعهم في سعادة من هدى الي معرفة حقيقة دين الاسلام و اتبعه .

فصل

في تحقيق لفظ الشيطان و معناه و حقيقته

و أما الشيطان فاسم لكل عارمات من الجن و الانس ؛ و الشيطان في لغة العرب مشتق من شطن اذا بعد فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر و بعيد بفسقه عن كل خير و قيل مشتق من شاط لانه مخلوق من نار و منهم من يقول كلاهما صحيح في المعنى . لكن الاول أصح و قال سيبويه العرب تقول تشيطان فلان اذا فعل فعل الشياطين فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح و لهذا يسمى كل من تمرد من جنى و أنمى و حيوان شيطانا قال الله تعالى ﴿ و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس و الجن يوحى بهضهم الى بعض زخرف القول غرورا ﴾ و في مسند الامام احمد عن أبي ذر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله ﷺ « تعوذوا بالله من شياطين الانس و الجن فقلت أوللانس شياطين قال نعم » و ورد أن الكلب الاسود شيطان و ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ركب برذونا فجعل يتبختر به فجعل يضر به فلا يزداد الا يتبختر ا فنزل عنه و قال ما حملته و نى الاعلى شيطان » استناده صحيح كما ذكره العلامة العباد بن كثير في تفسيره و قال الامام البغوى

في تفسيره الشيطان المتمرد العاتى من الانس والجن ومن كل شىء واصله
البعده سمي الشيطان شيطاناً لامتداده في الشر وبعده من الخير و كذلك
ذكره الاصفهاني في غرائب القرآن ومحمد عبده في تفسيره وكذا في
المدارك والغازن وغيرهما .

وأما الرجيم فهو بمعنى المرجوم . وفعليل بمعنى فاعل . اى يرجم
بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اى مرجوم بالشهب عند استراق
السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مردود ومطرود عن
الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملائكة الاعلى وقال ابن كثير في تفسيره
والرجيم فعليل بمعنى مفعول اى انه مرجوم مطرود عن الخير كله وقيل
رجيم بمعنى راجم لانه يرجم الناس بالوسواس والرباثة والاول اشهر
وأصح

في حكم الاستعاذة

وأما حكم الاستعاذة فاتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة في الصلوة
ويستحب لقارىء القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ أيضاً وحكى عن
عطاء رحمه الله وجوبها سواء كانت في الصلاة أو خارجها لظاهر قوله
تعالى ﴿ فاستعذروا ﴾ والامر للوجوب وان النبي ﷺ واظب على التعموذ
فيكون واجباً ووقتها قبل القراءة عند الجمهور سواء كانت في الصلوة
أو خارجها وان قال البعض ان القارىء يتعوذ بعد القراءة لظاهر سياق
الآية . أو يتعوذ أولاً وآخرآ جمعاً بين الدليلين ولكن المشهور الذى
عليه الجمهور ان الاستعاذة انما تكون قبل التلاوة لدفع الوسوس عنها

معنى الآية عندهم ﴿ فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ اي اذا أردت القراءة كقوله تعالى ﴿ اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا رجوهكم وايديكم ﴾ الآية اي اذا أردتم القيام والذليل على ذلك الاحاديث عن رسول الله ﷺ وقد روى الامام احمد في مسنده واصحاب السنن الاربعة بسندهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال كان رسول الله ﷺ اذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك) ثم يقول لا اله الا الله ثلاثا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه قال الترمذي هو اشهر شئ في هذا الباب ، وكذا عن جبير بن مطعم وعمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي أمامة الباهلي وغيرهم رضي الله عنهم ، فجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمحتمة يأثم تاركها . وحكى الرازي عن عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى وجوبها في الصلاة وخارجها كله أراد القراءة ، وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفي في إسقاط الواجب ، واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية (فاستعذ) وهو أمر وظاهره الوجوب وبمواظبة النبي ﷺ عليها ولانها تدراً شر الشيطان ؛ وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، ولان الاستعاذة أحوط ، وهو أحد مسالك الوجوب ، وقال بعضهم كانت واجبة على النبي ﷺ دون أمته ، وإذا قال المستعيز أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفي ذلك عند الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله تعالى ؛ وزاد بعضهم أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقال آخرون

بل يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم ،
قاله الثورى والاوزاعى رحمهما الله تعالى وحكى عن بعضهم انه يقول
استعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، لمطابقة أمر الآية ، والاحاديث
الصحيحة أولى بالاتباع من هذا كما تقدم والله أعلم
واعلم أن الله تعالى كما أمر بالاستعاذة من الشيطان في أول قراءة
القرآن كذلك أمر بالاستعاذة منه في جميع الحالات ، لان الشيطان
هو العدو المبين الذى أضل ابانا آدم وأمنا حواء عليهما السلام ،
وأخرجهما من الجنة مدعياً انه ناصح لهما ، فهو عدو لبنييه الى يوم القيامة؛
فينبغى على كل واحد منا ذكراً او انثى أن يستعيذ بالله من شره ووسوسته
ونفته ونفخه ، وقد استعاذ منه من هو خير منا ومن كل البرية ، الا
وهو سيد المرسلين سيدنا محمد وكذا سائر الانبياء والمرسلين عليهم
الصلوات والتسليمات ، كما قال الله تعالى فى كتابه الكريم وأمر به حيث
قال فى سورة الاعراف ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله
انه سميع عليم ﴾ ﴿ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون ﴾ واخوانهم يمدونهم فى الغي ثم لا يقصرون ﴾
وفى سورة الحجر قال الشيطان حين مالهن وطرد ﴿ قال رب بما اغويتني
لازيتن لهم فى الارض ، لاغوينهم أجمعين ﴾ الاعدادك منهم المخلصين ﴾
قال هذا صراط على مستقيم ﴾ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من الغاوين ﴾ وفى - وره المؤمنون ﴾ وقل رب أعوذ
بك من هزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ وفى سورة

المؤمن ﴿ ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم. ان في صدورهم الاكبر ما هم بيالغيه . فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ﴾ وفي سورة حم السجدة ﴿ واما ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم . وقل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد اذا حسد . وقل أعوذ برب الناس . ملك الناس . آله الناس . من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ﴾ وان أم مريم عليها السلام قالت ﴿ واني أعينها ﴾ أي مريم ﴿ بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ فوجدت الخلة والقبول وهو قوله تعالى ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً ﴾ وقد قال نوح عليه السلام كما حكى الله تعالى عنه ﴿ انى أعوذ بك ان أسألك ما ليس لى به علم ﴾ وقال يوسف عليه السلام حين راودته المرأة ﴿ معاذ الله انه ربى أحسن منى ﴾ وقال حين قيل له خذ أهدنا مكانه ﴿ معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ﴾ وان موسى عليه السلام لما أمر قومه بذبح البقره قال قومه ﴿ أتتخذنا هزواً ، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ ولما خوفه قومه بالقتل ﴿ قال إني عدتُ بربى وربكم أن ترجحون ﴾ واني عدت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وان الله تعالى أمر محمداً ﷺ بالاستعاذة مرة بعد أخرى فقال ﴿ وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك بداب أن يحضرون ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ﴾

فصل

في بيان عداوة الشيطان لبني آدم

اعلم أنه لا شك في عداوة الشيطان لآدم وبنيه ، فيوسوسهم من كل باب . كما أخبر الله تعالى عن ذلك في غير موضع من كتابه ، وليس للشيطان مطلب غير هلاك ابن آدم لشدة عداوته لآدم وبنيه كما قال تعالى ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ، وإن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام أنه لمن الناصحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال ﴿ فبمزتك لاغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ وقال تعالى ﴿ فازلحمنا الشيطان عنها فخرجها مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ وقال في سورة الاعراف قال الله : ﴿ ما منعك ﴾ يا ابليس ﴿ إلا تسجد إذ أمرتك . قال أنا خير منه ؛ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فقال ابليس بعد ان طرد ﴿ قال انظرنى إلى يوم يبعثون ، قال إنك من المنظرين ، قال فما اغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لا آتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين ؛ وناداهما ربهما أي آدم وحواء ، ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ، يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ؛ انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين

أولياء للذين لا يؤمنون ﴿ فانظروا الى هذه الآيات وتفكروا فيما يفعله
الشیطان من الفتنة والاعواء والوسوسة ، وآرائه نفسه ناصحاً .
والتزامه أنه يغوى الناس كلهم بكل طريق ووسيلة ، فيجب حتماً على
كل عاقل ان يتعوذ بالله منه ، وان يلتجئ الى الله ليحفظه من شره .
ثم اعلم يا أخى العزيز كما أن الشيطان يكون من الجن والابليس
كذلك يكون أيضاً من الأدمي والانس ، فكما ينبغى التعوذ من شيطان
الجن كذلك يلزم التعوذ من شياطين الانس ، وربما يكون اغواء شياطين
الانس أشد وأضر للمجانسة والمصاحبة الظاهرية كما أفاد الله تعالى ذلك
في غير موضع من كتابه حيث قال في سورة البقرة ﴿ واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم ﴾ اي اذا اجتمع للنافقون مع أكابرهم ورؤسائهم
ودجاجلتهم قالوا انا معكم في السر . قلت ككثير ممن هو في زى العلماء
والشائخ الذين يخدمون للنصارى المستعمرين سراً ويتجسسون لهم على
المسلمين فبذلك شتتوا شمل المسلمين كما هو المشاهد فنعوذ بالله منهم ومن
شرورهم . وفي سورة الانعام ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين
الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا . وان
تطمع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان
هم الا يخرصون ﴾ وقل أعوذ برب الناس . ملك الناس . اله الناس . من
شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴿
وفي مسند الامام احمد عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول
الله ﷺ « يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الانس والجن » . فقلت أو

للانس شياطين قال نعم . وفي مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهدأى ولا يستنوب بسنتى . وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان انس . الحديث . فثبت بهذه الآيات والاحاديث ان للانس يكون شيطاناً . وسوستهم وإفسادهم أشد واكبر من شياطين الجن . ولهم أحزاب ومعاونون يضلون الناس عن الصراط المستقيم الى صراط الجحيم . قال تعالى فى سورة المجادلة (استحوذ) استولى (عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله . اولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون *) فحزب الشيطان هم الأئمة المضلون . والرؤساء الدجاجة المتكبرون من كل ملة وفرقة . كعبد الله بن سبأ ومقنع السمرقندى وآخرهم فى هذه الاعصار ميرزا احمد القادىانى الهندى وقاسم أمين بيك المصرى . وموسى جار الله الروسى واضرابهم فأنهم افسدوا عقيدة المسلمين بدعواهم الاصلاح . وهم كذابون ودجالون وقد أجرؤا أنفسهم للمستعمرين والمبشرين والبلاشفة واللاذنيين .

وقد أخبر النبى ﷺ عن هؤلاء وحذر أمتة منهم . كما ثبت فى أحاديث صحيحة . منها ما رواه مسلم فى أول صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم . وروى البخارى فى الفن ومسلم فى الامارة من صحيحهما عن حذيفة رضى الله عنه قال كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير

وانا كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى . قال قلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير . فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم . قلت وهل بعد ذلك الشر من خير . قال نعم وفيه دخن (أى كدورة) قلت وما دخنته . قال قوم يستنون بغير سنتى ويهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر . قلت فهل بعد ذلك الخير من شر . قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها . قلت يا رسول الله صفهم لنا . قال هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا . قلت فما تأمرنى ان أدركنى ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا امام . قال فاعزل تلك الفرق كلها ولو تعض باصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك . وعن توبان رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين . واذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة ، رواه أبو داود والترمذي واللفظ له فى الفتن ، وفى رواية « إنما أخاف على أمتى أئمة مضلين » .

وما أضل المسلمين إلا الأئمة المضلون . وما أهلك الناس إلا الدجالون الكذابون ، وأما العوام المساكين فهم لهؤلاء تابعون ، فاذا جاء يوم القيامة وظهرت حقيقة الامر يقول أهل الضلال كما أخبر الله تعالى فى سورة الاحزاب ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾ فلتدرك ذلك قبل وقوعه تأمرنا الله بالاستعاذة من شر الشياطين فيجب علينا أن نتفكر ذلك كله فنستعين بالله من كلهم . وسأفصل أنواع الشياطين وأصنافهم وعلاماتهم

فصل

في خواص التعموذ ونتائجه

فاعلم أن الاستعاذة تطهر القلب عن كل شيء يشغله عن الله تعالى، ومن لطائف الاستعاذة أنه اقرار من العبد بالعجز والضعف، واعتراف من العبد بقدرة البارئ عز وجل، وأنه هو الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات. واعتراف من العبد أيضاً بأن الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة الالتجاء إلى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الفاجر الغوي، وأنه لا يقدر على دفعه عن العبد إلا الله تعالى، وإن من لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطيب له لتلاوة كلام الله تعالى، وهي استعاذة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه. وهو لا يقبل مصانعة. ولا يدارى بالاحسان بخلاف العدو من نوع الانسان. كما دلت على ذلك آيات من القرآن قال تعالى ﴿ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً﴾. ومن قتله العدو الظاهري البشري كان شهيداً. ومن قتله العدو الباطني كان طريداً. ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجوراً، ومن قهره العدو الباطني كان مفتوناً أو موزوراً. ولما كان الشيطان يرى الانسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان. كما ذكره العماد ابن كثير في تفسيره الشهير.

وينبغي للمستعبد أن يستعبد بالله من جميع المنهيات والمحظورات سواء كانت اعتقادية أو عملية ، والاقدام على الطاعات لا يتيسر إلا بعد الفرار من الشيطان. وذلك هو الاستعاذة بالله. وسر الاستعاذة هو الالتجاء إلى قادر يدفع الآفات عنك . ومن أجل الامور التي يلقي الشيطان . وسوسته فيها قراءة القرآن . لان من قرأ القرآن ونوى بها عبادة الرحمن وتفكر في وعده ووعيده وآياته وبيئاته . ازدادت رغبته في الطاعات ورهبته عن المحرمات فلهذا السبب صارت قراءة القرآن من أعظم الطاعات . فلا جرم كان سعى الشيطان في الصد عنه أبلغ . وكان احتياج العبد إلى من يصونه عن شر الشيطان أشد . فلهذه الحكمة اقتضت قراءة القرآن الاستعاذة . والعبد حين يفر الى ربه قائلاً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . يستقر في خدمة مولاه بيسم الله الرحمن الرحيم . والعبد يطهر باطنه وظاهره من تلويثات النفس والشيطان باعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإذا حصل الطهور يستعد لخدمة مولاه وذكره بيسم الله الرحمن الرحيم

ثم اعلم ان ارباب الاشارات قالوا ان لك عدوان احدهما ظاهر والاخر باطن وانت مامور بمحاربتها . قال الله تعالى في العدو الظاهر ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ﴾ وقال في العدو الباطن ﴿ ان الشيطان اسم عدو فاتخذوه عدوا ﴾ ولا شك ان محاربة العدو الباطن اهم من محاربة العدو الظاهر . لان العدو الظاهر ان وجد فرصة ففي متاع الدنيا وحياتها . والعدو الباطن ان وجد فرصة ففي الدين واليقين . وأيضا كما ذكرت لك ان العدو الظاهر

ان غلبنا كنا مأجورين والعدو الباطن ان غلبنا كنا مفتونين. ومؤزورين.
وأیضا فمن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا
فكان الاحتراز عن شر العدو الباطن أولى . وذلك لا يكون الا بان يقول.
الرجل بقلبه ولسانه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

« فصل » ان الشيطان إنما يغلب على من يطيعه ويواليه . لانه تعالى
يقول كما فى سورة آل عمران ﴿ إنما ذلکم الشيطان یخوف أولیاءه .
فلا تخافوهم و خافون إن كنتم مؤمنین ﴾ وفى سورة الحجر ﴿ ان عبادى
لیس لك علیهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ وفى النحل ﴿ إنه
لیس له سلطان على الذین آمنوا وعلى ربهم یتوكلون انما سلطانه على الذین
یتولونه والذین هم به مشركون ﴾ وفى الزخرف ﴿ ومن یعش ﴾ یرض
﴿ عن ذكر الرحمن نقیض له شیطانا فله قرین . وأنهم لیصدونهم عن السبیل
ویحسبون أنهم مهتدون ﴾ أفادت هذه الآیات ان الشيطان انما یتولى
ویغلب على من أطاعه واتبعه . ولم یتفكر فى آیات الله وأوامره بل اتبع نفسه
وهواه و شهواته . فبذلك صار أسیرا فى شبكة شیطانة . فضل عن
الصراط المستقیم ووقع فیما یؤدیه الى مهاوی الجحیم .

« فصل » ان الشيطان لما كان عدوا مبینا لجميع بنى آدم كان الانبیاء
علیهم الصلاة والسلام کلهم یتعمدون بالله من شره كما بیناه سابقا . وهأنا
الآن أذكر ما ثبت عن سید المرسلین سیدنا محمد ﷺ وصحابته الکرام
رضی الله عنهم . وروى ابن کثیر فى تفسیره عن أبى داود وابن ماجه ومسند
أحمد بسندهم عن أبى سعید الخدری رضی الله عنه أنه قال كان رسول الله ﷺ

إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من
الشیطان الرجیم من همزه ونفخه ونفته . وقد فسر الهمز بالموتة وهی الخنق
والنفخ بالكبر والنفث بالشعر . وكذا رواه الترمذی والنسائی . وعن ابن
مسعود رضی الله عنه عن النبی ﷺ انه قال . اللهم انی أعوذ بك من الشیطان
الرجیم وهمزه ونفخه ونفته . وقد روی ان جبریل علیه السلام اول ما نزل
بالقرآن علی رسول الله ﷺ امره بالاستعاذة كما ذكره الامام ابو جعفر ابن
جریر فی تفسیره بسنده عن ابن عباس رضی الله عنهما انه قال اول ما نزل
علی محمد ﷺ قال یا محمد استعذ . قال استعید بالله السميع العليم من
الشیطان الرجیم . ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحیم . ثم قال ﴿ اقرأ بسم
ربك الذي خلق ﴾ وعن معاذ بن جبل رضی الله عنه قال استب رجلان
عند النبی ﷺ واغرقا فيه . فقال ﷺ انی لاعلم كلمة لو قالها لذهب
عنهما ذلك وهی قوله ﴿ أعوذ بالله من الشیطان الرجیم . رواه
وعن معقل بن یسار رضی الله عنه عن النبی ﷺ انه قال من قال
حين یصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشیطان الرجیم . وقرأ ثلاث
آیات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعین الف ملك یصلون علیه
حتى یمسی فان مات فی ذلك الیوم مات شهیداً . ومن قالها حين یمسی
كان بتلك المنزلة رواه .

وعن أنس رضی الله عنه عن النبی ﷺ أنه قال « من استعاذ فی
الیوم عشر مرات وكل الله تعالی به ملكا ینذره عن الشیطان » رواه
وعن خولة بنت حکیم رضی الله عنها عن النبی ﷺ أنه قال

« من نزل منزلاً فقال : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ،
لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْزَلِ » رواه مسلم في صحيحه و أبو
داود و أحمد . و عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال « إذا فزع أحدكم في النوم فليقل « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ
غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَإِنْ يُحْضِرُونَ فَنَهَا
لَا تَضُرُّهُ » رواه أبو داود و الترمذى . و كان عبد الله بن عمر رضى الله
عنها يعلمها من بلغ من أولاده ، و من لم يبلغ كتبها في صك ثم علقها في
عنقه . رواه الترمذى . و عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
كان يعوذ الحسن و الحسين و يقول « أَعِيذُكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ
شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ » و يقول كان أبى إبراهيم عليه السلام
يعوذ بهما اسماعيل و اسحاق عليهما السلام . رواه

و عن سويد أنه قال سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يقول على المنبر
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . و قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله
من الشيطان الرجيم « فلا أحب أن أترك ذلك ما بقيت » رواه
فثبت بهذه الأحاديث أنه ينبغي على الإنسان العاقل أن يستعيذ بالله دائماً
من شر الشيطان الرجيم و شر كل ذي شر ، و شر كل من اتصف بصفة من
الصفات الشيطانية و انى قد كنت ف كرت في مادة (٩٦٢) من كتابى
حبل الشرع المتين و عروة الدين المبين . أحاديث في خواصه فمن جملتها
ما رواه مسلم و أبو داود و أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال جاء

رجل الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ما نمت البارحة من عقرب لدغتنى : فقال أما لو قلت حين أمسيت . أعود بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضر لك شيء انشاء الله تعالى . فثبت أن التعموذ بالله وبكلماته التامات هو الدواء الشافي . والحرز الحصين الوافي الكافي . فتعموذ بالله من شر الشيطان ومن شرور أنفسنا .

« فصل » اعلم حفظني الله تعالى واياك عن شر الشيطان والنفس وشر

كل ذي شر

ان التعموذ والاستعاذة انما يكون بالله وبصفاته وبكلماته التامات لا غيرها وأما بغيره تعالى وبغير صفاته وكلماته فشرك وضلالة وكفر وجهالة . وقد قرر العلماء المحققون كما في مجموعة التوحيد وغيرها . إن من الشرك الاستعاذة بغير الله : لان التعموذ والاستعاذة الاتجاء والاعتصام بعبادة وقد أمر الله تعالى بعبادته في كتابه بالاستعاذة به كما بيناه فيما سبق . فهو عبادة فلا يجوز أن تصرف لغير الله كغيرها من أنواع العبادات . وفي تفسير ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رجال من الانس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول أعود بعزير هذا الوادي . فزادهم ذلك إثمًا كما أخبر الله تعالى (كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقًا) وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله وقال إمامنا القاري الحنفى رحمه الله تعالى لا تجوز الاستعاذة بالجن . فقد ذم الله الكافرين على ذلك وذكر الآية . وقد شرع الله تعالى لاهل الاسلام ان

يستعينوا به تعالى. لا كما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن. وشرع الله تعالى للمسلمين ان يستعينوا بأسمائه وصفاته وكلماته . وحق على المستعين بالله ان يصدق الله في التجائه اليه ويتوكل في ذلك عليه ويحضر ذلك في قلبه . فمن فعل ذلك وصل الى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه . قال العلامة بن تيمية وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على انه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق. ولهذا نهى النبي ﷺ عن التعازيم والتعاويز التي لا يعرف معناها خشية ان يكون فيها شرك

قال الجامع الغريب المهاجر محمد سلطان المعصومي عفى الله عنه فكما انه لا يستعان الا بالله . ولا يتوكل ولا يعتمد الا على الله ولا يعبد الا اياه . ولا ينذر الا الله فكذلك لا يستعاذ الا بالله . لانه لا يقدر أحد أياً كان على دفع الشيطان ووسوسته الا الله الذي خلقه فسلطه على عباده ابتلاء وامتحاناً لهم . فالتعوذ بغيره تعالى جهل يؤدي صاحبه الى الضلال والخبال فنعوذ بالله ملتجاء اليه ومتوكلاً عليه عن صميم قلوبنا عن شر الشيطان الرجيم . سواء كان شيطان الجن وابليس أو شياطين الانس من أهل الدجل والاضلال والتلبيس

وها أنا أذكرك بعد بيان شياطين الجن والابليس الرجيم المرجوم . شياطين الانس من بنى نوعك . من مواطنيك وجلسائك كما قد بين الله تعالى أوصافهم في كتابه وحذر عنهم وعن فعالهم . وكذا بين رسول الله ﷺ الذى لا ينطق عن هواه . بل ينطق وينبئ عن رب الارض والسماء لتعرفهم فتحترز عنهم وتفر عنهم فرارك من الاسد والثعبان . وتحفظ نفسك عن

الوقوع فيما وقعوا : وعن الاتصاف بما اتصفوا حفظني الله تعالى وإياك
عن كل ما يضرنا ويشيننا في ديننا ودنيانا : آمين

ومن صفات الشيطان الكبر والتكبر والاستكبار . والكبر عدم
قبول الحق والعناد فيه . أما عجباً بنسبه أو جماله أو خيلاء بماله ومنصبه
وخدمه وحشمه . فاذا عرض عليه الحق فإن كان على خلاف هواه تكبر
عليه وأعرض عنه . كما صدر ذلك عن إبليس حين أمر بالسجدة
والخضوع لآدم أبي البشر عليه السلام . فاستحق بذلك اللعن والطرده
عن الرحمة الإلهية . كما بين الله تعالى ذلك في آيات كثيرة . منها في سورة
البقرة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ وفي سورة الاعراف ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا
تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾
فدلت هذه الآية ان كل من استكبر ولم يقبل الحق وعاند فهو إبليس
لان الشيطان قال لا اسجد له لاني خير منه واكبر سناً واشرف خلقاً
وأعلى نسباً خلقتني من نار وخلقته من طين وتراب . ولما كان الامر
كذلك . كان كل من تكبر على الحق هالك . ورد في الحديث الصحيح
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر . وقد طالعتنا
في التواريخ وشاهدنا منذ عقلنا ان أكثر الكفار وبعض من يدعى
أنه مسلم بل بعض من يزعم أنه سيد أو شريف أو غني أو أمثالهم يتكبرون
على الحق وأهله ، ويأنفون عليهم ولا يقبلون الا ما وافق هواهم ، فلا
شك أنهم من حزب الشيطان . الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون .

فأفسدوا بكبرهم شئون المسامين فضلوا وأضلوا وخابوا وخسروا . كما هو غير خفي على أولى الابصار .

ومن صفات الشيطان الافك والبهتان والكذب والاثم الكثير واستماع أقوال الناس بقصد التهمة والافساد . كما قال تعالى في سورة الشعراء ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل افك ائيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ فيدخل فيه الكاهن والعراف والمنجم والساحر والتمام والكذاب ونحوهم . فهؤلاء كلهم من حزب الشيطان ، ومن حزبه الرؤساء الظالمون والكبراء الجبارون والعلماء الدجالون والسادات الفسقة وامثالهم . كما قال تعالى ﴿ واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم ، وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آثمهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾ .

ومن حزب الشيطان شارب الخمر والمقامر والمشتغل بالميسر وسدنة الانصاب والضرائح والاصنام والكهنة وأصحاب الازلام ، ومعظموا قبور الاولياء أو الاحجار أو الاشجار أو امثالها . قال الله تعالى في سورة المائدة ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله ﴾ الآية . ثم ان للشيطان خطوات يوحى بها في قلب الانسان الوسواس . فالواجب على العاقل الحازم أن يحتاط في ذلك . ولا يتبع تلك الخطوات فانها مهلكة كما قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا

ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين . انما يأمركم بالسوء
والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون . واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله
قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا لو كان آباءهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴿١٠﴾
وفي سورة النور ﴿١٠﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان
ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر . ولو لا فضل
الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من احد أبداً . ولكن الله يزكي من
يشاء . والله سميع عليم ﴿١١﴾ وهكذا وردت الآيات مؤكدة بعضها بعضا .
وقد فسر الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده في البقرة من تفسيره أحسن
تفسير . وها أنا اذكر هنا خلاصته . قال رحمه الله تعالى . أعلم ان
الواجب على الانسان أن يلتفت الى خواطره ويضع لها ميزانا . فاذا
مالت نفسه الى الخير فعارضه الخاطر المانع فليعلم انه من وحى الشيطان .
واذا هم بدفاع عن حق أو امر بمعروف او نهى عن منكر . فخطر له ما
يثبط عزمه أو يمسك لسانه فليعلم انه من وساوس الشيطان وأظهر وحى
الشيطان الاندفاع الى التحريم والتعجيل لاجل المنافع التي تلبس على
المتجرىء عليها بالمصلحة وسياسة الناس . كانه تعالى قال لا تتبعوا وحى
الشر وخواطره تلم بكم وتطوف في نفوسكم لان الشيطان انما يأمر
بالسوء والفحشاء . أما السوء فهو كل ما يسوءك وقوعه أو عاقبته فمن
الشرور ما يقدم عليه المرء مندفعاً بتزيين الشيطان العمل حتى اذا فعل
الشر فاجأه السوء وعاجله الضرر ومن الاعمال ما لا يظهر السوء في بدايته
ولكنه يتصل بنهايته . كمن يصدده عن طلب العلم ان بعض المتعلمين

أضاع وقته وبذل كثيراً من ماله ثم لم يستفد من التعلم شيئاً فهذا قياس شيطاني يصرف بعض الناس عن طلب العلم بانفسهم : وبعض الآباء عن تلميم أولادهم فتكون عاقبتهم سوءة فلا بد من البصيرة والتأمل في تمييز بعض الخواطر الشيطانية . فان منها ما لا يظهر بادىء الرأي . وأما الفحشاء فكل ما يقبح في أعين الناس من المعاصي والآثام ولا يختص بنحو الزنا واللواط كما قال بعضهم ومن أسوء السوء مبداء وعاقبة ترك الاسباب الطبيعية التي قضت حكمة البارئ بربط المسببات لها . اعتماداً على اشخاص تعتقد فيهم السلطة الغيبية والتصرف في الاكوان بدون اتخاذ الاسباب . ومثله اتخاذ رؤساء في الدين يؤخذ لهم قهولهم ويعتمد على فعلهم . من غير أن يكون بياناً أو تبليغاً لما جاء عن الله وعن رسول الله . فان في هذين النوعين من السوء اهمالا لنعمة العقل وكفراً بالمنعم بها . واعراضاً عن سنن الله تعالى وجهلاً باطرادها . وصاحب هذا صار كمن يطلب من السراب الماء وينعق بما لا يسمع الدعاء والنداء . وهذا شأن متخذي الانداد . * ومن يضل الله فإله من هاد *
وأما الرؤساء الذين يحملون العامة على هذا التقليد في الامرين فقد بين الله تعالى اتباعهم لوحى الشيطان بقوله * وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذا أقبح ما يأمر به الشيطان . فانه الاصل في إفساد العقائد وتحريف الشرائع واستبدال الذي هو ادنى بالذى خير اليس من القول على الله بغير علم زعم هؤلاء الرؤساء ان الله تعالى وسطاء بينه وبين خلقه ، لا يفعل الله سبحانه شيئاً بدون وساطتهم ، فقولوا بذلك قلوب عباده عنه وعن سننه

في خلقه ، ووجهوها إلى قبور لا تعد ولا تحصى ، وإلى عبيد ضعفاء لا يملكون لا أنفسهم نفعاً ولا ضرراً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً أليس من القول على الله بغير علم ما اختلقوه من الحيل لهدم ركن الزكاة ، وهو من أعظم أركان الاسلام ، وأليس من القول على الله بغير علم ما زادوه في أحكام العبادة والحلال والحرام عما ورد في الكتاب والسنة المبينة له ، فكل من يزيد في الدين عقيدة أو حكماً من غير استناد إلى كتاب الله أو كلام المعصوم فهو من الذين يقولون على الله بغير علم . كالزائرات للقبور وما يأتيه هناك من البدع والمنكرات باسم الدين ، وكتشيع الجنائز بقراءة البردة ونحوها بالنعمة المعروفة ، وبحمل المباخر الفضية والاعلام أمامها ، وبالاجتماع لقراءة الدلائل ونحوها من الاوراد بالصياح الخاص ، وكل هذا جاء من استحسان ما عند الطوائف الأخرى ، وليس في الاسلام صبيحة غير صبيحة الأذان ، ولا شك أن كثيراً من البدع في العقائد والاحكام قد دخلت على المسلمين بتساهل رؤساء الدين ، وتوهم انها تقوى اصل العقيدة . وتخضع العامة لسلطان الدين أو لسلطانهم المستند إلى الدين .

ولقد دخلت كنيسة (بيت لحم) فسمعت هناك اصواتاً خيل إلى أنها اصوات طائفة من أهل الطريق يقرؤون حزب البر مثلاً ، ثم علمت أنهم قسيسون . فهذه البدع سرت اليها منهم كما سرت اليهم من الوثنيين استحساناً منهم ما استحسناه من أولئك توهماً أنه يفيد الدين أبهة ونخامة ويزيد الناس به استمسا كما فكان أن ترك الناس مهمات الدين اكتفاءً

بهذه البدع ، فان أكثر الصائمين في الاضرحة وقياب الاولياء وفي الطرق والاسواق بالاوراد والاحزاب لا يقيمون الصلاة. ومن عساه يصلي منهم فانه لا يحرص على الجماعة بعض حرصه على الاجتماع للصياح بقراءة الحزب في ليلة الولى فلان. واستوحشوا من شعائر الدين والسنن، حتى ظهر فيهم تأويل قوله عز وجل ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلِ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ فلو كان للمقلدين الجامدين قلوب يفقهون بها لكانت هذه الحكاية كافية بأسلوبها لتنفيرهم عن التقليد، فانهم في كل ملة وجيل يرغبون عن اتباع ما أنزل الله استئناساً بما الفوه مما الفوا آبائهم عليه وحسبك بهذا شناعة، إذ العاقل لا يؤثر على ما أنزل الله تقليد أحد من الناس مهما كبر عقله وحسن سيره إذ ما من عاقل الا وهو عرضة للخطأ في فكره، وما من مهتد إلا ويحتمل أن يضل في سيره، فلا ثقة في الدين إلا بما أنزل الله. ولا معصوم إلا من عصمه الله. فكيف يرغب العاقل عما أنزل الله إلى اتباع الآباء مع دعواه الايمان بالتنزيل فابعد الناس عن معرفة الحق المقلدون الذين لا يبحثون ولا يستدلون، لانهم قطعوا على أنفسهم طريق العلم، وسجلوا على عقولهم الحرمان من الفهم. فهم لا يوصفون باصابة لان المصيب هو من يعرف أن هذا هو الحق، والمقلدانما يعرف أن فلاناً يقول ان هذا هو الحق. انتهى. قلت وسأفصل باقى خطوات الشيطان فى القول فى الصراط المستقيم انشاء الله تعالى.

ومن صفات الشيطان الانسراف والتبذير: ومنع حق ذوى الحقوق

كثر كالتفتات الى ذوى القربى والمساكين وابن السبيل . كمال غالب
الاغنياء والسادات والامراء في هذه الاوقات : قال الله تعالى في سورة الاسراء
(وآت ذائقربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا : إن المبذرين
كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)
ومن صفات الشيطان مخالفة أمر الله والتشبه بالكفار والفساق
والظلمة والغفلة وترك المبالاة بالسنن النبوية والآداب الشرعية والاخلاق
الانسانية . ولهذا مثل النبي ﷺ من يأكل ويشرب بشماله شيطانا ومن
يمر بين يدي المصلى بلا ضرورة شيطانا كآكثر الجهلة في الحرمين :
فانهم يمرون بين يدي المصلى مرور الشيطان في قلوب بني آدم . ويأكلون
ويشربون بالشمال كأنهم من أهل الشمال : وكذا ترى أكثرهم يمسك كتابه
بشماله ونعله بيمينه . وزيادة عليه إذا نبهته يماند ويتكبر . وقد روى الامام
البيخارى ومسلم وأصحاب السنن وأحمد فى مسنده ومحمد فى موطأه عن
أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال أن رسول الله ﷺ قال اذا كان احدكم
يصلى فلا يدع احداً يمر بين يديه فان ابى فليقاتله فانما هو شيطان . وقد
اخرج مسلم وابوداود ومالك ومحمد فى موطأهما واحمد فى مسنده عن عبد الله بن
عمر رضى الله عنهما انه قال ان رسول الله ﷺ قال - إذا أكل أحدكم فليأكل
بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله .
وقد ذكر العلامة ابن القيم فى الجواب الكافى أشياء مما يخص الشيطان
من أوصافه . فها أنا أذكرها لتتميم الفائدة . قال رحمه الله تعالى الصفات
الشيطانية التى هى أصل الشرك . العظمة والكبر والجبروت والقهر والعلو

والظلم واستعباد العباد ونحو ذلك . والتشبهه بالشیطان الحقد والحسد
والبغى والغش والغل والخداع والمكر والامر بمعاصى الله وتحسينها .
والسب عن طاعة الله وتجنبها . والابتداع فى دینه والدعوة الى البدع والضلال
وقد أوصى الشیطان بنیه . وقال استعينوا يا بنى یحندین عظیمین
لن تغلبوا معهما جند الغفلة فاغفلوا قلوب بنى آدم عن الله تعالى والدار الاخرة
بكل طریق فليس لكم شیء أبلغ فى تحصيل غرضكم من ذلك فان القلب اذا
غفل عن ذكر الله تعالى تمكتم منه . الثانى جند الشهوة فزینوها فى قلوبهم
وحسنوها فى أعینهم واستعينوا على الغفلة بالشهوات وعلى الشهوات
بالغفلة . وأقرنوا بین الغافلین .

واعلم أن أبلغ أسلحة الشیطان الشهوة والغضب فادعوه الى الشهوة من
باب البغضب . والى الغضب من طریق الشهوة . وإنما أخرجت ابویهم من
الجنة بالشهوة وإنما القیت العداوة بینهم و بین اولادهم بالغضب . فیه قطعت
ارحامهم وسفکت دماءهم : وان الغضب جرة فى قلب ابن آدم . والشهوة نار
تورق فى قلبه . وإنما تطفأ النار بالماء والصلاة والذكر والتكبير . فایاکم ان تمکنوا
ابن آدم عند غضبه وشهوته من قربان الوضوء والصلاة فان ذلك یطفئ
عنه نار الغضب والشهوة .

وأوصى ابلیس بنیه . وقال انما المتكلم بالباطل أخ من أخوانکم . ومن
اکبر جندکم وأعوانکم . وان الساکت عن الحق أخ لكم آخرس كما ان الاول
أخ لكم ناطق . وربما كان الاخ الثانى أنفع أخوانکم لكم . أما سمعتم قول
الناصح . المتكلم بالباطل شیطان ناطق . والساکت عن الحق شیطان .

أخرس . فالرباط الرباط على هذا الثغر ان يتكلم بحق او يمسك عن باطل .
وزينوالة التكلم بالباطل بكل طريق . وخوفوه من التكلم بالحق بكل طريق
قال العبد الضعيف محمد سلطان المستعيز بربه العليم القادر من شر
الشیطان الرجيم الغادر فقد تبين بيا ناغشافيا كافيا أن الشيطان قد تصدى
للإضلال والافساد والوسوسة من كل طريق وباب . وكذا شياطين الانس
من قسوس النصرارى ورهبان الدير ومبشریهم وخاذام اليهود وبطارقتهم
واحبارهم . ولاما الهنود البوديين وكهنتهم : والآئمة المضلين والعلماء
الدجالين والمشائخ الجهلة البطالين الخرافيين . والرؤساء الظلمة المنهمكين
فى الشهوات . والكبراء والسادات والشرفاء الذين يتكبرون ويتجبرون
قيتدعون ويفسدون . كما أشار الامام الجليل عبد الله بن مبارك الى كل
ذلك حيث قال

وهل أفسد الدين الا الملوك وأحبار سوء ورهبانها
وقد أوضح العلامة محب الدين الدمشقى فى كتابه خلاصة الاثر فى
أعيان القرن الحادى عشر احوالهم وقال ان علماء زماننا يدعون ويتقولون
بالسننهم انهم مقتدى الانام وورثة الانبياء الكرام واما أعمالهم ولسان
حالهم تترنم بهذا البيت . وهو صادق عليهم .

وكننت فتى من جند إبليس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندى
ويشهد لهذا ما ذكره العلامة الصالح الشيخ احمد السرهندي فى غير
موضع من مكتوباته ان كل شر وفساد وضلال واضلال انما حدث من شؤم
العلماء السوء . وماشتت شمل المسلمين الا العلماء السوء فهؤلاء هم الذين

خربوا المسامين وديارهم . وصاروا سبياً لاستيلاء الكفار الاشرار . حتى
أته رأى واحد من الاعزة ابليس اللعين فارغاعن الوسوسة والاغواء .
فسأله عن سر قعوده فارغا . فقال إبليس اللعين ان علماء هذا الزمان قد
تكفلوا لى بالاضلال حتى جعلوني فارغا . الخ وكان هذا المؤلف فى رأس
الالف . فاطنك بزماننا هذا سنة ١٣٥٥

ومما يشهد لهذا الباب ما ذكره ابن الجوزى فى كتابه تلبس ابليس
قال بعض السلف رأيت الشيطان فقال لى كنت ألقى الناس فاعلمهم
فصرت ألقاهم فاتعلم منهم الخ . قلت ولهذا كان النبى ﷺ يحذر أمته
عن امثالهم حيث قال « انما أخاف على امتى الأئمة المضلين وسيكون
علماء دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم واياهم
لا يضلونكم » الحديث .

ولا يوضح المقام اذ كر لكم قصة من قصص ابليس لتعرفوا كيف
صنعه ووسوسته وديسته واضلاله . فاستعينوا بالله من شرهم ووسوستهم
فانه اعدى عدوكم . كما حكى الامام الحافظ العماد بن كثير فى تفسيره فى
قوله تعالى فى سورة المجادلة ﴿ كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما
كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما انها
فى النار خالدن فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾ وهالك بالاختصار : قال على
واىن عباس رضى الله عنهم كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا . كان
يتعبد الله فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين ، وان
ابليس اعياه امره فجمع ذات يوم مرده الشياطين فقال ألا اجد أحداً منكم

يكفينى أمر برصيصة . فقال الابيض وهو صاحب الانبياء انا اكفيك
أمره . فانطلق فزين بزينة الرهبان وأنى صومعة برصيصة واقبل على
العبادة فى اصل صومعته فلما انقل برصيصة اطلع من صومعته فرأى
الايض قائماً يصلى فى هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من
حاله أعجبه واحبه واكرمه وقال له ما حاجتك وقال حاجتى انى احببت
أن اكون معك فاتأدب بك ، واقتبس من علمك وعملك ونجتم على
العبادة فتدعولى وأدعوك ، وأقبل هو يصلى الى جنبه الى اربعين
يوماً فلما رأى برصيصة شدة اجتهاده قال ما حاجتك قال حاجتى أن تأذن
لى فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه فى صومعته ، فقام معه حولا يتعبد
لا يفطر الا فى كل اربعين يوماً ، ولا ينفصل عن صلاته الا فى كل اربعين
يوماً مرة ، وربما مد الى الثمانين . فلما رأى برصيصة اجتهاده تقاصرت
اليه نفسه واعجبه شأن الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصة
انى منطلق فان لى صاحباً غيرك اعبد منك وظننت أنك اشد اجتهاداً
مما أرى وكان يباغنا عنك غير الذى رأيت ، فدخل من ذلك على برصيصة
امر شديد وكره مفارقتة للذى رأى من شدة اجتهاده فلما ودعه قال
له الابيض ان عندى دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير مما أنت فيه
يشفى الله بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون . فعلم ثم انطلق حتى اتى
ابليس فقال والله قد اهلكك الرجل ثم انطلق الابيض فتعرض لرجل
نخنة ثم جاءه فى صورة رجل متطيب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا
أفأعالجه قالوا نعم ، فقال انى لا أقوى جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو

به اجاب فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكليات فذهب عنه
الشیطان فكان الابيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشد الى برصيصا
فيدعو فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني
اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم في صورة متطرب فقال لهم أتريدون
أن أعالجها قالوا نعم قال الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم
الى رجل تثقون به تدعونها عنده اذا جاءها شيطانها دعا لها حتى تعلموا
أنها قد عوفيت فتردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف
لنا أن يجيئنا الى هذا وهو أعظم شأننا من ذلك فانطلقوا بها اليه وقالوا
هذه اختنا أمانة فاحتسب بها ثم انصرفوا فلما انقتل برصيصا من
صلاته عين الجارية وما بها من الحسن والجمال فوقعت في قلبه ودخل
عليه أمر عظيم ثم أقبل في صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا
بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان
فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان
فخنقها وكانت تكشف عن نفسها فقال الشيطان أما تشوف هذه واقعها
فستتوب بعد ذلك والله تعالى غفار الذنوب والخطايا فلم يزل به حتى تحركت
شهوته وقام ذكره واشتد فواقعها فلم يزل يواقعها حتى حملت وظهر
حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فاقتلها وادفنها فان
سألوك فقل ذهب بها شيطانها فقتلها ودفنها في جانب جبل ليلا فاخذ
الشیطان بطرف ازارها حتى ابقاه خارجا من التراب ثم رجع برصيصا
الى صومعته فاقبل على صلاته فالحم الشيطان الى أوليائها فذهبوا عند

برصيصا وسألوه عنها فاجاب بان شيطانها قد ذهب بها فدل الشيطان الى موضع دفنه فانطلقوا اليه فرأوا أختهم كما الهموا فجمعوا مواليتهم وعلماءهم فهدموا صومعته وكتفوه فأقر على نفسه فامر الملك بقتله وصلبه فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا أتعرفني أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات فاستجيب لك ، فقال كيف اصنع الآن ، قال تطيبه نى فى خصلة واحدة حتى انجيك مما أنت فيه ، فأخذ باعينهم فاخرجك من مكانك ، قال وما هى قال تسجد لى ، قال ما أستطيع أفعل قال بطرفك افعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذى كنت أردت منك ، صارت عاقبة امرك الى أن كفرت بربك انى برىء منك انى اخاف الله رب العالمين انتهى وكذا ذكره الامام البغوى فى تفسيره

قال الجامع المعصومى عفا الله عنه فانظروا يا أيها العقلاء الى هذه الحكاية بعين الاعتبار وتفكروا فيها كيف وساوس الشيطان ودسائسه وكيف أظهر نفسه زاهداً وعابداً وصوفياً وناجحاً وكيف امر خرق العادة وما يزعمه الناس كرامات ، واذا تدبرت فى أحوال غالب العلماء ومشائخ الطرق ومن يدعى الزهد والعبادة تجدم من حزب ذلك اللعين فانهم الذين أخرجوا الناس عن الصراط المستقيم وادخلوهم الى طريق الجحيم ، فتراهم العياذ بالله صاروا شركاء لله ويدعون التصرف فى الكون فصارت العوام بل من هم فى صورة الخواص يصدقونهم ويعتقدون فيهم وينذرون اليهم ويبذلون فى سبيلهم نفسهم ونفيسهم الى أن صاروا يعتقدون بعد موتهم انهم احياء يعامون الغيب ويتصرفون فى الامور

وان الامور بيدهم فيطلبون منهم قضاء حوائجهم وحصول مرادهم وقد يتمثل الشيطان بصورة الشيخ ويتكلم ويدعو ويقضى الحاجة . كما يحكمون ان الاعمى اوالمقعدا اذا ذهبوا به الى بلخ من بلاد افغانستان . وطاف على ضريح مزعومهم على بن ابي طالب رضى الله عنه احد واربعين مرة يذهب عميه وينجلى بصره وزال فلجه . وهكذا يفعل الشيطان فيوقعهم في خيال الضلال . وقد ترى الجهال بل الذين يزعمون العلم والزهد ينتنون على قبورهم العمارات العاليات والقبب الفاخرات . ويرغبون الناس الى الزيارة والطواف حولها كالكعبة فيقبلون القبر والعتبة بل يسجدون اليها . كما تفعله الهنادكة الوثنيون والبوذيون والسيكة في بلاد الهند والصين لاصنامهم . فترى الجهال في بلاد الهند يحجون في كل عام الى قبر الشيخ معين الدين الجشتى فى اجير من كل فج عميق . ويقصدون حج كربلا وبغداد لزيارة الامام حسين رضى الله عنه وقبر الشيخ عبد القادر الجيلانى . ويزعمون انه الغوث الاعظم فيستغيثون به ويطلبون منه قضاء حوائجهم . وفى بخارى الى قبر بهاء الدين النقشبند . وفى تركستان الى قبر الخواجه احمد اليسوى . ويسمون موسمه الخلوة . وفى كاشغر الى قبر آفاق خواجه . وفى مصر الى قبر الابدوى . وهكذا فى عامة البلاد ابتلى المسلمون بامثال هذه الجهالات والضلالات وحصل الابلis منهم مراده . وهو الكفر والشرك .

وكذلك تداخل فيما بين المسلمين كثير من شياطين المبشرين من اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين والدهريين واظهروا انفسهم

علماء وزهادا . واطهر واالتصوف . وادعوا الاسرار والكشوف .
واشاعوا ان الحقيقة غير الشريعة فبنوا زوايا وخانقاهات : فاجتمع
حولهم الجهال وشايعهم بعض حملة المائمه فتصوفوا وادخلوا في المسلمين
دسائسهم الى ان اخرجوهم من الايمان الصحيح . وادخلوهم في الكفر
والشرك الصريح : وهؤلاء لا يعلمون بل يدعون الدين والحقيقة .
والفوا كتبيا ورسائل في مدح ذلك فعم بذلك الفساد حتى وقع المسلمون
فيما وقعوا لان من الخسار والبوار والافتراق والانشقاق ومن رؤس
هؤلاء الشياطين في هذه الازمان الاخيرة الدجال ميرزا احمد القادياني .
وموسى بيكي جار الله الروسي التاتاري . وامثالهما من رؤساء الطرق
وغيرهم . فالحذر كل الحذر منهم ومن دسائسهم وكتبهم ورسائلهم .
فيجب على كل مكلف التعمود بالله منهم . والتيقظ لدسائسهم . وانما
يعرف ذلك بميزان الكتاب والسنة الصحيحة . وما يثبتته العقل السليم
والحاصل ان دسائس الشياطين كثيرة . وطرق وساوسهم عديدة
فيجب على العاقل البصير ان يتعمود بالله دائما من شر هؤلاء الشياطين .
فانه لا عاصم ولا حافظ منهم الا الله الذي خلقهم واذا اردت ان تعرف
الامور الشيطانية عن الامور الرحمانية فزنها بميزان الكتاب والسنة
فما وافقها فهو الحق الرحماني . وما خالفها فهو الباطل الشيطاني ولا يغرنك
طيران صاحبه على الهراء . او مشيه على الماء دون ان تبطل قدماه . فان
الشیطان يحملهم ويطيرهم كما صرح به عامة علماء السلف ومحققى الخلف
ثم اعلم ان كل شيء قبيح او فعل قبيح ينسب الى الشيطان . لانه لما استكبر

وكفر بامر به الذي خلقه فقد ارتكب اقبح المعصية . فاستحق اللعن والطرده
فاتصف باقبح الصفات فكل قبيح لاشك انه شيطاني وكل جميل وحسن
فلاشك انه رحمانى . وها انا اذ كراك قصة لطيفة عجيبة . وهى ما ذكره
الشيخ برهان الدين ابراهيم الكنتي المعروف بالوطواط فى كتابه (غرر
الخصائص الواضحة) أن عثمان بن بحر المعروف بالجاحظ . كان دمىم
الصورة وقبيح الوجه نائى العينين . يحكى عنه أنه قال ما أخجاني أحد
قط الا امرأة أخذت ييدى وحملى الى نجار . وقالت له مثل هذا . ثم
تركنتى وانصرفت ، فبقيت متعجباً من أخذها الى مثالا . فسألت الصانع
فقال ان هذه المرأة سألتنى أن أصنع لها مثال شيطان تفرع به ولدها ،
فقلت لها انى لم أر شيطاناً قط حتى اعلم على مثاله ، وطلبت منها مثالا
فقال أنا آتيلك به . فجاءتنى بك . انتهى . والاحاديث النبوية تدل على
ذلك أيضاً ، أن كل كرية المنظر وقبيح الصورة يسمى شيطان . كما ورد
أن الكلب الاسود شيطان . والداية المتبختره شيطان ، وكل مفسد
شيطان ؛ وكل فتان وبطل ودجال شيطان ؛ فان كان الامر هكذا فينبغى
أن يلاحظ المستعبد هذه الامور كلها . فيتعوذ بالله من شرها ؛ ويشترط
للقبول والتأثير وظهور النتائج ملاحظة جميع الامور المذكورة معتقداً
بقدره الله تعالى ومخلصاً له تعالى وجازماً بأنه لا يقدر أحد على دفع الشيطان
والحفظ من شره إلا الله الذى خلقه وسلطه على عباده ابتلاءً وامتحاناً
لا معصوم إلا من عصمه الله ، ولا محفوظ الا من حفظه الله ، ولا مهتدى

إلا من هداه الله ؛ فنستعيز بك يا ربنا من شرور الشياطين ، فعذنا
يا ربنا انك على كل شيء قدير .

فان قلت لم يقدمون التعمود على التسمية قلت انما يقدمون
التعمود على التسمية لكون التخلية مقدمة على التحلية كما أنك تصفى
قلبك عن الآلهة الآفاقية والانفسية . ونخليه عن كل العبودات
بقولك لا إله فيمد ذلك تخليه باثبات الآله الواحد الحق والمعبود
المستحق للعبادة بقولك الا الله . فثبت أن التخلية مقدمة على التحلية ،
كما أنك اذا أردت أن تداوى المريض وتعالجه تسقيه أولاً مسهلاً
لاخراج الفضلات وتنظف الجروح من القروح . وتقطع الآكلة أولاً
ثم تداويه باستعمال الدواء ؛ فينتفع الدواء والتداوى ؛ ثم يتغذى بالغذاء
فيتقوى . وأما اذا استعملت الغذاء قبل ازالة المرض فربما يضرك الغذاء
ولو كان ألد الاغذية وانفسها ؛ وربما يكون سبباً لزيادة المرض فيهلكك
فثبت أن التخلية مقدمة على التحلية وكما أنك اذا أردت ان تبني في محل
بناء تصلح المحل أولاً وتنظفه . ثم تؤسس وتبني ؛ او اذا أردت ان تزين
بيتاً وتفرشه بالافرشة تكنسه أولاً وتنظفه ثم تزين ، وتفرش فتسكن
وتستريح ؛ فثبت بهذا أيضاً أن التخلية مقدمة على التحلية ؛ وكما اذا
أردت ان تطبخ طعاماً في قدر تغسله أولاً وتنظفه ثم تجعل فيه اسباب
الطبخ . أو اذا أردت أن تنقل الطعام الى الصحن والقصعة والطبق
والكأس تغسل أولاً وتنظف تلك الاواني ثم تحط فيها الطعام . وكما أنك
إذا أردت أن تزين نفسك وتلبس الالبسة الحسنة الجميلة تنزع أولاً

الالبسة الخلقة الدنسة والوسخة وتغتسل وتنظف بدنك . ثم تلبس الثياب الجميله فتزين بها . فثبت ان التخليه مقدمة على التحلية .
فاما كان الامر كذلك وهو قاعدة كلية مطردة اقتضتها حكمة الباري تعالى ؛ وجرت عليها سنن الكون ؛ يلزم على قارئ القرآن خصوصاً ؛ وعلى جميع المسلمين في جميع الحالات عمومًا ، أن يطهروا ألسنتهم ويصفو بواطنهم عن الاقوال والافعال الخبيثة الشيطانية قائلًا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ فيقطعوا عنق الشياطين بسيف التعوذ إلى الله فيكونون غزاة يستحقون الاجر والغنيمة ؛ وهو الفضل والرحمة الالهية ؛ فيدخلوا في رحمة الله بفتح بابها بمفتاح بسم الله الرحمن الرحيم ، فينالون رضاء الله تعالى ويستحقون جنات النعيم فيما ربنا نتعوذ بجنابك ونلتجىء إلى رحمتك فاحفظنا من شر شياطين الجن والانس والنفس والهوى ولا تكلنا إلى نفسنا طرفة عين . ووقفنا ياربنا لما تحبه وترضاه ، فانك حسينا واليك أنبنا واليك المصير ويارب ارحم عبدك الفقير اليك والمهاجر من دار الشرك إلى حرمك وعوضه عن كل ما صودر عنه بأحسن ما عوضته عبادك الصالحين ، وآته في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقه عذاب النار . آمين .

فصل

في أحكام بسم الله الرحمن الرحيم وفضائله
اعلم ان أول ما انزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ﷺ ان أمره بالقراءة مبتدئًا ومستعينًا باسم ربه الذي خلق حيث قال ﴿ اقرأ باسم ربك

الذى خلق ﴿ وهذه الآية تقتضى بظاهرها وجوب الابتداء باسم الله فى القراءة وسائر الاعمال الشريفة . وقد ذكر السلف الصالحون فى هذه المسألة ما ظهر لهم وبدأ وانا اذ كر خلاصة ما ذكره بحول الله وقوته وفى سورة المزمل ﴿ واذ كر اسم ربك وبتل اليه تبتيلا ، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾ وفى سورة الدهر ﴿ واذ كر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴾ وفى سورة النمل ﴿ انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وفى سورة هود حكاية عن نوح عليه السلام ﴿ بسم الله مجربها ومرساها ﴾ فهذه الآيات تفيد الاهتمام بذكر اسم الله فى أول كل أمر من صلاة ودعاء وأكل ومشى وقراءة وكتابة ، وتشرحها أحاديث الرسول ﷺ وتفسرها تفسيراً . روى الترمذى والدارقطنى والحاكم وابن خزيمة والخطيب فى المشكاة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته بيسم الله الرحمن الرحيم . وروى الدارقطنى فى سننه وذاكره السيوطى فى الدر المنثور عن على بن إبي طالب رضى الله عنه أنه قال قال رسوله الله ﷺ « كيف تقرأ اذا قمت إلى الصلاة ؟ قلت : الحمد لله رب العالمين ، قال قل بسم الله الرحمن الرحيم » وذاكره السيوطى فى الدر المنثور والجامع الصغير وقال ذكره عبدالقادر الزهاوى فى كتاب الاربعين باسناد حسن عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم اقطع » وفى رواية أجزم . وافتتح الصحابة رضى الله عنهم كتاب الله بيسم الله

الرحمن الرحيم . والنبي ﷺ كان يفتح كل أعماله وأقواله بيسم الله الرحمن الرحيم . وأنه قد ثبت في صحيح البخارى انه ﷺ كان يفتح به كتبه ورسائله الى الملوك والقيصرة . فبدأ كتابه الذى أرسله الى هرقل قيصر الروم (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم أسلم تسلم) الحديث والاحاديث فى هذا الباب كثيرة . وفيما ذكرناه كفاية .

قال إمام المحققين فى هذا القرن الشيخ محمد عبده رحمه الله فى تفسيره :
اعلموا ان القرآن أمامنا وقدوتنا . فافتتاحه بيسم الله الرحمن الرحيم ارشاد لنا بان يفتح أعمالنا بها فما معنى هذا ليس معناه ان نفتح أعمالنا باسم من أسماء الله تعالى بان نذكره على سبيل التبرك والاستعانة به . بل بان نقول هذه العبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) فانها مطلوبة لذاتها . ومثل هذا التعبير مألوف عند جميع الامم ومنهم العرب . وهو ان الواحد منهم اذا أراد أن يفعل أمراً لاجل أمير او عظيم بحيث يكون متجرداً من نسبته اليه ومنسأخاً عنه يقول عمله باسم فلان . ويذكر اسم ذلك الامير او السلطان . لأن اسم الشئ دليل وعنوان عليه . فاذا كنت تعمل عملاً لا يكون له وجود ولا عنه اثر . لولا السلطان الذى به أمر . أقول ان عملي هذا باسم السلطان . اى انه معنون باسمه ولولاه لما عملته . فعنى ابتدئ عملي (بسم الله الرحمن الرحيم) اننى أعمل بامر له لالى . ولا أعمل باسمى مستقلاً به على اننى فلان فكانى أقول ان هذا العمل لله لا لحظ نفسي .

وفيه وجه آخر . وهو ان القدرة التي أنشأت بها العمل هي من الله تعالى . فلو لا ان منحني منها لم أعمل شيئاً فلم يصدر عنى هذا العمل الا باسم الله ولم يكن باسمى . اذ لولا ما أتاني من القوة علميه لم أستطع أن آتيه ، وقد تم هذا المعنى بلفظ (بسم الله الرحمن الرحيم) كما هو ظاهر وحاصل المعنى انى أعمل عملي متبرأ من أن يكون باسمى بل هو باسمه تعالى . لانى أستمد القوة والعناية منه ، وأرجو احسانه عليه فلولا له لم أقدر عليه ولم أعمله ، بل وما كنت عاملاً له على تقدير القدرة عليه لولا أمره ورجاء فضله فلفظ الاسم معناه مراد ، ومعنى لفظ الجلالة مراداً أيضاً ، وكذلك كل من لفظ الرحمن والرحيم ، وهذا الاستعمال معروف ومألوف فى كل اللغات ، وأما به اليكم اليوم ماترون فى المحاكم النظامية حيث يبتدئون الاحكام قولاً وكتابة باسم السلطان فلان

ومعنى البسملة فى الفاتحة ان جميع ما يقرر فى القرآن من الاحكام والآيات وغيرها هو لله ومنه ليس لاحد غير الله فيه شىء ، ثم اختلفوا فى البسملة هل هى آية مستقلة من أول الفاتحة كما هو عند الجمهور من قراء الكوفة وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من الخلف ، أو بعض آية ، أو لا تعد من أولها بالكافية كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء ، وقال الحافظ ابو بكر احمد بن موسى بن مردويه فى تفسيره بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ، الحمد لله رب العالمين ، سبع آيات ، (بسم الله الرحمن الرحيم) احدها . وهى

السبع المثاني والقرآن العظيم . وهي ام الكتاب وفاتحة الكتاب . وقد رواه الدارقطني ايضا . وقال كل رواه ثقات . وكذا رواه البهقي عن علي وابن عباس وابي هريرة رضی الله عنهم .

وذكر العلامة ابن كثير في تفسيره . ان بسم الله الرحمن الرحيم افتتح بها الصحابة كتاب الله . واتفق العلماء على انها بعض آية من سورة النمل ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في اول كل سورة . او انها بعض آية من كل سورة او أنها كذلك في الفاتحة . دون غيرها أو انها انما كتبت للفصل لانها آية على اقوال للعلماء سلفا وخلفا .

فصل

في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم مفصلا

فالله كما بينا في ما سبق في التعمود انه اسم علم لله تعالى . وانه ليس بمشتق البتة . وهو قول الخليل وسيبويه وقول اكثر الاصوليين والفقهاء وقالت جماعة انه مشتق . والاله مشتق من الهت الى فلان اي سكنت اليه فالعقول لا تسكن الا الى ذكره والارواح لا تعرج الا بمعرفته . وبيانه ان الكمال محبوب لذاته . وما سوى الحق فهو ناقص لذاته . والناقص لا يكمل الا بتكميل الكامل بذاته . والكامل بذاته هو الحق تعالى وحده . او انه مشتق من الوله وهو ذهاب العقل . يعني ان كل الخلق والهون في معرفة ذاته تعالى او انه مشتق من لاه اذا ارتفع . والحق سبحانه وتعالى هو المرتفع عن مشابهة الممكنات لان الواجب لذاته ليس الا هو . والكامل لذاته ليس الا هو . والموجد لكل ما سواه ليس الا هو

واعلم ان الاسم الاعظم هو الله . وله خاصية لم توجد في سائر اسماء الله تعالى . لان كلمة الشهادة التي بسببها ينتقل الكافر من الكفر الى الاسلام لم تحصل الا بهذه الكلمة . فلو ان الكافر قال أشهد ان لا اله الا الرحمن او الا الرحيم او الا الملك او الا المالك او الا القدوس ونحوها لم يخرج من الكفر ولم يدخل في الاسلام . واما اذا قال اشهد ان لا اله الا الله فانه يخرج من الكفر ويدخل في الاسلام . وهذه خاصية عظيمة شريفة اختص بها لفظ الله . وكان النفس في الدنيا نافع وضروري فلو انقطع عن الانسان لحظة لمات في الحال . وكذلك معرفة الله تعالى والايان به أمر لا بد منه في الدنيا والآخرة . فلوزالت عن القلب لحظة لمات للقلب لا محالة فيبقى لله ابدا لا بد . وكذا حقه العلامة الفخر الرازي في تفسيره الكبير الشهير بمفاتيح الغيب .

واما الرحمن والرحيم فاشتقان من الرحمة . وهي معنى يلم بالقلب فيبعث صاحبه ويحمله على الاحسان الى غيره . وهو محال على الله تعالى بالمعنى المعروف عند البشر . لأنه في البشر ألم في النفس شفاؤه الاحسان . والله سبحانه منزّه عن الآلام والانفعالات . فالمعنى المقصود بالنسبة اليه تعالى من الرحمة اثرها وهو الاحسان . والجمهور على ان معنى الرحمن المنعم بجلائل النعم . ومعنى الرحيم المنعم بدقائقها . وقال بعضهم ان الرحمن هو المنعم بنعم عامة تشمل الكافرين مع غيرهم . والرحيم المنعم بالنعم الخاصة بالمؤمنين . والذي أقول ان صيغة فعلان تدل على وصف فعلي فيه معنى المبالغة كفعال . وهو في استعمال اللغة للصفات العارضة

كمطشان وغرثان وغضبان . وأما صيغة فعيل فانها تدل في الاستعمال على المعنى الثابتة كالاخلاق والسجايا في الناس كعظيم وحكيم وحليم وجليل وجميل . والقرآن لا يخرج من الاسلوب العربي البليغ في الحكاية عن صفات الله عزوجل التي تعلق عن مماثلة صفات المخلوقين . فلفظ الرحمن يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل . وهي افاضة الرحمة والنعيم والاحسان . ولفظ الرحيم يدل على منشاء هذه الرحمة والاحسان . وعلى انها من الصفات الثابتة الواجبة . وبهذا المعنى لا يستغنى باحد الوصفين عن الآخر . ولا يكون الثاني مؤكداً للاول . فاذا سمع العربي وصف الله جل سلطانه وثنائه بالرحمن وفهم منه انه المفيض بالنعيم فعلا لا يعتقد منه ان الرحمة من الصفات الواجبة له دائماً . لان الفعل قد ينقطع اذا لم يكن عن صفة لازمة ثابتة وان كان كثيراً . فعند ما يسمع لفظ الرحيم يكمل إعتقاده على الوجه الذي يليق بالله تعالى ويرضيه سبحانه . ويعلم ان لله صفة ثابتة هي صفة الرحمة التي عنها يكون أثرها . وان كانت تلك الصفة على غير مثال صفات المخلوقين . ويكون ذكرها بعد الرحمن كذكر الدليل بعد المدلول ، ليقوم برهاناً عليه انتهى محمد عبده في تفسيره

وذكر العلامة العباد بن كثير في تفسيره الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، ورحمن اشد مبالغة من رحيم وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا ، والدليل على انه مشتق ما أخرجه الترمذى وصححه بسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول ﴿ قال الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم ،

وشققت لها اسما من اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته قال وهذا نص في الاشتقاق ، فلامعنى للمخالفة والشقاق ، قال ابو على الفارسي الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى ، الرحيم انما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ وقال ابن عباس رضى الله عنهما هما اسمان رقيقان احدهما أرق من الآخر ، اي أكثر رحمة ولهذا قال تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فذكر الاستواء باسم الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته ، وقال ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ فخصهم باسمه الرحيم ، قالوا فدل على ان الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه والرحيم خاصة بالمؤمنين ، لكن جاء في الدعاء المأثور (رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما) واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يسم به غيره

وقال العلامة ناصر الدين البيضاوي في تفسيره ، الرحمن الرحيم اسمان بنيا المبالغة ؛ ومعناهما المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها . وهذا خاص له تعالى لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه . وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشرائره الى جناب القدس تبارك وتعالى ويتمسك بحبل التوفيق . ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره .

(فصل في فضائل بسم الله الرحمن الرحيم وخواصه)

وقد نقل الحافظ العماد ابن كثير في تفسيره . وقال وقد روى
الامام ابو محمد عبدالرحمن بن ابى حاتم في تفسيره بسنده عن ابن عباس
رضى الله عنهما ان عثمان بن عفان رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ
عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من اسماء الله تعالى . وما بينه
وبين اسم الله الاكبر الا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب
وهكذا رواه ابو بكر ابن مردويه . وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنه
وحلف الله تعالى بعزته وجلاله ان لا يسمى اسمه على شيء الا بارك فيه
وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه . من اراد ان ينجيه الله تعالى من
الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم . فيجعل الله له من
كل حرف منها جنة من كل واحد . وقال الامام احمد في مسنده بسنده
عن عاصم قال سمعت ابا تميمة يحدث عن رديف النبي ﷺ قال عثر
بالنبي ﷺ فقلت تعس الشيطان . فقال النبي ﷺ لا تقل تعس
الشيطان . فانك اذا قلت تعس الشيطان تعاضم . وقال بقوتى صرخته
واذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم تصاعر حتى يصير مثل الذباب . وكذا
رواه النسائي في عمل اليوم والليلة . وابن مردويه في تفسيره فهذا من
تأثير بركة بسم الله الرحمن الرحيم . ولهذا تستحب في اول كل عمل لما جاء
كما ذكرنا (كل امر لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اجزم)
كالاكل والجماع لما في مسلم ان رسول الله ﷺ قال لربيعة عمر بن ابى
سلمة رضى الله عنها قل بسم الله وكل يمينك وكل مما يليك . وعن

ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال (لو ان احدكم اذا اراد ان يأتى اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان ابداً) فالمشروع ذكر اسم الله فى اول الشروع فى القيام او القعود او الاكل او الشرب او القراءة او الوضوء او الصلاة او دخول الدار او البيت او غيرها تبركا او تيمنا واستعانة على الاتمام والتقبل والبركة والله اعلم ولهذا روى ابن جرير وابن ابى حاتم بسندهما عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان اول ما نزل به جبريل على محمد ﷺ قل يا محمد (استعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له جبريل بسم الله يا محمد اقراء بذكر الله ربك . وقم . اقعد بذكر الله تعالى .

وذكر العلامة الفخر الرازى فى تفسيره الكبير . ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة قال بسم الله مجريها ومرساها ، فوجد النجاة بنصف هذه الكلمة ، فمن واظب على هذه الكلمة طول عمره كيف يبقى محروما عن النجاة ، وايضا ان سليمان عليه السلام نال مملكة الدنيا والآخرة بقوله (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فالمرجو ان العبد اذا قاله فاز بملك الدنيا والآخرة .

واعلم أن بسم الله الرحمن الرحيم فيها الاسماء الثلاثة والحكمة فى ذكرها ان المخاطبين ثلاثة اصناف كما قال تعالى ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ فقال انا الله للسابقين . الرحمن للمقتصدين الرحيم للظالمين ، وايضا الله هو معطى العطاء والرحمن هو المتجاوز عن

زلات الاولياء ، والرحيم هو المتجاوز عن الجفاء ، ومن كمال رحمته كأنه تعالى يقول : اعلم منك ما لو علمه ابواك لفارقاك . ولو علمته المرأة لجفتك ولو علمته الامة لا قدمت على الفرار منك ولو علمه الجار لسعى في تخريب الدار . وأنا أعلم كل ذلك واستره بكرمى لتعلم انى إله كريم

وروى ان قيصر كتب الى عمر رضى الله عنه ان بنى صداعا لا يسكن

فابعث لى دواء ، فبعث اليه عمر رضى الله عنه قلنسوة ، فكان اذا وضعها على رأسه يسكن صداعه ، واذا رفعها من رأسه عاوده الصداع فعجب منه ففتش القلنسوة فاذا فيها كاغذ مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم قال الجامع المعصومى ليس لهذه الرواية سند ولهذا أشار اليه المؤلف بصيغة التمريض والله اعلم بالصواب .

وروى أيضا كذلك أن بعض الكفار طلب من خالد بن الوليد

رضى الله عنه آية؛ فقال انك تدعى الاسلام فارنا آية لنسلم ، فقال ايتونى بالسم القاتل ؛ فاتى بطاس من السم فاخذه بيده وقال بسم الله الرحمن

الرحيم وأكله كله وقام سالما بأذن الله تعالى فقال المجوس هذا دين حق . وكذلك روى ان عيسى بن مريم عليهما السلام مر على قبر فرأى

ملائكة العذاب يعذبون ميتاً فلما انصرف من حاجته مر على القبر المذكور فرأى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك

فصلى ودعا الله تعالى فاوحى الله تعالى اليه يا عيسى كان هذا العبد عاصيا ومذمات كان محبوباً فى العذاب وكان قد ترك امرأة حبلى فولدت

ولداً وربته حتى كبر فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم

فاستحييت من عبيدي ان اعذبه بناري في بطن الارض وولده يذكر
اسمى على وجه الارض . قلت والله سبحانه وتعالى اعلم بصحة هذه الرواية
وهو جل جلاله أرحم الراحمين .

والحاصل ان العلماء أجمعوا على أنه يستحب ان لا يشرع في عمل
من الاعمال (أى المأمور به والمباح) الا ويقول بسم الله فاذا نام قال
بسم الله ؛ واذا قام قال بسم الله واذا قصد العبادة قال بسم الله واذا
دخل الدار قال بسم الله ، أو خرج منها قال بسم الله ، واذا أكل أو شرب
أو أخذ أو أعطى قال بسم الله ، والحاصل أنه يقول في كل حالته بسم الله
وعند الولادة وعند دخاله القبر يقول بسم الله فبسم الله الرحمن الرحيم دواء
الامراض القلبية ، وشفاء الاستقام الجسمية ، ومفتاح الخيرات والبركات ،
وعلامه السلامة والنجاة فداوموا عليه في كل الحالات ، حتى تنالوا أعلى
الدرجات .

فان كان الامر هكذا كما فصلنا فينبغي لقارئ القرآن سواء بدأ
من أول السورة أو من وسطها أن يتعوذ أولاً ثم يبسم لتكون قرائته
مباركة وتلاته مؤثرة ، والعجب من كثير من القراء من ابناء الزمان
يكتفون بالتعوذ ويتركون البسملة ، واذا قلت لهم أتركون البسملة ؟
يقولون أن الشاطبي أجاز ترك البسملة ، وقال بكفاية التعوذ ، حيث
قال الشاطبي

ولا بد منها في ابتدائك سورة سواها وفي الأجزاء خير من تلا

وما عرف هذا المسكين ان قرائته هذه في المحافل والمآتم تركها جائزاً
أيضاً ، وانما يقرأ من يقرأ ، وانما يقرئ من يقرئ لتحصيل الثواب
والأجر ، فان كان هكذا أليس يزيد ثواب القراءة بالبسملة ، وأليس
يكون نوراً على نور ، أفلا تتدبرون القرآن والاصول ، أو على قلوبكم الاقفال
وعلى بصيرتكم الأفلول فاعتبروا يا أولى الابصار .

قال الله تبارك وتعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ هذه الجملة الشريفة
آية واحدة تامة ، أفتتح بها كتاب الله تعالى ، وهي مفتوح كل خير وباب
كل سعادة ، وهذه ناطقة بان كل حمد وثناء يصدر عن نعمة ما فهوله تعالى ،
ولا يصح ذلك إلا اذا كان الله سبحانه مصدر كل نعمة في الكون تستوجب
الحمد ؛ ومنها نعمة الخلق والايجاد والتربية والتنمية ، فلهذا صرح بأنه
رب العالمين ، ولفظ الرب ليس معناه المالك فقط أو السيد فقط ، بل
فيه معنى التربية والثناء ؛ وهو صريح بان كل نعمة يراها الانسان في نفسه
وفي الآفاق منه عز وجل ، فليس في الكون متصرف بالايجاد والاشقاء
والاسعاد سواه ، والحمد هو الثناء باللسان وقيدوه بالجميل ، لان كلمة ثناء
تستعمل في المدح والذم جميعاً ، يقال اثنى عليه شراً ، كما يقال اثنى عليه
خيراً ، ويقولون أن (ال) التي في الحمد هي للجنس في أي فرد من افراده ،
ومعنى كون الحمد لله تعالى بأي نوع من أنواعه هو ان أي شيء يصح
الحمد عليه فهو مصدره واليه مرجعه ، فالحمد لله على كل حال ، وهذه الجملة
خبرية ولسكنها استعملت لانشاء الحمد . فاما معنى الخبرية فهو اثبات ان
الثناء الجميل في أي انواعه تحقق فهو ثابت له تعالى وراجع اليه . لأنه

متصف بكل ما يحمد عليه الحامدون فصفاته اجمل الصفات ، واحسانه
عم جميع الكائنات ، ولان جميع ما يصح ان يتوجه اليه الحمد مما سواه فهو
منه جل ثناؤه ، إذ هو مصدر الكون كله ، فيكون له ذلك الحمد أولاً
وبالذات ، والخلاصة ان أي حمد يتوجه إلى محمود ما فهو لله تعالى سواء
لاحظه الحامد أو لم يلاحظه ، وأما معنى الانشائية فهو ان الحامد جعلها
عبارة عما وجهه من الثناء إلى الله تعالى في الحال .

﴿رب العالمين﴾ يشعر هذا الوصف ببيان وجه الثناء المطلق ، ومعنى
الرب السيد المرابي الذي يسوس مسوده ويربّيه ويُدبره . والعالمين جمع عالم .
جمعه جمع المذكور العاقل تغليباً . وأراد به جميع الكائنات الممكنة . أي انه
رب كل ما يدخل في مفهوم العالم . الحمد لله . كأن القارىء يقول ها انا إذ أعرفتُ
رحمة الله سارية في سائر العوالم ولقد علمت ان كل من أنعم عليه بنعمة
يشكر مسديها . فالولد يشكر أبويه على التربية . والضعيف الذليل
يشكر القادر الشجاع الذي انقذه من الذلة . والمتعلم يشكر العالم الذي
اسبغ عليه نعمة العلم . كما أفاده العلامة الشيخ محمد عبده في تفسيره .

وذكر أيضاً ان الامم كالأفراد . فاننا نرى كل أمة تمجد وتمدح وتحمد
رجالها الذين افادوها . ورقوا صناعاتها وتجارته اثارها في التاريخ والمجاميع
وهكذا شجمانها الجحاجيح وابطالها المقاديم . وكذا انبياءها وحكامؤها
الذين اضأوها بنعمة العلم والدين . فهذه نعمة واصلة من المحسنين والشجعان
والعلماء إلى الامم فاستحقوا بذلك الشكر . ولا جرم ان الشكر يكون
بالقلب ثم الجوارح واهمها اللسان فينطق بالحمد . وهو الثناء الجميل لاجل

النعمة الواصلة بالاختيار من المنعمين . يجيش في نفس القارىء تلك الرحمت العامة فيشكر مسديها بقلبه وجوارحه وهى قسمان . رحمت واصله على أيدي الناس كالوالدين والشجمان والعلماء والانبياء والمحسنين ورحمة واصله من غيرهم كاشراق الشمس ونعمة السحاب وجريان الماء وعجائب النبات وجمال الطبيعة وبهاء النجوم ونور العين ورؤية البصر وسماع الاذن وبطش اليد وقوة الرجل وغيرها . وهذه النعم والرحمت بقسميها ليس لهما مصدر الا الله . ولا جرم ان الحمد والثناء انما يكون للمحسن الحقيقي . فالحمد اذن انما يكون له سبحانه . فاذا مدحنا الوالدين وحمدنا الشجمان وشكرنا العلماء والانبياء فالحمد والشكر والمدح لله تعالى لانه تعالى مولى هذه النعمة والرحمة . واذا تمتعنا بنعمة السحاب والمطر وماء الانهار ومعادن الجبال ونور الشمس فالحمد والشكر لمسديها . وهو الله . فكان القارىء يقول ها انا اذا عرفت ان الرحمة الواصلة للعباد مرجعها الله تعالى وحده فيكون كل حمد صادر من الالسته راجعا لله عز وجل . لانه هو المختص بالرحمة التي كان سببا في الثناء .

كانت العرب تمدح ملوكها ومحسنيها في الجاهلية . فامرهم الله تعالى ان يولوا وجوههم قبل الله . وان يصدوا عن المدائح الملكية ولذوى الشرف اطلاقا لنفوسهم من الاسر ولعقولهم من الغفلة . وتعويداً لهم على الحرية العقلية وان ينسوا والفضل والاحسان القليل الصادر من المخلوق الضعيف . وان يطلبوا الخير والمعروف عند الله الذى هو الربى لجميع العالمين من الملوك والثرين وغيرهم . فاذا فعلوا ذلك اصبحوا سادة العالم

بنظرهم في العوالم وبمجتهم في نظامها وعجائبها . فينالون الخير من الربى العظيم والخالق الحكيم بجدهم واجتهادهم لا بالاستجداء من الملوك ولا بالتوسل من المحسنين . ولقد حقق الله تعالى بعض ما ذكرنا . الا ترى انهم فتحوا الامم شرقاً وغرباً باتحادهم . ونالوا من الخيرات فوق ما يبتغون وفي هذه السورة وكذا في كثير من الايات والسور أمر الله المسلمين ان يخلصوا الله بالحمد وبالعبادة . فرجع الامر الى توجيه العبادة والحمد والذكر لله ومحريم عبادة المخلوق والخضوع له . وشرعنا هذا دين حسن الحسن وقبح القبيح كله .

ويناسب لهذا المقام ما حكى ان زهرة قال هو لرستم قائد جيش الفرس اذ ذاك (انالم نأتكم لطلب الدنيا وانما طلبتينا وهمتنا الآخرة . فقال له رستم ما دين الاسلام . قال ان تشهد أن لا إله الا الله وان محمدا رسول الله قال وأى شىء أيضا قال) اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله . والناس بنوا آدم وحواء إخوة لاب وأم . الخ والعبادة والحمد مختصان بالله عز وجل وانه هو الذى يطلب منه الاعانة والهداية الى الصراط المستقيم ولا ترى ان الاسلام كان له فى الصدر الاول معنى غير الذى يفهم المسلمون الآن . لان مبنى الاسلام العدل والمساوات وان لا يستعبد بعضهم بعضا . وانهم خلفاء الله فى ارضه ليعطوا عباده الحرية فالاسلام اذ ذاك مبنى على الفهم والعلم والعقل فأما الآن فانه مجرد ظواهر واعمال لاتصل الى اعماق القلوب . فلذلك انحطت الامم الاسلامية اليوم اما يحيى . الآن آن ان ترجع الى عزها القديم

ومجدها العظيم . ولكن هيات متى يكون ذلك . فانا لانرى المسلمين
الا متقهقرين ومنغمسين فى الضلالات

« رب العالمين » اى عربى العوالم كلها . ومرقيها من حال النقص الى
حال الكمال وغايات التمام . فهو الذى يتعهد النبات بالتغذية والانماء . وهكذا
الحيوان والانسان . وكذا العوالم العلوية . وهذه هى التربية التى كان مبدؤها
الرحمة . والله تعالى ذكر تربيته للعالمين ورحمته له مخلوقين . وقدمه على العبادة
وهداية الصراط المستقيم وكأ انه تعالى يشوقكم الى دراسته رحماته . ويأمركم
بمعرفة كلماته . فاذا تأمل المسلمون ما ذكرناه كان حمدهم حقيقيا اذا عملوا
بمقتضاه . ولما كان كل حمد لا بد له من سبب يستوجبه ذكر السبب وهو
التربية والرحمة . فقال انه رب العالمين وكيف يقرءون فى صلواتهم كل آن ان
الله تعالى مربى العالمين واكثرهم يجهلون تربيته . فانه ربى النطفة حتى جعلها
انسانا بصيرا ناطقا . وكيف انبت الذرة والقمح . وكيف ربى الاشجار وانبتها
واعمرها . وهكذا صغيرات الامور وكبيراتها . فيجب علينا ان نتفكر
فى ذلك . لآن نأكل كما تأكل الانعام . ونسفد كما يسفد الحيوان ونموت كما
تموت الديدان .

واعلم ان الحمد يكون على مقدار علم الحامد . فالحامد كلما كان اعرف
بصفات المحمود كان اصدق حمدا . وكلما كان قليل العلم بها كان اقرب الى
الكذب فى حمده . لذلك نجد الناس اذا ارادوا تائيبا او تكريما حتى جمعوا
من الكتب ما كان له من محمده . واذا ارادوا ذمنا تقبوا عن الاعمال السيئة
فكهدا هنا لن يعرف المسلمين محامد الله حتى يقرءوا نظام الطبيعة لانها

افعاله وآثاره وعجائب صنعه . وهى كتاب التاريخ الذى يحفظ فى سجل الدهر
فاذا أراد المسلمون ان يحمّدوا الله من حمده فليقرأ عقلاؤهم نظام الطبيعة
وليعقلوها . فحينئذ يحمّدون الله حق حمده . كما تحمّد الامم رجالها . فاذا
قالوا الحمد لله كان ذلك على الحقيقة والواقع لا بمجرد اللفظ فيها أنا أقول
ملاحظاً كل ذلك (الحمد لله رب العالمين)

والعالمين جمع عالم وهو ما سوى الله تعالى . والعالم قسمان عالم علوى
وعالم سفلى . والعلوى هو الملائكة والسماء والكواكب والشمس والقمر
والسيارات وغيرها . والعالم السفلى ما فى البحر من مخلوقات حى وما على
الارض من معدن ونبات وحيوان وانسان . والجبال والعيون والانهار
ومن عجائب البحر الدر والارجان . ومن الآثار العلوية تغير الهواء من
النور والظلمة والحرو والبرد وتصريف الرياح والسحاب بين السماء والارض
والامطار والرعود والبروق والثلوج والهالات . الا فليعلم المسلمون فى
مشارك الارض ومغاربها انهم لا يحمّدون الله حق حمده ولا يشكرونه
حق شكره الا اذا درسوا هذه العلوم كلها . وعرفوا ما تفرع عنها وانتفعوا
بها . ونفعوا الناس بنوائدها واذن يحق لهم أن يقولوا (الحمد لله رب
العالمين) وأما اذا ما بقوا على جهلهم ولم يعرفوا هذه العوالم ولا نظامها
فليعلموا ان حمدهم لفظى وشكرهم ظاهرى فقط .

أضرب لكم هنا مثلاً . يحكى ان مؤلفاً عظيماً قدم على رجل من
رجال الجرائد كتاباً . فكان هو وزوجته لا يتركان مجلساً الا مدحا هذا

المؤلف . ولاناديا الا أثنيا عليه . وهما في كل واد بمدحانه ؛ ويحمدان
صنيع ذلك المؤلف ؛ وانه أحسن الى أمته وان لها شرفاً عالياً ونفراً
تالداً ، فلما أت حل المؤلف بساحتها وهما لم يرياه قبل ذلك فرحاه به
وأستبشرا واكرماه غاية الأكرام ولما قاما الى بعض شأنها نظر هو فوجد
كتابه لم يفيض خاتمه ، ولا يزال ورقه متصلاً غير منفصل دلالة على انها
لم يقرأ آمنه حرفاً ولم يعرف آمنه كلمة ، فلما ودعها وانصرف أرسل اليها
مقصداً ليفهمها انه أدرك ان الحمد والمدح كانا على جهالة عمياء وان
الثناء رياء ، فانقلب سروره غمًا وفرحه حزناً ، افلا يكون نصيب المسلمين
من ربهم نصيب ذلك الرجل وزوجته من المؤلف ، افلا يقول الله
للمسلمين أنتم تقرأون كتابي وتحمدونني واسكن لا تعرفون من صفاتي
وأفعالي الا قليلاً فلا عطيتكم من نعمي على مقدار ما عرفتم ، وأخذ يقص
أرضنا معاشر المسلمين ويعطيها للامم الاخرى التي درست العوالم ، أن
الله تعالى لم يرسل مقصداً الى المسلمين كما أرسل المؤلف ولكنه أرسل
رجالاً وأما قصوا من أرضنا ، ولا يزالون يقصون وحرموننا منها جزاء
وفاقاً * ان الارض يرثها عبادي الصالحون * فارض الجنة يرثها
الصالحون لها بالعمل ، وارض الدنيا يرثها الصالحون لها بالعمل والعمل
يتقدمه العلم ؛ فكل امة أعرف بهذا العالم فهي أحق به وأولى بالفضل
وأعرف بالحمد

واعلم ان لكل حمد سبباً كما اشرنا اليه . فالجائع يقول الحمد لله الذي
غذاني واطعمني واشبعني والظمان يقول الحمد لله الذي أرواني . والفقير

يقول الذى اغنانى . والجاهل يقول الذى علمنى وفى القرآن على لسان
ابراهيم عليه السلام ﴿ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ﴾
وعلى لسان يوسف عليه السلام ﴿ وقد احسن بى اذا خرجت من السجن ﴾
وهذه الجملة حمد على نعمة الخروج من السجن . ولم تشمل اسرة يوسف
عليه السلام ، وقال الشاعر الجاهلى لما أسلم :

الحمد لله إذ لم يأتى اجلى حتى اكتسيت من الاسلام سر بالاً
فاما الحمد فى هذه السورة فسببه أن الله مربي جميع العالم ، فالمسلم
يقول فى صلاته الحمد لله لأنه هو الذى ربى جميع العالم من العلويات
والسفليات ، ولكن لما عز الحامدون الحقيقيون الشاكرون العاقلون
قال الله تعالى ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾ ويا للأسف أن كثيراً من
حافظ القرآن لا يعنيه الا أن يعيش به كالحمار يحمل اسفاراً ، وكالجاموس
لم يعنه الا البرسيم ، أوليس العامة الذين يفرحون بنعمات القارىء فى
مائتهم واعراسهم اشبه بالصبي الذى راقه مناظر الازهار والطرب والمسلم
العاقل الحكيم هو الذى يخاطب ربه بالفاتحة ويشئ عليه ويتوجه اليه
بقلبه ، وهذا هو الذى يصير القرآن نوراً له يوم القيامة ، كما افاده العلامة
الجوهري الطنطاوى فى تفسيره .

وقال العلامة العماد ابن كثير فى تفسيره الشهير ، قال الامام أبو
جعفر ابن جرير فى تفسيره جامع البيان معنى ﴿ الحمد لله ﴾ الشكر لله
خالصاً دون سائر ما يعبد من دون الله ، ودون كل ما برأ من خلقه ، بما
انعم على عباده من النعم التى لا يحصيها العدد ، ولا يحيط بعددها غيره

أحد . في تصحيح الآلات اطاعته وتمكين جوارح اجسام المكلفين
لاداء فرائضه ، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق وغذاهم به من نعم
العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبههم عليه ودعاهم اليه ،
من الاسباب إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم ، فلربنا الحمد
على ذلك كله أولاً وآخراً ، والحمد ثناء اثنى الله تعالى به على نفسه . وفي
ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال قولوا الحمد لله .

وحكى القرطبي عن طائفة انهم قالوا قول العبد . الحمد لله رب
العالمين ، افضل من قوله لا اله الا الله لاشتمال الحمد لله رب العالمين على
التوحيد مع الحمد . وقال آخرون لا اله الا الله افضل لانها التفصيل
بين الايمان والكفر . وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله .
كاثبت في الحديث المتفق عليه وفي الحديث الآخر (افضل ما قلت
والنبيون من قبلي ، لا اله الا الله وحده لا شريك له) وعن جابر رضي
الله عنه مرفوعا (افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله)
حسنه الترمذي .

والالف واللام في الحمد لاستغراق جميع اجناس الحمد وصنوفه
له تعالى كما جاء في الحديث (اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك
الخير كله واليك يرجع الامر كله ، والرَب هو المالك المتصرف ، ويطلق
في اللغة على السيد وعلى المتصرف للاصلاح : وكل ذلك صحيح في حق الله
تعالى : ولا يستعمل الرب لغير الله الا بالاضافة . فيقال رب الدار ورب
كذا ، واما الرب فلا يقال الا لله عز وجل : وقد قيل انه الاسم الاعظم

والعالمين جمع عالم ، وهو كل موجود سوى الله عزوجل . وقال الزجاج العالم كل ما خلق الله تعالى في الدنيا والآخرة . وقال القرطبي وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين كقوله تعالى ﴿ قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ والعالم مشتق من العلامة ، لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته . كما قال ابن المعتز :

فيا عجباً كيف يعصى الآله
ام كيف يحجده الجاحد
وفي كل شيء له آيةٌ
تدل على أنه الواحد

وقال العلامة ناصر الدين البيضاوي في تفسيره : الرب في الاصل مصدر بمعنى التربية ، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً . ثم وصف به للمبالغة ، ثم سمي به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيداً ومضافاً . والعالم اسم لما يعلم به غلب فيما يعلم به الصانع تعالى وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض . وفيه دليل على أن الممكنات كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة إلى المبتقى حال بقائها . وقال العلامة الراغب الاصفهاني في غرائب القرآن : الرب في الاصل التربية ، وهو انشاء الشيء حالاً فخالاً إلى حد التمام ، ولا يقال الرب مطلقاً إلى الله تعالى المتكفل لمصلحة الموجودات ، وعلى هذا قوله تعالى ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ﴾ أي آلهة وتزعمون أنهم الباري ومسبب الاسباب والمتولى لمصالح العباد ، وبالإضافة يقال له ولغيره نحو ﴿ رب العالمين ، وربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ ويقال رب الدار ورب

الفرس . ومنه قوله تعالى ﴿ اذ كرتى عند ربك ؛ فأناساه الشيطان ذكر
ربه ، وارجع إلى ربك ، ومعاذ الله انه ربي أحسن مثواي ﴾ الخ .
قال العارف الشيخ احمد السرهندى فى المكتوب (٧١) من
مكتوباته مانصه : اعلم أن شكر المنعم واجب على المنعم عليه عقلا وشرعاً .
ومن المعلوم ان وجوب الشكر على قدر وصول النعمة . فكما كان وصول
النعمة أكثر كان وجوب الشكر أزيد وأوفر . والشكر لله الكريم المنعم
تعالى وتقدس انما يكون بتصحيح العقائد أولاً على مقتضى عقيدة أهل
السنة والجماعة . ثم اتيان الاعمال والاحكام الشرعية على وفق ما وردت
فى السنة ويئنته الأئمة المجتهدون . وهذان ركنان أصليان والاسلام
مربوط بهما . الخ .

وفى مجموعة الرسائل النجدية : اعلم ان أهم ما فرض على العباد معرفة
أن الله تعالى رب كل شئ ومليكه ومدبره بارادته . فاذا عرفت هذا
فانظر ما حق من هذه صفاته عليك بالعبودية بالحببة والأجلال والتعظيم
والخوف والرجاء والتأله المتضمن للذل والخضوع لأمره ونهيه . وذلك
قبل فرض الصلاة والزكاة . ولذلك يعرف بتقرير ربوبيته ليرتقوا بها
إلى معرفة الهيته التى هى مجموع عبادته على مراده نفيًا واثباتًا علمًا وعملاً
وجملة وتفصيلاً .

وفى رسالة تفصيل الاجمال للعلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى . والكفار
فى العالم اما معطلة واما مشركة . والشرك فى العالم أكثر من التعطيل .
والقرآن يذكر فيه الرد على المعطلة تارة كالفرعون . وعلى المشركين .

اكثر . ومرض الشرك في الناس اكثر من مرض التعطيل . قال العبيد الضعيف المعصومي حفظه الله تعالى في الدارين عن كل مين وشين . وهذا هو المشاهد فانك اذا تتفكر فيما عليه الناس تجد اكثرهم مشركين اما باعتقاده ان الملائكة او الجن او الارواح او اصحاب الضرائح او بعض الاشجار او الاحجار ينفعه ويضره . او ان بعض الارواح والاموات يعلمون الغيب او يتصرفون في الامور او امثال ذلك . مما يدل على الشرك في الربوبية والشرك في العبادة او الشرك في الاسماء والصفات . ولهذا قال تعالى ﴿ وما يؤمن اكثرهم ، بالله الا وهم مشركون ﴾

وفي المكتوب (١٦٧) للعارف السر هندي . ان الهنود يعتقدون ان الاله حل في رام وكرشن وامثالهما من آلهة الهنود . وهم وان كانوا قائلين بوجود رب العالمين ولكنهم اثبتوا له سبحانه الحلول فيهم واتحاده بهم . فدعوا الخلق الى عبادتهم من هذه الجهة . والحال انهم من احقر مخلوقات الله تعالى . ومتولدات من المخلوقين . والاله المستحق للعبادة انما هو جناب الحق رب العالمين الذي لا اله سواه

وقال الامام نجر الدين الرازي في تفسيره . الحمد لله اثبات لوجود الله تعالى . ورب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين دليل على كونه تعالى مستحقاً للحمد . وها هنا دقيقة وهي ان علمنا بوجود الشيء اما ان يكون ضروريا او نظريا . لا جائز ان يقال ان العلم بوجود الاله ضروري لانا نعرف بالضرورة انا لا نعرف وجود الاله بالضرورة فبقي ان يكون العلم به نظريا . والعلم النظري لا يمكن تحصيله الا بالدليل . ولا دليل

على وجود الاله الا ان هذا العالم المحسوس بما فيه من السماوات والارضين والجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان محتاج الى مدبر يدبره وموجد يوجده ومرب يربيه ومبقي ببقية . فكان قوله رب العالمين . اشارة الى الدليل الدال على وجود الاله القادر الحكيم وان العالمين اشارة الى كل ما سوى الله تعالى . فكل ما سواه فهو مفتقر اليه ومحتاج في وجوده الى ايجاده وفي بقاءه الى ابقائه (قال المعصومي سواء كان ملكا مقربا او نبيا مرسلا فما يزعمه المشركون من ان الارواح تدمم او تتصرف فيهم باطل . فردا عليهم وقمعا لاعتقادهم الفاسد قال الله تعالى ان الربى للعالم واهله هو الله وحده) و انما قال رب العالمين ولم يقل خالق العالمين . لان الملمين كلهم معترفون بان الخالق هو الله وحده . وانما اختلفوا في بقاءه انه هل يحتاج الى تربية خالقه فزعم الوثنيون والبوديون والمشركون انه يكفيه تربية الارواح الزاكيات فرد الله تعالى عليهم بانه لا يستغنى مخلوق ما عن تربية الله تعالى فهو يربى العالمين باجمعهم ارواحهم واجسادهم وانسهم وجنهم وملائكتهم . فلهذا قال ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

الحمد لله معناه ان الحمد والثناء حق لله وملكه . فانه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة ايامه وانواع الآئه على العباد . والحمد لله عبارة عن صفة القلب . وهى اعتقاد كون ذلك المحمود متفضلا منعا مستحقا للتعظيم والاجلال لذاته . واعلم ان حقيقة الحمد وماهيته عبارة عن كل فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعا . وذلك الفعل اما ان يكون فعل القلب او فعل اللسان او فعل الجوارح . اما فعل القلب

فهو ان يعتقد فيه كونه موصوفا بصفات الكمال والاجلال . واما فعل اللسان فهو ان يذكر الفاظا دالة على كونه تعالى موصوفا بصفات الكمال واما فعل الجوارح فهو ان يأتي بافعال دالة على كون ذلك المنعم موصوفا بصفات الكمال والاجلال . فهذا هو المراد من الحمد والله تعالى يرزى مخلوقاته عموما والانسان خصوصا بوجوه كثيرة غير متناهية . فانظر الى قطرة النطفة اذا وقعت من صلب الاب الى رحم الام . فكيف صارت علقة اولاً ثم مضغة ثانياً ثم تولدت منها اعضاء مختلفة مثل العظام والغطاريف والرباطات والاورتار والاوردة والشرايين ثم اتصل ببعضه البعض ثم حصل في كل واحد منها نوع خاص من انواع القوى فخصات القوة الباصرة في العين والسامعة في الاذن والناطقة في اللسان نسبحان من اسمع بهظم وبصر بشحم وانطق باحم وكتب التشریح تفصل ذلك وكل ذلك يدل على تربية الله للعبيد

والمثال الثاني ان الحبة الواحدة اذا وقعت في الارض فاذا وصلت نداء الارض اليها انتفخت . ولا تنشق من شئ من الجوانب الا من اعلاها واسفلها مع ان الا تتفاح حاصل من جميع الجوانب اما الشق الاعلى فيخرج منه الجزء الصاعد من الشجرة . واما الشق الاسفل فيخرج منه الجزء الغائص في الارض وهو عروق الشجرة . واما الجزء الصاعد فيبعد صموده يحصل له ساق . ثم يتفصل من ذلك الساق اغصان كثيرة ثم يظهر على تلك الاغصان ازهار وانوار اولاً ثم الثمار ثانياً . ثم يحصل لتلك الثمار اجزاء مختلفة بالكثافة واللطافة . وهي القشور ثم اللبوب

ثم الادهان والحلاوة والروائح . وأما الجزء الغائص من الشجرة فان تلك العروق تنتهي الى أطرافها وتجذب الى نفسها المياه خاصة في الارض الصلبة الخشنة . والحكمة في كل هذه التدبيرات تحصيل ما يحتاج العبد اليه من الغذاء والادام والفواكه والاشربة والادوية . وانه تعالى وضع الافلاك والكواكب بحيث صارت أسباباً لحصول مصالح العبادنخلق الليل ليكون سبباً للراحة والسكون . وخلق النهار ليكون سبباً للمعاش والحركة . واذا تأملت في عجائب احوال المعادن والنبات والحيوان وآثار حكمة الرحمن في خلق الانسان قضي صريح عقلك بان اسباب تربية الله كثيرة ودلائل رحمته لأئحة ظاهرة . وعند ذلك يظهر لك قطرة من بحار اسرار قوله ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما يحتاج الانسان اليه من معرفة المبدء والاماد والوسط . فالحمد لله رب العالمين . اشارة الى اثبات الصانع المختار . والطريق المعتمد في اثبات الصانع في القرآن هو الاستدلال بخلق الانسان على ذلك الاترى ان ابراهيم عليه السلام قال ﴿ ربى الذى يحيى ويميت ﴾ وقال فى موضع آخر ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ وقال موسى عليه السلام ﴿ ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه نم هدى ﴾ وقال فى موضع آخر ﴿ ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾ وقال تعالى فى اول سورة البقرة ﴿ يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ وقال تعالى فى اول ما أنزل على سيدنا محمد ﷺ ﴿ اقرأ بسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ﴾ فهذه الآيات تدل على انه

تعالى استدلل بخلق الانسان على وجود الصانع تعالى . وإذا تأملت في القرآن وجدت هذا النوع من الاستدلال فيه كثيراً جداً .

وها أنا أذكر هنا بعض تلك الآيات التي حمد الله تعالى بها نفسه .

واقاد انه الخالق المنعم الكريم المستحق لجميع الحمد وانه هو الذي يدبر

أمور عباده . كما افتتح الله تعالى سورة الانعام بقوله ﴿ الحمد لله الذي

خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم

يعدلون ﴾ ﴿ وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم

ما تكسبون ﴾ ﴿ قل لمن ما في السموات والارض . قل لله كتب على نفسه

الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه . الذين خسروا انفسهم فهم

لا يؤمنون ﴾ ﴿ قل أغير الله اتخذ ولياً فاطر السموات والارض وهو يطعم

ولا يطعم . قل انى أمرت ان أكون أول من أسلم ولا تكونن من

المشركين ﴾ ﴿ ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام

ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر

والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ﴾

ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين ﴾ وفي سورة يونس

ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على

العرش يدبر الامر ، ما من شفيع الا من بعد اذنه ، ذلكم الله ربكم فاعبدوه

افلا تذكرون ، اليه مرجعكم جميعاً ، وعد الله حقا ، انه يبدأ الخلق ثم

يعيده ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالقسط ، والذين كفروا لهم

شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ﴾ ﴿ قل من يرزقكم

من السماء والارض آمن يملك السمع والابصار ، ومن يخرج الحى من
الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الامر ، فسيقولون الله ، فقل
افلا تتقون * فذلكم الله ربكم الحق ، فاذا بعد الحق الا الضلال فانى
تصرفون * وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا
ان الله عليم بما يفعلون ﴿ وفي سورة المؤمنون ﴾ قل لمن الارض ومن
فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله ، قل افلا تذكرون * قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله ، قل أفلا تتقون .
قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون *
سيقولون لله ، قل فانى تسحرون ﴿ وفي سورة الفرقان ﴾ تبارك الذى
نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، الذى له ملك السموات
والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شىء
ققدره تقديراً . واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . ولا
يملكون لانفسهم ضرراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴿
وفى سورة النمل ﴾ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير
أما يشركون . امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء
فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها إلا مع الله
بل هم قوم يعدلون * أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها انهاراً وجعل
لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً الا مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون *
أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجمع لكم خلفاء الارض ،
الله مع الله قليلاً ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن

يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ، أله مع الله . تعالى الله عما يشركون .
أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض ، أله مع الله
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله . وما يشعرون أيا ن يبعثون ﴿ وفي سورة القصص
﴿ وهو الله لا إله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة ، وله الحكم واليه
ترجعون ﴾ وفي آخر سورة العنكبوت ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فاني بؤفكون . ولئن سألتهم
من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله ، قل الحمد
لله بل أكثرهم لا يعقلون . فاذا ركبوا في الفلك دعواوا الله مخلصين له
الدين ؛ فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم وليمتتموا
فسوف يعلمون . والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين .
وفي سورة لقمان ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون
من دونه الباطل ؛ وان الله هو العلي الكبير . واذا غشيهم موج كالظلل
دعواوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد
بآياتنا إلا كل ختار كفور * يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا
يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جازعن والده شيئاً . ان وعد الله حق
فلا تفرنكم الحياة الدنيا . ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ وفي سورة الزمر
﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ، قل أفرأيتم
ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو

أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله ، عليه يتوكل المتوكلون . أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعاً ، له ملك السموات والارض ، ثم اليه ترجعون . واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون . الله خالق كل شىء ، وهو على كل شىء وكيل . له مقاليد السموات والارض ، والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون . قل أفتغير الله تأمروني أعبد ايها الجاهلون ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك ، لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد وكن من الشاكرين . وما قدر والله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿ وفي آخر سورة الزخرف ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فاني يؤفكون ﴾ وفي سورة الحشر هو الله الذى لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحانه الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (وسبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى اخرج المرعى)

و بالجمله لو تفكر فى هذه الايات وامثالها علمت يقيناً ان كل شىء حقه تعالى بدأ واليه يعود . وليس لاحد سواه شىء فى الحقيقة . وهو الرب

الكريم والرؤف الرحيم . فهو المستحق للعبادة والحمد والتعظيم والتبجيل جل جلاله وعم نواله . فينبغي على العبد المؤمن ان يسلك في هذا المسلك الذى هو مسلك سيد الخنفاء سيدنا ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام . كما حكى الله تعالى عنه في سورة الشعراء (وأتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لاييه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد اصناما فنظلم لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وأباؤكم الا قدمون . فانهم عدو لى الا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقئنى واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين . والذى اطعم ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين)

قال العلامة العماد ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية هذا اخبار من من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليته ابراهيم عليه السلام امام الخنفاء . فامر الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ان يتلوه على امته ليقتدوا به . فى الاخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له . والتبرى من الشرك وأهله . فان الله تعالى . آتى ابراهيم عليه السلام رشده من صغره الى كبره وانكر على قومه عبادة الاصنام مع الله عز وجل وافاد انى لا اعبد الا الذى خلق الخلق وقدر الاقدار وهدى الخلائق اليه . وهو الخالق الرازق بما سخر و يسر من الاسباب السماوية والارضية . الخ .

فقوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) صريح فى ان الترية لجميع العالمين مختصة بالله تعالى فلا رب فى الحقيقة سواه . واعلم ان الترية

قسامان . تربية حقيقية وتربية ظاهرية فالحقيقية مختصة بالله تعالى لا يشاركه فيها احد . كترية السموات والارضين واجرائها حسب مصلحة العباد . وكترية النطفة والجنين في بطن الام . وكأثناء الاجسام والحفظ عن الاقسام والافات ونحوها . وكاعطاء التوفيق والهداية وامثالها . واما التربية الظاهرية فكترية الام ولدها بالارضاع والتنظيف والتطعيم ونحوها . وكترية الاب والمعلم بالتعليم تعليم العلوم الدينية والاخلاق الفاضلة والصنائع والحفظ عن مخالطة القرناء السوء وكترية الزراع والبستاني زرعه وبستانه بالسقى واخراج الحشائش الضارة . والتلقيح وغير ذلك وكترية الدواب والمواشى بالاعلاف والاستقاء وامثال ذلك فهذه التربيات هي التي تختص بنوع البشر . واما التربية التي يدعيها بعض الصوفية من ان الارواح تربي المخلصين لها ويسمونها تربية روحانية فيعكفون على قبور المشايخ وينذرون اليها ويطلبون من اصحابها التربية فهذه هي التي جاء الشرع المحمدي لمحوها . واعدامها . لانهم من دين المجوس وعادات من الوثنية . فعليك يا ايها المسلم ان تعرف هذه القاعدة وتحافظ عليها . وان تعتقد ان الرب لجميع العالمين في الحقيقة هو الله تعالى وحده . وسواء فيه النبي والملك والاولياء وجميع انواع الانس واصناف الجن فان كلهم مربون لا ارباب . وفقراء ومحتاجون . الى تربية الرب الرحمن الرحيم . والتربية الظاهرة هي ايضاً من الله في الحقيقة . لانه تعالى هداة والهمة . فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . فهو حسبنا وعليه توكلنا .

واما قوله تعالى (الرحمن الرحيم) فأية ثانية من الفائحة الشريفة
وتقدم معناها في البسمة . وبقى الكلام في اعادتها هنا . والنكته فيها
ظاهرة وهي ان تربيته تعالى للعالمين ليست لحاجة به اليهم كجلب منفعة
او دفع مضرة . وانما هي لعموم رحمته وشمول احسانه . وثم نكته اخرى
وهي ان البعض يفهم من معنى الرب الجبروت والقهر . فاراد الله تعالى
ان يذكرهم برحمته واحسانه ليجمعوا بين اعتقاد الجلال والجمال . فذكر
الرحمن وهو المفيض للنعم بسعة وتجدد لا منتهى لهما . والرحيم الثابت
له وصف الرحمة لا يزايله ابداً فكأن الله تعالى اراد ان يتحجب الى عباده
فعرفهم ان ربوبيته ربوبية رحمة واحسان ليعلموا ان هذه الصفة هي
التي ربما يرجع اليها معنى الصفات وليتعلقوا به ويقبلوا على اكتساب
مَرْضَاتِهِ منشحة صدورهم مطمئنة قلوبهم . ولا ينافي في عموم الرحمة
وسبقها ما شرعه الله من العقوبات في الدنيا وما اعده من العذاب في
الآخرة للذين يتعدون الحدود وينتهكون الحرمات فانه وان سمي قهراً
بالنسبة لصورته ومظهره فهو في حقيقته وعاقبته وغايته من الرحمة لان
فيه تربية للناس وزجراً لهم عن الوقوع فيما يخرج عن حدود الشريعة
الالهية . وفي الانحراف عنها شقاؤهم وبلاؤهم وفي الوقوف عندها
سعادتهم ونعيمهم . والوالد الرؤف يربي ولده بالترغيب فيما ينفعه
والاحسان اليه اذا قام به وربما لجأ الى الترهيب والعقوبة اذا اقتضى
ذلك الحال . والله المثل الاعلى لا اله الا هو واليه يرجعون كما افاده
الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده في تفسيره .

قال العلامة الحافظ ابن كثير في تفسيره قال القرطبي انما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب كما قال تعالى (نبيّ عبادى انى انا الغفور الرحيم . وان عذابى هو العذاب الاليم) وقوله تعالى (ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور الرحيم) فالرب فيه ترهيب والرحمن الرحيم فيه ترغيب .

وقال العلامة الفخر الرازى في تفسيره مفاتيح الغيب (الرحمن الرحيم) واعلم ان الحوادث على قسمين منه ما يظن انه رحمة مع انه لا يكون كذلك . بل يكون في الحقيقة عذاباً ونقمة ومنه ما يظن في الظاهر انه عذاب ونقمة مع انه يكون في الحقيقة فضلاً واحساناً ورحمة فالاول كالوالد اذا اهمل ولده حتى يفعل ما يشاء ولا يؤدبه ولا يحمله على التعلم فهذا في الظاهر رحمة وفي الباطن نقمة والثانى فكالوالد ايضاً اذا حبس ولده فى المكتب وحمله على التعلم وهذا فى الظاهر نقمة وفى الحقيقة نعمة ورحمة . وكذلك الانسان اذا وقع فى يده الاكلة فاذا قطعت تلك اليد فهذا فى الظاهر عذاب وفى الباطن راحة ورحمة فالابله يغتر بالظاهر والعاقل ينظر فى السرائر فاذا عرفت هذا فكل ما فى العالم من محنة وبلية فلا يخلو عن حكمة ورحمة ، والمقصود من التكاليف تطهير الارواح عن الملائق الجسمانية ، كما قال تعالى (وان أحسنتم أحسنتم لأفسحتم) والمقصود من خلق النار صرف الاشرار إلى اعمال الابرار ، وجذبها من دار الفرار إلى دار القرار ، فاذا رأيت

ما يكره طبيعك وينفر عنه عقلك فاعلم ان تحته اسراراً خفية وحكماً بالغة .
وان حكمته تعالى ورحمته اقتضت ذلك . وعند ذلك يظهر لك أثر من
بحار اسرار قوله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ .

فعلى العبد المؤمن أن يلاحظ هذه الصفة ، ويعتقد أن ربه هو
الرحمن الرحيم الذى أرحم له من والديه ، فيعتمد عليه وينيب إليه ويتوكل
عليه ويخلص أعماله له عزوجل ، فاذا اتصف العبد بهذه الصفة فلا شك
أنه يكون من أهل السعادة فى الدنيا والآخرة ، فتكون فاتحة الكتاب
شفاء له من داء الكفر والشرك والنفاق والضلال فحمدك ياربنا ورب
العالمين الرحمن الرحيم .

وأما قوله تعالى ﴿ مالك يوم الدين ﴾ فآية نالته من أم الكتاب ،
قرأ عاصم والكسائى ويعقوب (مالك) والباقون (ملك) وعليها أهل
الحجاز ، والفرق بينهما أن الملك ذو الملك . بكسر الميم ، والملك ذو الملك
(بضمها) والقرآن يشهد للأولى بمثل قوله ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس
شيئاً ﴾ وللثانية بقوله ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ قال بعضهم ان قراءة ملك
أبلغ لأن هذا اللفظ يفهم منه معنى السلطان والقوة والتدبير ، وقال آخرون .
أن القراءة الأولى أبلغ لأن الملك هو الذى يدبر أعمال رعيته العامة .
ولا تصرف له بشئ من شئونهم الخاصة ، والدين يطلق فى اللغة على
المكافأة . وقد ورد . كما تدين تدان . وعلى الجزاء وهو قريب من معنى
المكافأة . وعلى الطاعة وعلى الاخضاع وعلى السياسة ؛ يقال دين فلان
فلاناً ، أى تولى سياسته . وهو قريب من معنى الاخضاع وعلى الشريعة

وما يؤخذ العباد به من التكاليف ، والمناسب هنا من هذه المعاني الجزاء والخضوع . وإنما قال يوم الدين . ولم يقل الدين لتعريفنا بان للدين يوماً ممتازاً عن سائر الأيام ، وهو اليوم الذى يلتقى فيه كل عامل عمله ويوفى جزاءه . وإذا قال قائل ، أليست كل الأيام أيام جزاء ، وكل ما يلاقيه الناس فى هذه الحياة من البؤس هو جزاء على تفريطهم فى أداء الحقوق ، والقيام بالواجبات التى عليهم ، والجواب بلى ان أيامنا التى نحن فيها قد يقع فيها الجزاء على أعمالنا ولكن ربما لا يظهر لاربابه ؛ إلا على بعضها دون جميعها . والجزاء على التفريط فى العمل الواجب انما يظهر فى الدنيا ظهوراً تاماً بالنسبة لمجموع الأمة لا لكل فرد من الافراد . فما من أمة انحرفت عن صراط الله المستقيم ، ولم تراع سننه فى خليقته إلا وأحل بها العدل الآلهى ما تستحق من الجزاء كالفقر والذلة وفقد العزة والسلطة . وأما الافراد فانتا ترى كثيراً من المسرفين الظالمين يقضون أعمالهم منغمسين فى الشهوات واللذات . نعم أن ضمايرهم توبخهم أحياناً وانهم لا يسمون من المنغصات ، وقد يصيبهم النقص فى أموالهم وعافية ابدانهم وقوة عقولهم . ولكن هذا كانه لم يقابل بعض أعمالهم القبيحة ، لاسيما الملوك والامراء الذين تشقى بأعمالهم السيئة امم وشعوب . وكذلك ترى من المحسنين فى أنفسهم وللناس من يبتلى بهضم الحقوق . ولا ينال من الجزاء على عمله شيئاً مما يستحقه . وان كان قد ينال من الجزاء رضى نفسه وسلامة أخلاقه وصحة ملكانه . ولكن ذلك ليس كل ما يستحق . وفى ذلك اليوم يوفى كل فرد من افراد العالمين جزاءه كاملاً لا يظلم شيئاً منه . كما قال تعالى

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾
وقد علمنا الله تعالى أنه رحمن رحيم ليجذب قلوبنا اليه . ولكن هل
يشعر كل عباده بهذه المنة . فينجذبوا اليه الانجذاب المطلوب . كلا فينا
من يسلك كل سبيل لا يبالي بمستقيم ومعوج . ولهذا أعقب الله سبحانه
ذكر الرحمة بذكر الدين فعرفنا انه يدين العباد ويجازيهم على اعمالهم . فكان
من رحمته بعباده ان يباهم بنوعى التريه كليهما . الترغيب والترهيب . كما
تشهد بذلك آيات القرآن الكثيرة ﴿ نبيء عبادى انى أنا الغفور الرحيم
وان عذابى هو العذاب الاليم ﴾

ومعلوم ان التربية يعوزها أمران الرحمة والشدة . فاذا لم تكن الرحمة
او عدم الجزاء والمكافأة بالاحسان والاساءة كانت التربية ناقصة . ولقد
جعل الله الام أقرب الى الرحمة . والاب أقرب الى الشدة والمجازاة فاذا
فقد أحدهما ساءت التربية فاشار تعالى الى الاول بقوله ﴿ الرحمن الرحيم
والى الثانى بقوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ أعنى مالك الامر يوم الجزاء والجزاء
تابع للاعمال .

وترى حكومات الارض قاطبه نصبت القضاة وأقامت الجنود
وجعلت لها دور للحبس وأخرى لا كرام الضيف والوافدين من الاقطار
ووضعت القوانين والحدود وذلك سائر على نظام فى مشارق الارض ومغاربها
ولكن القانون البشرى يلحقه انخطأ خلل فيه أو لضلال القضاة والحكام
اوجهلهم جعل الله الجزاء الاوفى يوم القيامة لتجزى كل نفس بما كسبت
وهم لا يظلمون

فأله عز وجل مالك جميع الامور محيط بالخلق في الدنيا والآخرة .
يشيب الطائعين والعاملين ويقهر العاصين والكاسابين . وينذل الباغين أما
في الدنيا وأما في الآخرة وأما فيهما معا . وبهذا تمت التربية ونظام العالم .
فجميع المحامد راجعة اليه لانه المحسن الحقيقي . وفوق الحمد أنه
يختص بالعبادة التي هي غاية الخضوع ومنه طريق معبد أي مذل : فكان
القارى يقول يا من اتصف بهذه الصفات التي يمتاز بها عماءه ~~ياك~~ نعبد
أي نخصك بالعبادة والخضوع فضلا عن الحمد . هكذا قررر العلامة الشيخ
محمد عبده والجوهري الطنطاوى جازاهما الله تعالى عن الاسلام خيرا :

وقال العلامة الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى وتخصيص الملك بيوم .
الدين لا ينفيه عما عداه . لانه قد تقدم الاخبار بانه رب العالمين وذلك
عام في الدنيا والآخرة . وإنما أضيف الى يوم الدين لانه لا يدعى احد هناك
شيئا ولا يتكلم احد الا باذنه كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) وقال ابن عباس رضى الله
عنها لا يملك احد معه في ذلك اليوم حكما كملكهم في الدنيا و يوم الدين و يوم
الحساب للخلائق وهو يوم القيامة يدينهم باعمالهم ان خير انخير وان شر افشر
الامن عنى عنه وهذا ظاهر . والملك في الحقيقة هو الله عز وجل . والدين
الحساب والجزاء كما قال تعالى (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق . وائنا
لمدينون) أي مجزيون محاسبون وفي الحديث (الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت) أي حاسب نفسه لنفسه كما قال عمر رضى الله عنه
(حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا) و زنوا انفسكم قبل ان توازنوا) .

وتأهبوا للعرض الاكبر على من لا تخفى عليه اعمالكم) (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) وقال العلامة البيضاوى . واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجداً للعالمين وبالهم منعها عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وأجلها . مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه . بل لا يستحقه على الحقيقة احد سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له . وللشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد فيكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ماهو الموجب للحمد وهو الایجاد والتربية . والثانى والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال يستحق به الحمد . والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة بوجه ما . وتضمنين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين .

وقال العلامة الفخر الرازى (مالك يوم الدين اى مالك يوم البعث والجزاء . وتقديره أنه لا بد من الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والمعاصى والموافق والمخالف . وذلك لا يظهر إلا فى يوم الجزاء كما قال تعالى ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وأم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ وان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴿ وذلك الوقت هو يوم الدين فينتقم فيه من الظالم للمظلوم . وأما الدنيا فدار عمل .

وقال المحقق العارف الشيخ احمد السرهندي في المکتوب (٧٤) من مکتوباته . ان يوم القيامة تختص فيه المالكية والملكية . سواء كانت بطريق الحقيقة أو المجاز بمالك يوم الدين . ويومئذ ينادى الحق سبحانه ويقول ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ ويقول في جوابه بنفسه ﴿ لله الواحد القهار ﴾ وليس للعباد في ذلك اليوم شئ سوى الهول والدهشة والندم والحسرة . وقد أخبر الله تعالى في القرآن المجيد عن شدة ذلك اليوم . فلا بد أن لا يعتر أحد بأحد ، ولا يعتمد أحد لا أحد إلا الله الواحد القهار . قال العبد الضعيف المعصوم عني الله تعالى عنه وأنا أذكر هنا بعض الآيات أيضاً للمقام قال الله تعالى في سورة آل عمران ﴿ فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ، ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء ، ، تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ، والله رؤف بالعباد ﴾ وفيها أيضاً : خطاباً لسيد البشر محمد ﷺ ﴿ ليس لك من الأمر شئ ﴾ أويتوب عليهم أو يعذبهم فاتهم ظالمون ، لله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله غفور رحيم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴿ وفي سورة النساء ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ، ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ وفي سورة الفرقان ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ، وكان يوماً على الكافرين عسيراً ، ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً ، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان

خذولاً ﴿ وفي سورة المؤمن ﴿ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم ؛ لله الواحد القهار ؛ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ؛ إن الله سريع الحساب ، والله يقضى بالحق ؛ والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ، إن الله هو السميع البصير ﴿ وفي سورة الدخان ﴿ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ، يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون ، إلا من رحم الله ، إنه هو العزيز الرحيم ﴿ وفي سورة الانفطار ﴿ وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدرك ما يوم الدين ؛ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله ﴿ .

فانظر يا أخى إلى هذه الآيات وتفكر فيها ، فإنه لا ينفعك يوم القيامة إلا إيمانك وأعمالك الصالحة ، ولا يرحمك ولا يغفر لك إلا الله وحده ؛ ولا يشفع أحد ل أحد إلا بعد إذن الله تعالى لأهل الإيمان ، فلا تغتر بما أغرت به النصارى وعبدة الأوثان من أن فلاناً وفلاناً يشفع أو ينفع ، أو يدخل الجنة وينجيه من النار ، فإن هذه كلها هوس وخيال اخترعتها أوهام الداحلة وافكار الأبالسة فالحذر كل الحذر ، من الاعتماد على غير الله الواحد القهار . اللهم ثبتنا على دينك فإنا مالئنا قلوبنا ، فتهدى من تشاء وتضل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير .

وأما قوله تعالى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴿ فأية رابعة من أم الكتاب . لما ثبت أن جميع المحامد راجعة إليه تعالى لأنه المحسن الحقيقي ، وفوق الحمد يختص تعالى بالعبادة التي هي غاية الخضوع . فكان القارىء يقول : يا من اتصف بهذه الصفات التي يمتاز بها عما عداه ﴿ إياك نعبد ﴿

أى نخصك بالعبادة والخضوع فضلا عن الحمد . فالنصف الاول من هذه السورة أحضر في قلب القارىء الصفات المميزة للربوبية . فلما تمثلت في قلبه وذهنه تلك العظمة صارت كأنها مشاهدة أمامه فالتفت عن الغيبة الى الخطاب وكأنه يشاهده ويراه كما في الحديث ﴿ الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴾ ولن يكون ذلك الا باستحضار صفاته العالية في قلبه . والى هنا وصل القارىء الى آخر درجات التقرب وهو الخضوع والتذلل كما في قوله تعالى ﴿ واسجد واقرب ﴾ فلم يبق بعدها الا السؤال والطلب من المتقرب اليه فقال ﴿ وإياك نستعين ﴾ في أمورنا الدنيوية والاخروية . كالصحة والغنى والمال والولد . واعم الحاجات أداء العبادات والمهداية الى الصراط المستقيم فكأنه يقول نحن نعبدك ولن نقدر على أداء العبادة الا إذا أعنتنا . ولما طلب العبد الاستعانة بالله كأنه قيل له ما أعم ما تستعين فيه فقال العبد ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾

قال العلامة البيضاوى . انه تعالى لما ذكر الحقيق بالحمد . ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات . وتعين العلم بمعلوم معين خو طب بذلك . إى يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص . ولترقى من البرهان الى العيان . والانتقال من الغيبة الى الشهود فكان المعلوم صار عيانا . والمعقول مشاهدا . والغيبة حضورا . بنى اول الكلام على ماهو مبادئ حال العارف من الذكر والفكر والتأمل فى أسمائه والنظر فى آلائه الاستدلال بصانعه على عظيم شأنه . وباهر سلطانه ثم قفى بماهو

منتهى أمره . وهو أن يخوض لجة الوصول . ويصير من أهل المشاهدة
خيراه عيانا ويناجيه شفاهها . اللهم اجعلنا من الواصلين للعين دون
السامعين للأثر

والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل . والاستعانة طلب المعونة .
وتقديم المفعول للعصر . ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نعبدك ولا
نعبد غيرك . وقدمت العبادة على الاستعانة ليعلم منه أن تقديم الوسيلة على
طلب الحاجة أدعى الى الاجابة .

قال العلامة المحقق الشيخ محمد عبده في تفسيره . العبادة ما هي . يقولون
هي الطاعة مع غاية الخضوع واذا تتبعنا آى القرآن وأساليب اللغة واستعمال
العرب لعَبَدَ وما يماثلها ويقاربها في المعنى كخضع وخنع واطاع وَذَلْ نجد
انه لا شئ من هذه الالفاظ يضاهى عَبَدَ . ويحل محلها ويقع موقعها ولذا
قالوا ان لفظ العباد . مأخوذ من العبادة فتكثر إضافته الى الله تعالى ولفظ
العبيد تكثر إضافته الى غير الله تعالى لانه مأخوذ من العبودية بمعنى الرق
وفرق بين العبادة والعبودية بذلك المعنى ومن هنا قال بعض العلماء ان العبادة
لا تكون في اللغة الا لله تعالى . تدل الاساليب الصحيحة والاستعمال
العربي الصراح على ان العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية . ناشئ عن
استشعار القلوب عظمة للمعبود ولا يعرف منشأؤها واعتقاده بسلطة له
لا يدرك كُنْهَهَا وماهيتها ، وقصارى ما يعرفه منها انها محيطة به ولكنها
فوق ادراكه فن ينتهى إلى اقصى الذل للملك من الملوك لا يقال انه عبده ، وان
قبل مواطيء اقدامه مادام سبب الذل والخضوع معروفا وهو الخوف من

ظلمه المعهود ، أو الرجاء بكرمه المحدود اللهم الاب بالنسبة للذين يعتقدون ان الملك له قوة غيبية سماوية أفيضت على الملوك من الملائكة الاعلى ، واختارتهم للاستعلاء على سائر أهل الدنيا ؛ لانهم أطيب الناس عنصراً وأكرمهم جوهرأ ، وهؤلاء هم الذين انتهى بهم هذا الاعتقاد إلى الكفر والالحاد فاتخذوا الملوك آلهة وأربابا وعبدوهم عبادة حقيقية ، وللعباداة صور كثيرة في كل دين من الاديان شرعت لتذكير الانسان بذلك الشعور بالسلطان الالهى الاعلى الذى هو روح العبادة وسرها ، ولكل عبادة من العبادات الصحيحة اثر فى تقويم اخلاق القائم بها ، وتهذيب نفسه ، والاثرا إنما يكون عن ذلك الروح والشعور الذى قلنا انه منشأ التعميم والخضوع ، فاذا وجدت صورة العبادة خالية من هذا المعنى لم تكن عبادة (أى حقيقية) كما ان صورة الانسان وتمثاله ليس انساناً .

خذ اليك عبادة الصلاة مثلاً ، وانظر كيف امر الله تعالى باقامتها دون مجرد الاتيان بها ؛ واقامة الشيء هى الاتيان به مقوماً كاملاً يصدر عن علته وتصدر عنه آثاره ، وآثار الصلاة ونتائجها هى ما انبأنا الله تعالى بها بقوله ﴿ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . وان الانسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً الا المصلين ﴾ وقد توعد الذين يأتون بصورة الصلاة من الحركات والالفاظ مع السهو عن معنى العبادة وسرها فيها المؤدى إلى غايتها بقوله ﴿ قويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراؤون ويمتنعون الماعون ﴾ فسماهم مصلين لانهم اتوا بصورة الصلاة ، ووصفهم بالسهو عن الصلاة الحقيقية التى

هي توجه القلب إلى الله تعالى المذكر بخشيته ، والمشير للقلوب بعظيم سلطانه ، ثم وصفهم بأثر هذا السهو وهو الرياء ومنع الماعون ، ان التوحيد اهم ماجاء لاجله الدين ، ولذلك لم يكتف في الفاتحة بمجرد الاشارة اليه بل استكمل بقوله ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ فاجتث بذلك جذور الشرك والوثنية التي كانت فاشية في جميع الامم ، وهي اتخاذ اولياء من دون الله تعتقد لهم السلطة الغيبية ، ويدعون لذلك من دون الله ويستعان بهم على قضاء الحوائج في الدنيا ، ويتقرب بهم إلى الله زلفى ؛ وجميع ما في القرآن من آيات التوحيد ومقارعة المشركين فهو تفصيل لهذا الاجمال وقد أمرنا الله تعالى بتوحيده وعبادته رحمة منه سبحانه بنا ، لانه لمصالحتنا ومنفعتنا ؛ وقوله تعالى ﴿ مالك يوم الدين ﴾ يتضمن الوعد والوعيد معا لان معنى الدين الخضوع ، أى ان له تعالى في ذلك اليوم الساطان المطلق والسيادة التي لا تزاع فيها لا حقيقة ولا ادعاء ، وان العالم كله يكون فيه خاضعا لعظمته ظاهرا وباطنا يرجو رحمته ويخشى عذابه .

والفاتحة يجملتها تنفخ روح العبادة في المتدبر لها ؛ وروح العبادة هي اشراب القلوب خشية الله وهيبته والرجاء لفضله ، لا الاعمال المعروفة من فعل وكف وحركات اللسان والاعضاء ، فقد ذكرت العبادة في الفاتحة قبل ذكر الصلاة واحكامها والصيام وايامه . وكانت هذه الروح في المسلمين وانما الحركات والسكنات والاعمال مما يتوسل به الى حقيقة العبادة ، ومخ العبادة الفكر والعبارة .

ولا يخفك ان ملاحظة الغير يناق في الاخلاص فمن جعلها الرياء وهو ضربان . رياء النفاق وهو العمل لاجل رؤية الناس ورياء العادة وهو العمل بحكمها من غير ملاحظة معنى العمل وسره وفائدته ولا ملاحظة من يعمل له ويتقرب اليه به وهو ما عليه اكثر الناس فان صلاة احدهم في طور الرشد والعقل هي عين ما كان يحاكي به اياه في طور الطفولية عند ما يراه يصلى يستمر على ذلك بحكم العادة من غير فهم ولا عقل وليس لله شئ في هذه الصلاة . وقد ورد في احاديث كثيرة (ان من لم تنه صلواته من الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعداً) وانها تلف كما تلف الثوب البالى ويضرب بها وجهه) والاستعانة هي طلب المعونة والمعونة هي سد العجز والمساعدة على اتمام العمل الذي يعجز عنه المستعين بنفسه . وقد حصر الله العبادة والاستعانة في ذاته تعالى الذى دل عليه تقديم المفعول (اياك) على الفعل مثاله ان الله تعالى امرنا بان لا نعبد غيره لان السلطة الغيبية التي هي وراء الاسباب ليست الا له دون غيره فلا يشاركه فيها احد فيعظم تعظيم العبادة وامرنا بان لا نستعين بغيره ايضا وهذا يحتاج الى البيان لانه امرنا ايضا فى آيات اخرى بالتعاون فقال (وتعاونوا على البر والتقوى) فامعنى حصر الاستعانة به مع ذلك الجواب ان كل عمل يعمله الانسان تتوقف ثمرته ونجاحه على حصول الاسباب التي اقتضت الحكمة الالهية ان تكون مؤدية اليه وانتفاء الموانع التي من شأنها بمقتضى الحكمة ان تحول دونه وقد ممكن الله الانسان بما اعطاه من العلم والقوة من دفع بعض الموانع وكسب

بعض الاسباب وحجب عنه البعض الاخر فيجب علينا ان نقوم بما في استطاعتنا من ذلك ونبذل في اتقان اعمالنا كل ما نستطيع من حول وقوة وان نتعاون ويساعد بعضنا بعضا على ذلك ونفوض الامر فيما وراء كسبنا الى القادر على كل شيء ونلجاء اليه وحده ونطلب المعونة المتممة للعمل والموصلة لثمرته منه سبحانه دون سواه اذ لا يقدر على ما وراء الاسباب الممنوحة لكل البشر على السواء الا مسبب الاسباب ورب الارباب فقوله تعالى (واياك نستعين) متمم لمعنى قوله (اياك نعبد) لان الاستعانة بهذا المعنى فزع من القلب الى الله وتعلق من النفس به وذلك من مخ العبادة فاذا توجه العبد بها الى غير الله تعالى كانت ضربا من ضروب العبادة الوثنية التي كانت ذائعة في زمن التنزيل وقبله وخصت بالذكر لثلاثتهم الجهلاء ان الاستعانة بمن اتخذوهم اولياء من دون الله واستعانوا بهم فيما وراء الاسباب المكتسبة لعامة الناس هي كالاستعانة بسائر الناس في الاسباب العامة فاراد الحق جل شأنه ان يرفع هذا اللبس عن عباده ببيان ان الاستعانة فيما هو في استطاعة الناس بالناس انما هي ضرب من استعمال الاسباب السنونة وما منزلتها الا كمنزلة الآلات فيما هي آلات له.

بخلاف الاستعانة في شؤون تفوت القدرة والقوى المعروفة في متناول الفهم كالاستعانة على شفاء المرض بما وراء الدواء وغلبة العدو بما وراء العدة والعدة فان ذلك مما لا يجوز الفزع به لغير الله تعالى صاحب السلطان الاعظم على ما لا يصل اليه سلطان احد من اهل العالم

ومثلا الزراع يبذل جهده في الحرث والعذق وتسميد الارض وريها
ويستعين بالله تعالى على اتمام ذلك بمنع الآفات والجوائح السماوية والارضية
ومثلا التاجر يحدق في اختيار الاصناف ويمهر في صناعة الترويج . ثم
يتكفل على الله فيما بعد ذلك .

ومن هنا تعلمون أن الذين يستعينون باصحاب الأضرحة
والقبور على قضاء حوائجهم وتيسير أمورهم وشفاء امراضهم ونماء حرثهم
وزرعهم . وهلاك أعدائهم وغير ذلك من المصالح ، فهم عن صراط
التوحيد ناكبون ، وعن ذكر الله معرضون .

أرشدتنا هذه الكلمة الوجيزة ﴿ وإياك نستعين ﴾ إلى أمرين
عظيمين هما معراج السعادة في الدنيا والآخرة . احدهما أن نعمل الاعمال
النافعة ونجتهد في اتقانها ما استطعنا . لان طلب المعونة لا يكون إلا على
عمل بذل فيه المرء طاقته فلم يوفه حقه أو يخشى إن لا ينجح فيه فطلب
المعونة على اتمامه واكماله ، ومن وقع من يده القلم على المكتب لا يطلب
المعونة من أحد على امساكه ، وأما من وقع تحت عبء ثقيل يعجز
عن النهوض به وحده فهو يطلب المعونة من غيره على رفعه بعد استنفراغ
القوة في الاستقلال به ، وهذا الامر هو مرقة السعادة الدنيوية . وركن
من اركان السعادة الاخروية . وثانيهما ما أفاده الحصر من وجوب تخصص
الاستعانة بالله تعالى وحده فيما وراء ذلك . وهو روح الدين . وكال التوحيد
الخالص الذي يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الاغيار ، ويفك
ارادتهم من اسر الرؤساء الروحانيين ، والشيوخ الدجالين ، ويطلق عزائمهم

عن قيد المهيمنين الكاذبين ، من الاحياء والميتين ، فيكون المؤمن مع
الناس حراً خالصاً وسيداً كريماً ؛ ومع الله عبداً خاضعاً ﴿ ومن يطع الله
ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ .

قال العلامة ابن كثير في تفسيره الشهير ﴿ اياك نعبد ﴾ العبادة في
اللغة الذلة ، يقال طريق معبد وبعير معبد أى مذلل وفي الشرع عبارة
عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف . وقدم المفعول وهو اياك وكرر
للاهتمام والحصر . أى لا نعبد إلا اياك ، ولا نتوكل إلا عليك . وهذا
هو كمال الطاعة والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين . وهذا كما قال السلف
الفاتحة سر القرآن ، وشرها هذه الكلمة ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾
فالاول تبرؤ من الشرك . والثاني تبرؤ من الحول والقوة وتفويض إلى الله
عز وجل . وهذا المعنى في غير موضع من القرآن قال الله تعالى ﴿ فاعبده
وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ، قل هو الرحمن آمناب به وعليه
توكلنا ، رب المشرق والمغرب لا إله الا هو فاتخذه وكيلاً ﴾ وتحويل الكلام
من الغيبة الى المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبة ، لانه لما اثني على الله
فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى فلماذا قال ﴿ اياك نعبد و اياك
نستعين ﴾ وفي هذا دليل على ان اول السورة خبر من الله تعالى بالثناء
على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى ، وارشاد لعباده بان يثنوا عليه
بذلك ، ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه . قال ابن عباس
رضي الله عنهما ﴿ اياك نعبد ﴾ يعني اياك نوحد ونخاف ونرجوك يا ربنا
لا غيرك ﴿ و اياك نستعين ﴾ على طاعتك وعلى أمورنا كلها . وقال قتادة

رحمه الله تعالى ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ يأمركم أن تخلصوا له العباداة ، وان تستعينوه على أموركم .

فان قيل فما معنى التون في قوله (اياك نعبد و اياك نستعين) فان كانت للجمع فالداعى واحد . وان كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام وقد أجيب بان المراد من ذلك الاخبار عن جنس العباد والمصلى فرد منهم . ولا سيما ان كان في جماعة او امامهم . فاخبر عن نفسه وعن اخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لاجلها . وتوسط لهم بخير والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لانتسابه الى جناب الله تعالى . وقد سمي الله تعالى رسوله ﷺ بعبده في أشرف مقاماته فقال (الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب . وسبحان الذي اسرى بعبده ليلا) فسماه عبدا عند انزاله عليه الكتاب واسرائه به . وأرشده الى القيام بالعبادة في أوقات . وقال الامام البغوى في تفسيره (اياك نعبد) أى نوحدك ونطيعك خاضعين . والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع وسمى العبد عبدا لذاته وانقياده . (و اياك نستعين) نطلب منك الاعانة على عبادتك وعلى جميع أمورنا الخ .

وقال الشيخ احمد السرهندى في المكتوب (٦٣) من مکتوباته ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متفقون في اصول الدين . فمن كلماتهم المتحدة نفي عبادة غير الحق سبحانه . ومنع المخلوقات عن اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله . والعبادة عبارة عن التذلل والانكسار .

فالمقصود من خلق الانسان هو التذلل لانه تعالى (قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

وفي المکتوب (٧٧) منها - وما عبدوا غير الاله فباطل - فياويل من يختار ما كان باطلا - وعبادة الله الذي ليس كمثلته شيء انما يتيسر اذا تخلص العبد عن رقية ماسواه جل سلطانه بالتمام . ولم تبق قبلة التوجه غير الذات الاحدية وحصول هذه النعمة العظمى موقوف على كمال اتباع شريعة سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

وفي الخازن (اياك نعبد) واياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك . والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل . وسمى العبد عبداً لذاته وانقياده . وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤدي به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد (اياك نعبد) معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة . ولا تستعمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى (واياك نستعين) اى منك نطلب المعونة لعبادتك وعلى جميع امورنا وعلى الدوام وعلى اتمامها .

وفي غرائب القرآن للاصفهاني عبد العبودية اظهار التذلل . والعبادة ابلغ منها لانها غاية التذلل . ولا يستحقها الا من له غاية الافضال وهو الله تعالى . ولذا قال تعالى (الاتعبدوا الا اياه) والعبادة ضربان . عبادة بالتسخير وهى الدلالة الصامتة والناطقة المنبهة على كونه مخلوقا . وانه خلق خالق حكيم: وعبادة بالاختيار وهى لذوى النطق . وهى المأمور بها

في نحو (اعبدوا ربكم . واعبدوا الله) والعبد يقال على اربعة اضرب .
الاول عبد بحكم الشرع وهو الانسان الذي يصح بيعه وابتياعه نحو)
العبد بالعبد : وعبدا مملوكا لا يقدر على شيء الثاني عبد بالايجاد .
وذلك ليس الا الله .

واياه قصد بقوله ﴿ ان كل من في السماوات والارض الا آتى الرحمن عبدا ﴾
والثالث بالعبادة والخدمة . والناس في هذا ضربان . عبد لله مخلصا وهو
المقصود بقوله ﴿ واذكر عبداً أيوب ، انه كان عبداً شكوراً ﴾ ﴿ نزل الفرقان
على عبده ﴾ ﴿ على عبده الكتاب ﴾ ﴿ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
كونو عبادا لى ﴾ . الا عبادك منهم المخلصين ﴾ ﴿ وعد الرحمن عبادة
بالغيب . ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً . ﴾ ﴿ ان امر
بعبادى ليلاً : فوجد اعبداً من عبادنا ﴾ وعبد للدنيا واعراضها وهو المعتكف
على خدمتها وصرعاتها واياه قصد النبي ﷺ بقوله « تعس عبد الدرهم وتعس
عبد الدينار » قلت قد رواه البخارى ومسلم في صحيحها وعلى هذا النحو
يصح ان يقال ليس كل انسان عبداً لله « فان العبد على هذا المعنى العابد .
ولكن العبد أبلغ من العابد الخ . قال للمصومى تعس ضد سعد : والكب
على الوجه : وقيل البعد والمهلك : كما فى فتح البارى

وفى كتاب التوحيد للعلامة محمد بن عبد الوهاب . وفى الصحيح عن
أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ تعس عبد الدينار وتعس
عبد الدرهم وتعس عبد الخميصة وتعس عبد الحميلة ان أعطى رضى وان لم
يعط سخط الخ

وفيه أيضا كل من أخذ بقول الغير بلا دليل فقد عبده . ومن أطناع العلماء والامراء في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا . وقال ابن عباس رضى الله عنهما . يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء أنا أقول قال رسول الله ﷺ . وتقولون قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته ويذهبون الى رأى سفيان رحمه الله تعالى وان الله تعالى يقول : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تضيبهم فتنة ﴾ الآية أتدرى ما الفتنة الفتنة الشرك . لعله اذا رد بعض قوله ان يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك وعن عدى ابن حاتم رضى الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ﴾ الآية فقلت له انا لسنا نعبدهم . وفي رواية أنهم ما كانوا يعبدونهم قال اليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه فقلت بلى . قال فتلک عبادتهم اياهم رواه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبرانى

قلت الاحبار هم العلماء والرهبان هم العباد

فيه بيان تغيير الاحوال الى هذه الغاية . حتى صار عند أكثر الناس

عبادة الرهبان هي أفضل الاعمال . وتسمى الولاية . وعبادة الاحبار

هي العلم والفقہ . ثم تغيرت الاحوال الى أن عبد من دون الله من ليس من

الصالحين . وعبد بالمعنى الثانى من هو من الجاهلين

وفى كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب : ان الاستعانة والاستغاثة

بالمخلوق على ما يقدر عليه جائز لانكره كما قال الله تعالى فى قصة موسى عليه

السلام ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته علي الذي من عدوه ﴾ وكما يستغيث الانسان باصحابه في الحرب وغيرها من الاشياء التي يقدر عليها المخلوق، ونحن انما نتكر استغاثة العباداة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الاشياء التي لا يقدر عليها إلا الله وحده .

واعلم ان أشد عمل أهل الجاهلية عدم ايمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ وانهم كانوا يتميدون باشرأك الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله كما قال تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ فاتى بالاخلاص وانه أخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل ، وانه لا يقبل من الاعمال إلا الخالص الخ .

وفي الرسالة الثانية لابن عبد الوهاب : ان الذين أرسل رسول الله اليهم كانوا يفعلون شيئاً من العباداة كالحج والعمرة والصدقة على المساكين وأجلها عندهم الشرك . فهو أجل ما يتقربون به إلى الله عندهم ، كما ذكر الله تعالى عنهم ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، وانهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ فاول ما أمره الله به الانذار عنه قبل الانذار عن الزنا وغيره حين نزل قوله تعالى ﴿ يا أيها المدثر قم فانذر ﴾ وقد عرفت أن منهم من تعلق على الاصنام ، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الاولياء من بنى آدم ، ويقولون ما نريد منهم إلا شفاعتهم ومع هذا بدأ بالانذار عنه في أول آية أرسل بها .

وفيهما أيضاً : أن لا إله إلا الله هي الكلمة الفارقة بين الكفر والاسلام، وهي كلمة التقوى التي الزمهم (والزمهم كلمة التقوى) وهي العروة الوثقى ، وهي التي جعلها ابراهيم عليه السلام ﴿ كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ وليس المراد قولها باللسان فقط مع الجهل بمعناها ، فان المنافقين يقولونها ، وهم تحت الكفار في الدرك الاسفل من النار ، مع كونهم يصلون ويتصدقون ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها ، وبغض ما خالفها ومعاداته ؛ كما قال النبي ﷺ « من قال لا إله إلا الله مخلصاً » وفي رواية « خالصاً من قلبه » وفي رواية « صادقاً من قلبه دخل الجنة » وفي حديث آخر « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله » الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة ، وهذه الكلمة نفي واثبات ، نفي الالهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات حتى محمد ﷺ وجبريل عليه السلام فضلاً عن غيرهم من الاولياء والصالحين ؛ وهذه الالهوية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية ، والآلهة معناه الولي الذي فيه السر ، وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ ، ويسمونه العامة السيد واشباه هذا ، وذلك انهم يظنون ان الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى ان يلتجئ الانسان اليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله فالذي يزعم اهل الشرك في زماننا انهم وسائط هم الذين يسمونهم الاولون الالهة والواسطة هو الاله فقول المؤمن لا اله الا الله ابطال للوسائط وغالب الذين غلوا في تعظيم الاولياء وشيوخ الطرق وأئمة آل البيت

من السادة قد عبدوهم بدعائهم حتى في الشدائد والطواف بقبورهم
وذبح للقرابين لهم وكانوا يجهلون أنهم بهذا قد اتخذوهم الهة :

واعلم أن الكفار الذين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان والتوحيد
وقاتلهم وقتلهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية. وهو انه لا يخلق
ولا يرزق ولا يحيى ولا يميت ولا يدبر الامور الا الله وحده كما قال الله
﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن
يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون
الله ﴾ كما حررت امثال هذه الايات فيما مر به قال المؤلف وهذه المسئلة
عظيمة مهمة وهى ان تعرف ان الكفار شاهدون بهذا كله ومقرون
به ومع هذا لم يدخلهم ذلك فى الاسلام ولم يحرم دمائهم واموالهم وسببه
انهم لم يشهدوا لله بتوحيد الالهية وانه لا يدعى ولا يرجى الا الله وحده
لا شريك له ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره لا ملك
مقرب ولا نبي مرسل فمن استغاث بغيره فقد كفر ومن ذبح لغيره فقد
كفر ومن نذر لغيره فقد كفر

واذا تأملت جيدا وعرفت ان الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية
وهو تفرده تعالى بالخلق والرزق والتدبير وهم يناجون عيسى والملائكة
والاولياء يقصدون انهم يقربونهم الى الله زلفى ويشفعون عنده وعرفت
أن من الكفار خصوصا النصارى منهم من يعبد الله الليل والنهار
ويزهد فى الدنيا ويتصدق بما دخل عليه منها معتزلا فى صومعته عن
الناس وهو مع هذا كافر عدو لله بسبب اعتقاده فى عيسى أو غيره من

من الاولياء يدعوه او يذبح له او ينذر له
فالله الله ياخوانى تمسكوا باصل دينكم واوله واخره واسه ورأسه
بشهادة ان لا اله الا الله واعرفوا معناها واكفروا بالطواغيت وعادوهم
وابغضوا من أحبهم . اللهم توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين
ومن الرسالة الرابعة منه . اعلم ان الحنيفية ملة ابراهيم عليه السلام
ان تعبد الله مخلصا له الدين . وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها
كما قال الله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ فاذا عرفت
ان الله خالقك لعبادته فاعلم ان العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد .
كما ان الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة . فاذا دخل الشرك فيها
فسدت كالحدث اذا دخل في الصلاة . كما قال الله تعالى ﴿ ما كان للمشركين
ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت
اعمالهم وفي النار هم خالدون ﴾ فاذا عرفت ان الشرك اذا خالط العبادة
أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار . عرفت
ان أهم ما عليك معرفة ذلك . لعلم الله أن يخلصك من هذه الشبكة
وهي الشرك بالله وهاهنا أربع قواعد ذكرها الله في كتابه . الاولى ان تعلم
ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين ان الله هو الخالق
الرازق المحي المميت النافع الضار الذى يدبر جميع الامور . وما أدخلهم
ذلك في الاسلام . والدليل قوله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض .
امن يملك السمع والابصار . ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت
من الحى ومن يدبر الامر . فسيقولون الله . فقل أفلا تتقون ﴾ الثانية

انهم يقولون ما توجهنا اليهم ودعونا هم الا لطلب القربة والشفاعة نريد
من الله لا منهم لكن بشفاعتهم والتقرب اليهم . ودليل القربة قوله
تعالى ﴿ والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
ان الله بحكم بينهم فياهم فيه يختلفون . ان الله لا يهدي من هو كاذب
كفار ﴾ ودليل الشفاعة قوله تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم
ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل أتنبئون الله بما لا يعلم
فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ . الثالثة أن
النبي ﷺ ظهر على اناس متفرقين فى عبادتهم ، منهم من يعبد الشمس
والقمر . ومنهم من يعبد الصالحين . ومنهم من يعبد الملائكة . ومنهم
من يعبد الانبياء . ومنهم من يعبد الاشجار والاحجار . فقالتهم
رسول الله ﷺ وما فرق بينهم . والدليل قوله تعالى ﴿ ومن آياته الليل
والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر . واسجدوا
لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ﴾ ودليل الصالحين قوله تعالى
﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلا ﴾ ﴿ اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ابيهم
اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ﴾ .
ودليل للملائكة قوله تعالى ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة هؤلاء
اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانه انت ولينا من دونهم بل كانوا
يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون . فاليوم لا يملك بعضكم لبعض
تفعماً ولا ضرراً وتقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بهلا

تكذبون ﴿ و دليل الانبياء قوله تعالى ﴿ واذا قال الله يا عيسى بن مريم
أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي آلهين من دون الله . قال سبحانك ما
يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق . ان كنت قلتة فقد علمته تعلم ما فى
نفسى ولا أعلم ما فى نفسك . انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا
ما أمرتى به ان اعبدوا الله ربي وربكم . وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم .
فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم . وأنت على كل شىء شهيد ﴿
الآية . و دليل الاشجار والاحجار حديث ابى واقد الليثى رضى الله
عنه . قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين . ونحن حدثاء عهد
بكفر وكان للمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم .
يقال لها ذات انواط . فررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات
انواط . فقال لهم رسول الله ﷺ اكبر انها السنن قاتم . والذي
نفسى بيده . كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام ﴿ اجعل لنا
الهة كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبرما هم فيه وباطل
ما كانوا يعملون . قال أغير الله ابنيكم الهة وهو فضلكم على العالمين ﴿
قال المعصومى رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح . الرابعة
ان مشركى زماننا اعظم شركا من الاولين . لان الاولين كانوا يخلصون
لله فى الشدة ويشركون فى الرخاء . ومشركى زماننا شركهم دائم فى
الرخاء والشدة . و الدليل قوله تعالى ﴿ فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ﴿ قال الجامع المعصومى
حفظه الله تعالى لا شك فى ان شرك مشركى زماننا اشد وافظع من

شرك المشركين الاولين . فاني حينما قدمت بلاد الهند عام (١٣٥٣)
رأيت رسالة منظومة بالفارسية ^(١) مطبوعة في بلدة بمبي الفها المشرك
محمود المنكاني الطرازي الفرغاني الذي هو امام في مسجد (ونكاري)
الذي في بجوجة بمبي . فان هذا المشرك نادى عبيد القادر الجيلاني وسماه
غوثا اعظم . وطلب منه الامداد والاستغاثة . واستغاث به وطلب منه
قضاء الحاجات ودفع البليات واهلاك البلاشفة الى آخر ما طغى وغوى .
فاعتقد فيه بعض اهل بمبي وجمعوا له مبلغاً عظيماً . واني قد كنت الفت
في بيان ذلك رسالة سميتها (حكم الله الواحد الصمد . في حكم الطالب
من الميت المدد) وارسلتها اليهم بعد ان طبعتها في مصر اكثر من
الفي نسخة . ولكن ما اصغوا ولا سمعوا **﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾**
ولهذا ترى ان هؤلاء المشركين وان ادعوا انهم مسلمون يصلون
ويصومون ولكنهم عن حقيقة الايمان والتوحيد عارون . وعن فضل
الله ورحمته محرومون . فنتيجته انهم وكذا امثالهم من اهل الصين
والتركستان وافريقيا تحت ارجل المستعمرين الاوربيين اذلاء ومأسورون
فانا لله وانا اليه راجعون . فان قلت وفيهم الصالحون فما بالهم قد ابتلوا
بما ابتلى به الطالحون . قلنا لانهم ساكنوهم وصاحبوهم فلما نزل غضب
الله وعذابه عمهم في الدنيا . ولكن في الآخرة ينجون انشاء الله تعالى
ويحشرون على نياتهم . كما لا يخفى على العالم الخبير بالآيات واحاديث
البيشير والنذير . . .

(١) وسمها آة مهبجودان

وفي الرسالة الثامنة ان اول ما فرض الله تعالى على نبي آدم الايمان
بالله والكفر بالطاغوت . * ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا
الله واجتنبوا الطاغوت . ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل
اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا
ان يكفروا به . ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيداً * فصفة
الكفر بالطاغوت ان تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها
وتكفر اهلها وتعاد بهم . ومعنى الايمان بالله ان تعتقد ان الله هو الاله
المعبود وحده دون من سواه . وتخلص كل انواع العبادة لله . وتنفيها
عن كل معبود سواه . والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله .
ورضى بالعبادة من معبود او متبوع او مطاع في غير طاعة الله ورسوله
فهو طاغوت . والعبادة الاطاعة * ألم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا
الشيطان انه لكم عدو مبين * فالانسان لا يكون مؤمناً بالله الا بعد
الكفر بالطاغوت لقوله تعالى * فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله
فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم *

وفي الرسالة التاسعة . اعلم ان الجامع لعبادة الله وحده انما هو
طاعته بامتثال او امره واجتناب نواهيه . وانواع العبادة التي لا تصلح
الا لله تعالى . الدعاء والاستعانة . والاستغاثة . وذبح القربان
والنذر . والخوف . والرجاء . والتوكل . والاناة . والمحبة . والخشية .
والرغبة . والرغبة . والتأله . والركوع والسجود . والخشوع .
والتذلل . والتعظيم الذي هو من خصائص الاهمية * والدليل

على ذلك قوله تعالى ﴿ وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً .
له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ، وإياك
نعبد وإياك نستعين . اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم . قل ان صلاتي
ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا
أول المسلمين . يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً . انما
ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم وخافونى ان كنتم مؤمنين
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً .
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . وانيبوا إلى ربكم واسلموا له . ومن
الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا
أشد حبا لله . فلا تخشوا الناس واخشوا . انهم كانوا يسارعون
فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين . وإلهم إله واحد
لا إله الا هو الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا
ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وان من أهل الكتاب لمن يؤمن
بالله وما انزل اليك وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بايات الله ثمناً
قليلاً ﴿ ونحوها من الآيات . فمن صرف شيئاً من هذه الانواع لغير
الله تعالى فقد اشرك بالله غيره .

واعلم ان الشرك فى العبادة ينقض الاسلام لقوله تعالى ﴿ ان الله
لا يغفر ان يشرك به ﴾ الآية ﴿ ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
وماواه النار وما للظالمين من انصار ﴾ ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح
للجن أو للقبر ، أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة

ويتوكل عليهم كفر اجماعا ، ولا شك ان دعوة غير الله باطلة أى دعاؤه بان يطلب منه ما لا يطلب الا من الله تعالى ، وهو استعمال عربى فصيح وقد ثبت فى الحديث الصحيح عن ثوبان رضى الله عنه ما أخبر به النبي ﷺ من وقوع الشرك فى هذه الامة « وحتى تعبدننا من امتى الاوثان » . قال المعصوم عفى الله تعالى عنه رواه أبو داود والترمذى ونفذه « لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتى الاوثان » وفيها أيضا نقلا عن الزواجر لابن حجر المكي الشافعى وتبيين المحارم الحنفية ان ، من اشرك فى عبادة الله غيره انه يكفر بالاجماع ويقتل ان اصر على ذلك كالدعاء لجلب خير أو دفع ضرر ، وقد قال رسول الله ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » قال المعصومى رواه ابن ابى حاتم وابن كثير فى تفسيريهما وكالذبح والنذر لغير الله ، فمن ذبح القربان لغير الله فقد اشرك فى عبادة الله غيره ، ومن استعان بغير الله فقد اشرك فى عبادة الله غيره ، وقال العلامة الشيخ قاسم الحنفى فى شرح الدرر « قلت وكذا فى الدر المختار وحاشيته ردالمحتار » النذر الذى يقع من أكثر العوام بان يأتي الى قبر بعض الصلحاء قائلا : ياسيدى فلان ان رد غائبى او عوفى مريضى أو قضيت حاجتى فلك كذا باطل اجماعا لوجوه ، منها ان النذر للمخلوق لا يجوز لانه عبادة ، والعبادة لا تكون للمخلوق ، ومنها ان المنذور له ميت والميت لا يملك ، ومنها انه ان ظن ان الميت يتصرف فى الأمور دون الله تعالى فاعتقاده ذلك كفر ، الى ان قال وقد ابتلى الناس بذلك »

ولاسيما في مولد احمد البدوي ، فقد صرح بان هذا النذر كفر يكفر به المسلم والله تعالى اعلم .

وفيها أيضا . قال الامام شهاب الدين عبد الرحمن الشامي الشافعي المعروف بابي شامة في كتاب (الباعث على انكار البدع والحوادث) ومن هذا ما قد عم الابتلاء به من تزوين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد ومواضع مخصوصة في كل بلد يحكى لهم حاك انه رأى في منامه بها احدا ممن اشتهر بالصلاح والولاية فيحافظون عليه مع تضديعهم فرائض الله تعالى وسننه ويظنون انهم مقربون بذلك ، ثم يتجاوزون ذلك الى ان يعظم وقع تلك الاماكن في قلوبهم فيعظمونها ، ويرجون الشفاء لرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهي بين عيون وشجر . وحائط وحجر .

وفي الحديث الذي رواه محمد بن اسحاق وسفيان بن عيينه عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه انه قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين وكان لقريش والمشركين شجرة خضراء عظيمة يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم ويعكفون عندها ويذبحون لها ، يقال لها ذات انواط فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط ، كما لهم ذات انواط ، فقال النبي ﷺ هذا كما قال قوم موسى لموسى عليه السلام « اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة اتركبن سنن من كان قبلكم » اخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح

قال الامام ابو بكر الطورطوشي المالكى في كتابه فانظروا رحمكم الله تعالى اينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها بالناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويتوطلون

بها اسلحتهم ويضربون عليها المسامير والخرق فهي ذات انواط فاقطعوها فتأمل رحمك الله تعالى إلى هذا الكلام بان ماتفعله العامة في زماننا في العمدة والشجر والحجر والمواضع المخصوصة انه مثل فعل المشركين بذات انواط؛ فتبين منه ان الشرك قد حدث في هذه الامة من زمان قديم وان أهل العلم رضى الله عنهم ينكرون ذلك اشد الانكار ويهدمون ما قدروا عليه مما يفتتن بها الناس؛ وان هذا مما حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة، وان ذلك ليس من الدين باجماع أهل العلم، ويجب على من قدر على ذلك ازالته. فويل للامراء والعلماء والقضاة القادرين على ازالته والنهي عنه.

قال الامام ابو الوفاء ابن عقيل الحنبلي؛ لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن اوضاع الشرع الى تعظيم اوضاع انفسهم فسهلت عليهم، وهم عندي كفار بهذه الاوضاع. مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائح وكتب الرقاع فيها والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى وفيها أيضاً: قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية في الرسالة السنية: أن الغلو في المشائخ منهي عنه، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الآلهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني أو أغثنى أو ارزقني أو اجبرني أو أنا في حسبك أو نحوها فكل هذا شرك وضلال يستتاب وإلا قتل، فان الله تعالى انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده. ولا يجعل معه آله آخ. والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق.

على ترابها وعبادة اصحابها وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الحوائج
وتفريج الكربات التي كانت عباد الاوثان يسألونها اوثانهم . فمن جمع
بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به وما نهى عنه وما عليه
اصحابه . وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى احدهما مضاداً للآخر .
فنهى عن اتخاذها مساجد . وهم يبنون عليها المساجد . ونهى عن تسريجها .
وهؤلاء يوقفون الاوقاف على ايقاد القناديل عليها . ونهى أن تتخذ
عيداً . وهؤلاء يتخذونها اعياداً . وأمر بتسويتها . وهؤلاء يرفعونها
ويحملون عليها القباب . ونهى عن تجصيص القبور والبناء عليها . ونهى عن
الكتابة عليها . ونهى ان لا يزداد عليها غير ترابها . وهؤلاء يتخذون عليها
الالواح ويكتبون عليها القرآن والقصائد ويزيدون على ترابها بالجص
والآجر والاحجار وقد آل الامر بهؤلاء الضلال المشركين الى أن شرعوا
للقبور حجاً . ولا شك ان هذا مفارقة لدين الاسلام . ودخول في دين عباد
الاصنام . فانظر الى هذا التباين العظيم بين ما شرعه الرسول ﷺ لامته
وما شرعه هؤلاء . والنبي ﷺ أمر بزيارة القبور لانها تذكر الآخرة .
وأمر الزائر ان يدعو لاهل القبور . ونهاه ان يقول هجراً . فهذه هي
الزيارة المشروعة بخلاف ما عليه أهل الشرك والبدع فانه مضاد لذلك .
وفيهما أيضا قال ابن تيمية في الرد على البكري . العبادات مبناهما على
الاتباع لا على الابتداع : فليس لاحد ان يشرع في الدين ما لم ياذن به الله
﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله ﴾ وفي الصحيحين عن
عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ انه قال « من احدث في امرنا هذا

ماليس منه فهو رد» وفي لفظ « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »
ولهذا قال الفقهاء . العبادات مبناهما على التوقيف . كما في الصحيحين عن
عمر رضى الله عنه انه قبل الحجر الاسود . وقال والله انى لاعلم انك
حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك
والله سبحانه وتعالى امرنا باتباع الرسول وطاعته وموالاته ومحبته .
وضمن لنا بطاعته ومحبته واكرامه محبته لنا ومغفرته وهدايتنا وادخالنا
الجنة . فمعنا اصلان عظيمان . أحدهما أن لا نعبد الا الله . والثانى ان لا
نعبد الا بما شرع . لا نعبد به بعبادة مبتدعه . وهذان الاصلان هما
تحقيق لشهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله : قال الله تعالى .
﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فاليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحد ﴾
وجاءت السنة أن يسأل الله باسمائه وصفاته . فيقال اسألك بان لك الحمد
لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال يا حى يا قيوم
وأسألك بانك أنت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفواً أحد وكذلك قوله « اللهم انى اسألك بمعاهد العزم من
عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الاعلى
وكلماتك التامة . مع ان هذا الدعاء الثانى فى جواز الدعاء به قولان للعلماء
قال الشيخ ابو الحسن القدورى (يعنى فى كتاب الكراهية من مختصره
قال بشر ابن الوليد سمعت ابا يوسف يقول قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى
لا ينبغى لأحد ان يدعو الله الا به . وأكره أن يقول بمعاهد العزم من
عرشك او بحق خلقك . وهو قول ابى يوسف رحمه الله تعالى . وقال

أبو يوسف رحمه الله بمقعد العز من عرشك هو الله فلا أكره هذا .
وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر
الحرام . قال القدوري المسألة بمخلقه لا تجوز لانه لا حق للمخلوق على
الخالق فلا تجوز يعنى وفاقا . وقال البلدجى في شرح المختار . ويكره أن
يدعوا الله الا به . فلا يقول أسألك بحق فلان أو بملائكتك أو بانبيائك
أو نحو ذلك لانه لا حق للمخلوق على الخالق . وأما سؤال الميت والغائب
نبياً كان أو غير نبي فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم
يأمر الله به ولا رسوله ﷺ ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين
لهم بإحسان . ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين . ولما قحط الناس في
زمان عمر رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه وتوسل بدعائه .
وقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك إذا أجدبنا بنينا فاستسقيننا ؛ وانا نتوسل
اليك بعم ندينا فاسقنا فيسقون . كما في كتاب الاستسقاء من صحيح
البخارى ؛ فكل من دعا ميتا أو غائبا من الانبياء والصالحين أو دعا
الملائكة أو الجن فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا
تحويله . وقد نص الأئمة كاحمد وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق .
قال الجامع المعصومى عنى الله عنه قال شيخ الاسلام برهان الدين
على المرغينانى فى كتاب الكراهية من الهداية الحنفية ويكره أن يقول
الرجل فى دعائه . أسألك بمقعد العز من عرشك ، وللمسئلة عبارتان هذه
ومقعد العز ؛ ولا ريب فى كراهة الثانية لانه من القعود . وكذا الاولى
لانه يوهم تعلق عزه بالعرش وهو محدث ، والله تعالى بجميع صفاته قديم .

وعن أبي يوسف رحمه الله تعالى أنه لا بأس به ، وبه أخذ الفقيه أبو
الليث رحمه الله ، لأنه مأثور عن النبي ﷺ روى أنه كان من دعائه « اللهم
إني أسألك بمعقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك
الاعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامة . ولكن نقول هذا خبر واحد
فكان الاحتياط في الامتناع . ويكره أن يقول الرجل في دعائه بحق
فلان أو بحق أنبيائك ورسلك لأنه لاحق للمخلوق على الخالق انتهى
ومما يبين حكمة الشريعة وعظم قدرها أنها كما قيل كسفينة نوح
عليه السلام من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق فالذين خرجوا عن
المشروع زين لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك . حتى أن
بعضهم يقول إن الكعبة قبلة العامة وقبر فلان قبلة الخاصة . ويامر
المريد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ فلان فيعكف عليه عكوف
أهل التماثيل عليها . وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة
القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب ما لا يجده أحد في
مساجد الله ولو في المسجد الحرام . وآخرون يحجون القبور . (قال الجامع
المعصومي حفظه الله تعالى كما شاهدنا عيانا غير مرة أن أهل ما وراء
النهر يحجون إلى قبر بهاء الدين النقشبندی في بخارى . وأهل تركستان
وفرغانة يحجون إلى قبر خواجه أحمد يسوي في الشتاء ويسمونهم خلوت
وأهل أفغانستان يحجون إلى بلخ ومزار شريف لقبر مزعومهم علي
المرتضى . وأهل الهند يحجون إلى اجير . وأهل مصر إلى قبر أحمد
بدوي . إلى غير ذلك . ولكل واحد منه موهبه خاصه ، طائفة صنفه .

كتبا في مناسك حج المشاهد كابي عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد
أحد شيوخ الامامية . وذكر فيها حكايات مكذوبة . وبعض المشهورين
منهم بالزهد والصلاح صنف كتابا سماه . الاستغاثة بالنبي عليه
الصلاة والسلام في اليقظة والنام . ومنهم من يرجع الحج الى المقابر على
الحج الى الكعبة . ومنهم من يقول اذا زرت قبر الشيخ مرة او مرتين
او ثلاثا كان كحجة . ومنهم من يحكى عن الشيخ الميت انه قال كل
خطوة الى قبري كحجة . وانكر بعض الناس ذلك فتمثل له الشيطان
بصورة الشيخ في منامه وزجره عن انكار ذلك . فهؤلاء وامثالهم لا
يخشون الله بل يخشون المشاهد والمقابر وعمارها ويخشون غير الله .
ويرجون غير الله . حتى ان طائفة من ارباب الكبراء الذين لا يخشون الله
فما يفعلونه من الكبراء كان اذا رأى قبة الميت فيخشى عن فعل
الفواحش . ويقول أحدهم لصاحبه ويحك هذا هلال القبة فيخشون
المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذي خلق السماوات والارض والهلال .
وطائفة منهم قد جعلوا الميت بمنزلة الآله . والشيخ الحى التعلق به
كالنبي فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات . وأما الحى
فالحلال ما حله والحرام ما حرمه . ولا شك أن هذا هو دين المشركين
والنصارى . ومنهم من يرى في المنام شخصا يظن انه المقبور ويكون
ذلك شيطانا تصور بصورته أو غير صورته كالشياطين التى تكون فى
الاصنام . وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالاصنام والموتى
والغائبين وهذا كثير فى زماننا . وعند كل من المشاهد وبيت الاصنام

قد يكونُ عنده شياطين تضل من أشرك بالله . وان تلك الشياطين لا يقضون بعض اغراضهم إذا حصل منهم الشرك والمعاصي ما يحبه الشيطان . وقد وقع في هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذي بعث الله به رسوله طمعت فيهم الشياطين حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة . وهؤلاء الضالون مستخفون بتوحيد الله . ويعظمون دعاء غير الله من الاموات وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به . كما أخبر الله تعالى عن المشركين ﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا ﴾ فاستهزؤا بالرسول لما نهام عن الشرك ﴿ انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون . ويقولون إنما التاركو آلهمنا شاعر مجنون . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ وما زال المشركون يسفهون الانبياء ويصفونهم بالجنون كما قال قوم نوح ﴿ قالوا أجنثنا لتعبد الله وحده ﴾ فاعظم ما سفهوه لاجله وأنكروه هو التوحيد . وهكذا تجد من عليه شبهة من هؤلاء من بعض الوجوه إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله وإخلاص الدين له . وأن لا يعبد الا انسان الا الله . ولا يتوكل الا عليه استهزاء بذلك لما عنده من الشرك . فانهم اعتقدوا أن دعاء الميت الذي بنى له المشهد والاستغاث به أنفع لهم من دعاء الله ولي . وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه بكى عنده وخضع . ويدعو ويتضرع ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب مالا يحصل له في الصلوات الخمس والجمعة وقراءة القرآن . فهل

هذا إلا من حال المشركين المبتدعين لا الموحدين المخلصين المتبعين
لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم سماع الآيات يحصل له من الحضور
والخشوع والبكاء ما لا يحصل مثله عند سماع آيات الله تعالى . والذين
يعملون دعاء الموتى من الانبياء والأئمة والشيوخ أفضل من دعاء
الله تعالى أنواع متعددة . ويحكون أنواعا من الحكايات . منها أن

بعض المريدين استغاث بالله فلم يفته واستغاث بشيخه فآثته . ومنها
أن بعض المأسورين في بلاد العدو دعا الله فلم يخرجهم فدعا بعض المشائخ
الموتى فجاءه فأخرجه إلى بلاد الاسلام . ومنها أن بعض الشيوخ قال
لمريده إذا كانت لك إلى الله حاجة فتعال إلى قبري . وقال الآخر
فتوسل إلى الله بي وقال آخر فلان قبره هو الترياق المجرّب . فهؤلاء
وأشباههم يضاهئون للمشركين . وقد يتمثل له الشيطان بصورة شيخه

ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدة لا ينادى إلا شيخه ولا يذكر إلا
إسمه . ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب . ويحلف بامامه وشيخه
فيصدق ولا يكذب . فيكون شيخه عنده وفي صدره أعظم من الله .

وعمدة هؤلاء الضلال أما أحاديث ضعيفة أو موضوعة . أو منقولات
عمن لا يحتج بقوله أما أن تكون كاذبا عليه وأما أن يكون غلطا
مينة : اذ هي نقل غير مصدق عن قائل غير مقصوم .

والاستغاثنة لتقسيم النبي ﷺ الاستغاثة بالحق وباليعنى . والاستغاثنة
بالحق تكون فيما يقدر عليه أو مما لا يقدر عليه . وقد مر في أن النبي ﷺ

يوم بدر كان يقول (يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث .
وأصلح لي شأني كله ولا تكن لي إلى نفسي طرفة عين ولا إلى أحد من
خلقك) وأما جهلاء زماننا فيدعون الميت والغائب فيقول أحدهم بك
أستغيث بك أستجير أغثنا أجرنا . هل تجد أحد الصحابة أو التابعين
لهم باحسان أتى رسول الله بعد موته أو استغاث به أو استشفع به إلى
ربه وقال يارسو الله اشفع لي إلى ربك أو اقض ديني أو فرج كربتي
أو انصرني أو اغفر لي ذنوبي . بل جردوا التوحيد لله تعالى وحوا
جانبه . ولهذا كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وغيره من الصحابة
رضي الله عنهم إذا سلم على النبي ﷺ يقف ويقول السلام عليك
يارسول الله . ثم يقف ويقول السلام عليك يا أبا بكر . ثم يقف ويقول
السلام عليك يا أباي وإذا أراد أحدهم الدعاء جعل ظهره إلى جدار
القبر واستقبل القبلة حتى لا يدعو عند القبر . وذكر الامام أحمد وغيره
أنه يستقبل القبلة ويجعل القبر عن يساره . وذكر أصحاب مالك رحمه
الله أنه يدنو من القبر فيسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبلاً القبلة يوليه
ظهره . وقيل لا يوليه ظهره . فاذا جعل الحجره عن يساره فقد زال
المحذور بلا خلاف . وقال مالك في المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر
النبي ﷺ وإنما يصلي ويسلم . فهذا هو هدى السلف الصالح من
الصحابة والتابعين لهم باحسان . ولكن كلما ضعف تمسك الامم بعمود
أنبيائهم عوضوا عن ذلك بما أخذوا من الهدع والشرك وغيره . ولهذا
كرهت الأمة رحمتهم الله استلام القبر وتقبيله .

وفيهما ايضاً قوله تعالى ﴿ اتخذوا اَحبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله ﴾
الاحبار هم العلماء والرهبان هم العباد وهذه الآية قد فسرها رسول الله
ﷺ لعدي بن حاتم رضى الله عنه . قال السدى استنصحووا الرجال
ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى ﴿ وما امروا الا
ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون ﴾ فصار ذلك
عبادة لهم . وصاروا به لهم ارباباً من دون الله . وقال تعالى ﴿ ولا
يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم
مسلمون ﴾ فن تدبر هذه الآيات تبين له معنى لا إله الا الله . وتبين
له التوحيد الذى جحدته اكثر من يدعى العلم فى هذه القرون . وقد
عمت البلوى بالجهل به بعد القرون الثلاثة لما وقع الغلو فى قبور أهل
البيت وغيرهم . وبنيت عليها المساجد . وبنيت لهم المشاهد . فأتسع
الامر وعظمت الفتنة فى الشرك المنافى للتوحيد لما حدث الغلو فى
الاموات وتعظيمهم بالعبادة . فبهذه الامور الذى وقع فيها اكثر
الناس عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً والبدعة سنة والسنة بدعة .
نشأ على هذا الصغير وهم عليه الكبير . وتبين سر قوله ﷺ . بدأ
الاسلام غرباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد
الناس . وقوله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم
كحب الله ﴾ الآية الانداد الامثال والنظراء . كما قال العباد بن كثير
وغيره من المفسرين . فكل من صرف من العبادة شيئاً لغير الله رغبة
اليه أو رهبة منه فقد اتخذته نداً لله لانه اشرك مع الله فيما لا يستحقه

غيره فتوحيد المحبوب ان لا يتعدد محبوبه . اى مع الله بعبادته له .
وقوله تعالى (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم
يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) * ذكر العباد
بن كثير فى هذه الآية مارواه بن أبى حاتم بسنده عن ابن عباس رضى
الله عنهما مرفوعاً « احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك .
تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة . إذا سألت فاسأل الله .
وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الامة لو اجتمعوا على أن يضروك
بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك . ولو اجتمعوا على أن ينفعوك
بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك . جفت الصحف ورفعت الاقلام .
واعمل لله بالشكر فى اليقين »

وعن عمر ان بن حصين رضى الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً فى
يده حلقة من صفر فقال ما هذه فقال من الواهنة . فقال انزعها فانها
لا تزيدك الا وهناً . فانك لو مت وهى عليك ما أفلحت أبداً » رواه
أحمد بسند لا بأس به .

ومن الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره . قال ابن تيمية .
الاستغاثة هي طلب الغوث . وهو إزالة الشدة . كالاستنصار طلب
النصر والاستعانة طلب العون . وبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص
مطلق يجتمعان فى مادة وهو دعاء المستغيث . وقد نهى الله تعالى عن دعاء
بغيره الاخص والاعم فى كتابه . فكل ما قصد به غير الله مما لا يقدر
عليه إلا الله كدعوات الاموات والغائبين فهو من الشرك الذى لا يغفره

سئل ما قول علماء المسلمين فيمن يستنجد باهل القبور ويطلب منهم ازالة الالم : ويقول ياسيدى انا فى حسيك : وفيمن يستلم القبر ويمرغ وجهه عليه : ويقول قضيت حاجتى ببركة الله وبركة الشيخ ونحو ذلك : الجواب الدين الذى بعث الله به رسله وانزل به كتبه هو عبادة الله وحده لا شريك له واستعانتة والتوكل عليه ؛ ودعاؤه لجلب المنافع ودفع المضار . قال الله تعالى ﴿ احسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء ﴾ الآية . فيبين سبحانه ان من دعى من دون الله من جميع المخلوقات الملائكة والبشر وغيرهم انهم لا يملكون مثقال ذرة فى ملكه . وانه ليس له شريك فى ملكه ؛ وانه ليس له عون كما يكون للملك اعوان وظهراء وان الشفعاء لا يشفعون عنده الا لمن ارتضى ، فنفى بذلك وجوه الشرك قال الله تعالى ﴿ ولا يأمركم بالکفر بعد اذ انتم مسلمون ﴾ فيبين سبحانه ان من اتخذ الملائكة والنبیین ارباباً كان كافراً ، فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشائخ وغيرهم ارباباً ؛ فلا يجوز ان يقول لملك ولا لنبي ولا لشيخ سواء كان حياً أو ميتاً اغفر ذنبي وانصرني على عدوى أو اشف مريضى أو ما اشبه ذلك . ومن سأل مخلوقاً كائناً من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والانبياء والتمائيل التى يصورونها على صورهم . وان قال انا اسأله لانه اقرب الى الله منى ليشفع لى لاني اتوسل الى الله به كما يتوسل الى السلطان بخواصه واعوانه ، فهنا من أفعال المشركين والنصارى ؛ فانهم يزعمون انهم يتخذون احيارهم ورهبانهم شفعاء .

يستشفعون بهم في مطالبهم ؛ وقول كثير من الضلال هذا اقرب الى الله مني وأنا بعيد منه ، لا يمكن لنا ان ندعوه إلا بهذه الوساطة ونحو ذلك هو من قول المشركين فان الله تعالى يقول ﴿ واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني ﴾ وقد روى ان الصحابة رضی الله عنهم قالوا يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت الآية وقد أمر الله تعالى العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته وامر كلا منهم ان يقولوا ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ .

ثم يقال لهذا المشرك انت اذا دعوت هذا فان كنت تظن انه اعلم بحالك أو اقدر على اجابة سؤالك أو ارحم بك من ربك فهذا جهل وضلال وكفر ، وان كنت تعلم ان الله تعالى اعلم واقدر وارحم فلماذا عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره .

فان قلت هذا إذا دعا الله اجاب دعاءه اعظم مما يجيب إذا دعوته انا ، فهذا هو القسم الثاني ، وهو ان يطلب منه الفعل ولا يدعوه ، ولكن يطلب يدعو له ، كما يقال للحی ادع لي . وكما كان الصحابة يظلمون من النبي ﷺ الدعاء فهذا مشروع في الحی ، واما الميت من الانبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا ان نقول ادع لنا ولا اسأل لنا ربك ونحو ذلك ، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة والتابعين ولا امر به أحد من الأئمة . ويدل لذلك ما في الصحيح انهم لما اجدبوا زمن عمر رضی الله عنه استسقى بالعباس رضی الله عنه . فقال اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقيننا ، وانا نتوسل اليك بهم نبينا فاسقنا فيسقون . يعني كان هو

كالامام مع المأموم وهذا متعذر بعدموته . فلم يجيئوا الى قبر النبي ﷺ قائلين يا رسول الله ادع الله او استسق لنا ونحن نشك اليك ما اصابنا ونحو هذا لم يقله أحد من الصحابة قط ، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان بل كانوا إذا جاؤا عند قبر النبي ﷺ يسلمون عليه . ثم إذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبيل القبر بل ينحرفون فيستقبلون القبلة ويدعون الله وحده لا شريك له كما كانوا يدعونه في سائر البقاع . وقد قالوا أنه لا يجوز أن ينذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئاً لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك وكل له نذر معصية . وذكر البخاري في صحيحه والطبري وغيره في تفاسيرهم في قوله تعالى ﴿وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ قالوا هذه أسماء قوم صالحين في قوم نوح عليه السلام . فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الاملد فأتخذوا تماثيلهم اصناماً فالعكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها هو أصل الشرك وعبادة الاوثان ، ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين فإنه لا يتمسح به ولا يقبله . وليس في الدين ما شرع تقبيله إلا الحجر الاسود .

وفي المجلد الرابع من المجموعة التجديدية: قال ابن تيمية في الرد على البكري ، سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غير نبى من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين ، لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان . وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين . وما

استغاث أحد بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنهم . بل ولا اقسم بمخلوق على الله أبداً أصلاً . وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال : قبر معروف الكرخي الترياق المجرّب أو قول بعضهم إذا كانت لك حاجة فاستغث بي ، أو قال استغث عند قبري ونحو ذلك ، فإن هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين . ولكن هذه الامور كلها بدعة محدثة في الاسلام ، وكثيراً ما يتمثل الشيطان لهم بصور شيوخهم . فكلما كان القوم أعظم جهلاً وضلالاً كانت هذه الاحوال الشيطانية عندهم أكثر . وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو نحو ذلك وهو لا يرى أحداً أتاه فيحسب كرامة وانما هو من الشيطان ، وسببه شركه بالله وخروجه عن طاعة الله ورسوله إلى طاعة الشيطان فاضلتهم الشياطين كما اضلت عباد الأصنام .

والواجب على العبد أن يتوجه إلى الله الذي محياه ومماته له ، فهو قبلة قلبه ووجهه كما أخبر الله تعالى عن خليله عليه السلام ﴿ إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ فالتوجه إلى أرواح أهل القبور والاستظهار بهم هو الشرك الذي لا يغفره الله عزوجل . ولو جاز الاستظهار بأرواح الاموات كما يظنه الجاهلون لجاز أن يستظهر العبد بالحفظة من الملائكة الذين هم معه لا يفارقونه بيقين . وهذا لا يقوله مسلم أصلاً ، بل لو فعله أحد كان مشركاً بالله ، فاذا لم يجوز ذلك في حق الملائكة الحاضرين فان لا يجوز في حق أرواح الاموات التي قد فارقت اجسادها لا يعلم مستقرها إلا الله أولى ؛ وأنت ترى أكثر

الناس انصرفت قلوبهم عن فهم الحق ومعرفة بدليله حتى تمكنت الشبهات فيهم فظنوها بينات فضلوا وأضلوا . وقد قال النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس كما في صحيح مسلم « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك ، وقاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وانما نهى من فعل ذلك لاجل الفتنة بالصلاة عند القبور ومشاهاة عباد الأوثان فنهى سداً للذريعة . وقد أخرج احمد وأهل السنن « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ومعلوم أن ايقاد السرج انما لعن فاعله لكونه وسيلة الى تعظيمها ، وكذلك اتخذ المساجد على قبور الأنبياء والصالحين .

ووجه الدلالة أنه إذا لعن من فعل ما هو الوسيلة الى التعظيم والغلو وان كان المصلي عندها انما وجهه وقلبه لله وإلى الله وحده . فكيف إذا وجه وجهه إلى ارباب القبور وأرواح الأموات واقبل عليها بكليته وطلب النفع منها من دون الله تعالى ، فانه قد صرف ما هو من خصائص الربوبية لمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً فمن جعل لله شريكاً يلتجئ اليه ويعلق به قلبه ويوجه اليه وجهه ويرغب اليه دون الله فقد جعله لله نداً ، قال الله تعالى ﴿ انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ فالرغبة والرغبة والخشوع وغير ذلك من أنواع العبادة كالحبة والدعاء والتوكل ونحو ذلك مختص بالله تعالى لا يصلح منه شيء لغيره كائناً من كان .

وقد شاع الشرك في أهل البسيطة وغالب الامصار والبلدان باتخاذ الآلهة والانداد لرب العالمين، مالا يخصصه إلا الله على اختلاف معبوداتهم وتباين اعتقاداتهم فمنهم يعبد الكواكب ويخاطبها بالحوامج ويبخر لها التبخيرات، ويرى أنها تفيض عليه أو على العالم وتقضى لهم الحاجات وتدفع عنهم البليات، ومنهم من لا يرى ذلك ويكفر أهله ويتبرأ منهم ولكنه قد وقع في عبادة الأنبياء والصالحين فاعتقد أنه يستغاث بهم في الشدائد والملمات وانهم هم الواسطة في اجابة الدعوات وتفريج الكربات؛ فتارة يصرف وجهه اليهم ويسوى بينهم وبين الله في الحب والتعظيم والتوكل والاعتماد والدعاء والاستغاثة والاستعانة وغير ذلك من انواع العبادات . وهذا هو دين جاهلية العرب الأولى، كما ان الاول هو دين الصائبة، وقد بعث الله تعالى محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله؛ وكانت العرب في وقته وزمان مبعثه معترفين لله بتوحيد الربوبية والافعال، ولكنهم اشركوا في توحيد العبادات والآلهية فاتخذوا الشفعاء والوسائط من الملائكة والصالحين وغيرهم وجعلوا انداداً لله رب العالمين فيما يستحقه عليهم من العبادات والارادات كالحب والخضوع والتعظيم والانابة والخشية وغير ذلك ويعبدون من دون الله؛ واتخذوا من دونه اولياء والذين اتخذوا ﷻ إلى آخر الآيات الثلاث، فنهاهم رسول الله ﷺ عن هذا الشرك وكفر أهله وجهلم وسفه احلامهم؛ ودعاهم إلى شهادة ان لا إله إلا الله، وبين ان مدلولها الالتزام بعبادة الله وحده لا شريك له

والكفر وبما يعبد من دون الله وهذا هو أصل الدين وقاعدته ولهذا كانت هذه الكلمة كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام والفارق بين المؤمن والكافر من الانام : ولهذا جردت السيوف وشرع الجهاد . ولكن تلطف الشيطان في التحويل والمكر والمكيدة حتى ادخل الشرك وعبادة الصالحين على كثير ممن ينتسب الى الاسلام في قالب محبة الصالحين والتشفع بهم . وان لهم جاهاً ومنزلة يشفع بها من دعائم ولاذ بمجاهم . ومن أعظم ما عمّت به البلوى التوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الاعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها الا رب الارض والسماوات . وكذلك التقرب اليهم بالنذور وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد الى غير ذلك من أنواع العبادات التي لا تصح الا لله . وصرف شيء من انواع العبادة لغير الله كهصرف جميعها . وان الله تعالى اخبر ان للمشركين يدعون الملائكة والانبيا والصالحين ليقرّبوهم الى الله ذلّي ويشفعوا لهم عنده واخبر الله تعالى ان من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويساءلهم الشفاعة فقد عبدهم واشرك بهم . وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه احد من علماء المسلمين بل قد اجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم . واما ما حدث من سؤال الانبياء والصالحين والاولياء الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها واسراج السرج والصلاة عندها واتخاذها اعياداً وجعل السدنة والنذور لها . فكل ذلك من حوادث الامور التي

اخبر بوقوعها النبي ﷺ « انه لا تقوم الساعة حتى تاحق حى من امتى
بالمشركين . وحتى يعبد قنم من امتى الاوثان » وهو ﷺ حى جانب
التوحيد اعظم حماية وسد كل طريق يؤدى الى الشرك فنهى ان يخصص
القبر وأن يبنى عليه : وأمر بطمس ما بنى عليه : ولهذا قال غير واحد
من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لانها أسست على معصية
الرسول ﷺ

فان قيل لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله : فانا لا نقدر أن نصل
اليه الا بذلك فاجاب التقي ابن تيميه ان اراد بذلك انه لا بد من واسطة
تبلغنا أمر الله فهذا حق . فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما
أمر به وما نهى عنه الا بالرسل الذين ارسلهم الله تعالى الى عباده . وهذا
مما أجمع عليه اهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى : ومن انكر
هذه الوسائط فهو كافر باجماع اهل الملل : وان اراد بالواسطة انه لا بد من
واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله فى جلب المنافع ودفع المضار مثل
ان يكون واسطة فى رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون
اليه فيه . فهذا من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا
من دون الله أولياء وشفعاء يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار :
كما كان اقوام من الكفار يدعون عيسى والعزير والملائكة والانبياء
فبين الله لهم ان الملائكة والانبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا
تحويلا قال الله تعالى ﴿ ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ﴾ فبين سبحانه وتعالى

أن اتخذ الملائكة والنبیین أربابا كافر . فمن جعل الملائكة والنبیین وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار فهو كافر بإجماع المسلمین . فمن أثبت الوسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون الي الله حوائج خلقه ، وان الله انما يهدى عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم بمعنى أن الخالق يسألونهم وهم يسألون الخالق ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم ، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فان تاب والا قتل ، وهؤلاء مشبهون شبهوا الخالق بالخلق وجعلوا لله أندادا ، وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا يحصى وترى كثيراً منهم قد اتخذ ذكر آلهه ومعبوده من دون الله على لسانه ان قام وان قعد وان عثر وان مرض فذكر إلهه ومعبوده من دون الله وهو الغالب على لسانه قال المعصومي حفظه الله كقول غالب جهلة اهل **بجلى** والتركستان اذا قام واذا قعد واذا حمل شيئاً أو عدى من نهير يا بيم يا بلاگردان يا بهاء الدين يا نقشبندي يا علي يا غوث يا حضرت يا خوجم ، ونحوها ، ومثل قول الافغانيين يا جهار يار يا شير خدا ، يا حيدر كرار ، ونحو ذلك) وهو لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه من باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه وهكذا كان عباد الاصنام سواء

ولا يخفك يا أيها المسلم العاقل أن الله تعالى أمر عباده المؤمنين ان يقولوا ﴿ اياك نعبد ﴾ ولا يصدق قائل هذا الا اذا أفرد العبادة لله والا

كان كاذبًا . اذ معناها نخصك بالعبادة ونفردك بها وهو معنى قوله ﴿ فإياي فاعبدوني وإياي فاتقوني ﴾ أي لاتعبدوا الا الله ولا تعبدوا غيره ولا تتقوا الا الله ولا تتقوا غيره لما عرف في علم البيان ان تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر . كما في الكشاف . فافراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يكون الا بان يتم جميعها كلها له والنداء في الشدائد والرجاء لا يكون الا لله وحده . والاستعانة والاستغاثة بالله وحده واللجوء الى الله والنذر له والنحر له وجميع أنواع العبادة له . ومن يفعل شيئًا من ذلك لمخلوق من حي أو ميت اذ جماد فقد اشرك في العبادة . وصار من يفعل له هذه الامور لها لعابديه . سواء كان ملكا أو نبيا او وليا أو شجرا أو حجرا أو قبرا أو جنيا وصار بهذه العبادة أو باى نوع منها عابدا لذلك المخلوق . وان أقر بالله وعبده فان اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك . وقد عرفت من هذا كله ان من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو حي أو ميت انه ينفع أو يضر . وانه يقرب الى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به الى الرب تعالى . فانه قد أشرك مع الله غيره . واعتقد مالا يحل اعتقاده . القوله تعالى ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ وقوله تعالى ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ أي يدعون من دون الله ﴿ لا يستجيبون لهم بشيء ﴾ أي لا يجيبونهم فيما يسألونه منهم من نفع أو دفع ضر اذا دعوا ﴿ الا كباط كفيه الى الماء ليبلغ

فاه وما هو ببالغه ﴿ يعني ان استجابتهم لهم كاستجابة الماء لمن بسط كفيه
اليه يطلب منه أن يبلغ فاه . وكذلك ما يدعونه جمادا لا يحس دعاءهم
ولا يستطيع اجابتهم . قيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لاهتهم بمن
أراد ان يغرف الماء بيده ليشرب به فبسطها ناشراً أصابعه لا يكون
منه في يده شيء . كذلك الذي يدعوا الاصنام بانها لاتضر ولا تنفع ولا
بيده منها شيء ، وقال مجاهد كالعطشان الذي يرى الماء بعينه من بعيد
وهو يشير بكفيه إلى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبداً وقال عطاء
كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يده إلى الماء فلا هو يبلغ الماء
ولا الماء يرتفع اليه . فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه له . كذلك
الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم دعاؤهم ﴿ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾
أى كل مدعى سواه يضل عن دعاه إذا احتاج اليه . وهذا مثل ضربه
الله لمن يدعو غيره فيما لا يقدر عليه الا هو الله سبحانه وتعالى .

وفي المجموعة النجدية ان كثيراً من الناس يتوسلون غير قاصد
للشرك ولا معاند للاسلام . فالجواب أن سؤال الغائب والميت نبي
كان أو غيره تفريج الكربات وإغاثة اللهفات والاستغاثة به في الامور
المهمات فهو من المحرمات المنكرة باتفاق ائمة المسلمين لم يأمر الله به ولا
رسوله ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان . ولا استحبه
أحد من ائمة المسلمين . وهذا مما يعلم بالضرورة من دين الاسلام . فانه
لم يكن أحد منهم اذا نزلت به ترة أو عرضت له حاجة أو نزلت به
كربة وشدة يقول ليت ياسيدى فلان انا فى حسبك أو اقض حاجتى .

أو انا مستشفع بك الى ربي كما يقوله هؤلاء المشركين لمن يدعوهم من الموتى والغائبين ولا أحد من الصحابة رضى الله عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء لا عند قبورهم ولا اذا بعدوا عنهم ولا كانوا يقصدون قبورهم الدعاء والصلاة عندها . وهذه الامور المبتدعة عند القبور أنواع أبعدها عن الشرع من يسأل الميت حاجته كما يفعله كثير من الناس . وهؤلاء من جنس عباد الاصنام .

وأما بناء القباب على القبور فهو من علامات الكفر وشعائره لان الله تعالى أرسل محمداً ﷺ بهدم الاوثان ولو كانت على قبر رجل صالح . لان اللات رجل صالح فلما مات عكفوا على قبره وبنوا عليه بنية وعظموها . فلما أسلم أهل الطائف وطلبوا منه (أى من النبي ﷺ) ان يترك هدم اللات شهراً لثلاثين يوماً نساءهم وصبيانهم حتى يدخلوهم الدين فأبى ذاك عليهم . وأرسل معهم المغيرة بن شعبه و ابا سفيان بن حرب رضى الله عنهما وأمرهما بهدمها . قال العلماء رحمهم الله تعالى كما فصله العلامة ابن القيم في زاد المعاد وفي هذا أوضح دليل على انه لا يجوز ابقاء شئ من هذه القباب التي بنيت على القبور واتخذت اوثاناً ولا يوماً واحداً فانها شعائر الكفر . وقد ثبت ان النبي ﷺ نهى عن البناء على القبر وتخصيصه وتخليقه والكتابة عليه .

وفي كتاب الاستغاثة لابن تيمية . وهو المعروف بالرد على البكري .

والاستغاثة بالميت والغائب سواء كان نبياً أو ولياً ليس مشروعاً . ولا

هو من صالح الاعمال . ولم يصح عن احد من الصحابة والسلف انه فعل ذلك . وقد وقع في دعاء الاموات والغائبين كثير من جهال الفقهاء والمفتيين حتى لا قوام فيهم زهد وعبادة ودين ترى احدهم يستغيث بمن يحسن به الظن حياً كان او ميتاً . وكثير منهم تتمثل له صورة المستغاث به وتخطبه وتقضى بعض حوائجه . وتخبره ببعض الامور الغائبة . ويظن الغر انه المستغاث به . او ان ملكا جاء على صورته . وانما هي شيطان تتمثل له به وخيالات باطلة . ومنهم من يظن ان الرسول او الشيخ يعلم ذنوبه وحوائجه وان لم يذكرها . وانه يقدر على غفرانها وقضاء حوائجه . ويقدر على ما يقدر عليه الله . ويعلم ما يعلمه الله . ولا شك ان هذا الفعل منه ما هو كفر صريح . ومنه ما هو منكر ظاهر سواء قدر ان الميت يسمع الخطاب كما اذا خوطب من قريب . او قدر انه لا يسمع كما اذا خوطب من بعيد . فان مجرد سماع الميت للخطاب لا يستلزم انه قادر على ما يطلب الحى منه . وقد مضت السنة ان الحى يطلب منه الدعاء كما يطلب ما يقدر عليه . واما المخلوق الغائب والميت فلا يطلب منه شئ . ولا يخفك انه كلما كان القوم اعظم جهلاً وضلالاً كانت هذه الاحوال الشيطانية عندهم أكثر . وقد يأتهم الشيطان بمال او طعام او لباس او يتكلم او غير ذلك فيحسب ذلك كرامة . وانما هي من الشيطان . وسببه شركه بالله تعالى وخروجه عن طاعة الله ورسوله الى طاعة الشياطين .

وفي المجلد (١٦) من مجلة المنار . اما حقيقة الشرك الذي لا يغفره الله تعالى والذي حرم الله على صاحبه الجنة فهو مبين في القرآن في مواضع كثيرة جداً وينقسم الى شرك في الالوهية بعبادة غير الله تعالى . ومنع العبادة وجوهرها الدعاء اى طلب الخير ودفع الشر في الدنيا والآخرة . وشرك في الربوبية باتخاذ بعض الناس شارعين يحلون لهم ويحرمون عليهم . ويشرعون لهم ما لم يأذن به الله فيتبعونهم . والمعطل المنكر لوجود الله تعالى لا يسمى مشركا . ولكنه شر من الشرك .

وفي المجلد (٣٣) من المنار ايضاً . في سورة يونس ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السماوات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر . ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ﴾ فالله خاطب الناس بهذه الآية بان ربهم هو الذى خلق السماوات والارض اطواراً فى ستة ايام ثم فيها خلقها وتكوينها فكانت ملكاً عظيماً ثم استوى على عرش هذا الملك . الاستواء به الدال على علوه المطلق على جميع خلقه . احاطته به بعلمه وقدرته . وتدبير الامر فيه بمشيئته وحكمته ورحمته بغير حد ولا تشبيه ولا شريك له فى الخلق والتقدير . ولا فى التصرف والتدبير . ما من شفيع الا من بعد اذنه . فله وحده الامر وبيده النفع والضرر . وبعد تقرير هذه الحقيقة فى توحيد الربوبية قال محتجاً بها على توحيد الالوهية ﴿ ذلكم الله ربكم

فاعبدوه * أى فاعبدوه وحده . ولا تعبدوا معه غيره بطلب شفاعته ولا دعاء ولا مادونهما من مظاهر العبادة . اذ لرب لكم غيره . وانما تجب العبادة لرب العباد دون غيره . وفي المجلد (١٥) منها ايضاً * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء *

فالشرك لافساده للارواح يشبه ما يصيب القلب أو الدماغ من سهم نافذ أو رصاصة قاتلة ، فلا مطمع للنجاة من العقاب عليه . فاما سائر المعاصى فكاصابة السهم فى سائر البدن غير القلب فانه قد لا يهلك ، وذلك بان الشرك فى نفسه هو منتهى فساد الارواح وسفاهة الانفس وضلال العقول فان روحه تكون فى الآخرة على ما كانت عليه فى الدنيا متعلقة بشركاء يحولون بينها وبين الخلوص اليه عزوجل ، والله لا يقبل إلا ما كان خالصاً له ، والمذنب قد يكون فى ايمانه وسريته خالصاً لله عبداً له وحده فالعبد المملوك قد يعصى وقد يابق فلا العصيان ولا الابق يخرجانه عن كونه عبداً لسيد واحد ، ولسيده أن يعاقبه وان يعفو عنه ولا يغفر له ان يجمل نفسه عبداً لغيره ، والحال ان كل كائن عبد لله ، لا ينبغى أن يكون لهم شركة فى مقام العبادة لا بدعاء ولا بנדاء ، ولا شك أن أعرف الناس بالله أشدهم خوفاً منه ورجاءاً فى فضله ورحمته ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ، فتجد الملايين منهم يدعون المسيح ويدكرون اسم الله مع اسمه ، وتجد الملايين من دونهم يدعون وينادون من دون المسيح من الأولياء وبصمدون إلى قبورهم ، أو إلى الصور

والتماثيل التي اتخذها قدماء المفتونين بهم تذكراً لهم ؛ ولكن الله تعالى لا يقبل العبادة إلا خالصة لوجهه من كل شائبة .

ومن الناس من يسمون أنفسهم موحدين وهم يفعلون مثل ما يفعل جميع المشركين ، ولكنهم يفسدون في اللغة كما يفسدون في الدين ؛ فلا يسمون أعمالهم هذه عبادة ؛ وقد يسمونها توسلاً وشفاعة ، ولا يسمون من يدعونهم من دون الله أو مع الله شركاء ، ولكن لا يابون أن يسموهم أولياء وشفعاء . وإنما الحساب والجزاء على الحقائق لا على الاسماء ، ولو لم يكن منهم إلا دعاء غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات لكفى ذلك عبادة له وشركاً بالله عز وجل ، فقد قال النبي ﷺ « الدعاء هو العبادة » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح ، وهو يفيد حصر العبادة الحقيقية في الدعاء ؛ وهو حصر على سبيل المبالغة كأن ما عدا الدعاء لا يعد عبادة بالنسبة إليه ، وهذا كحديث (الحج عرفة) أي هو الركن الأهم الذي لا يعتمد بغيره عند تركه ، وتأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء في أكثر الآيات الواردة في ذلك يعلم كما يعلم من اختبر أحوال البشر في عباداتهم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التي يثيرها الاعتقاد الراسخ من أعماق النفس ولا سيما عند الشدة وأما ما عدا الدعاء من العبادات في جميع الأديان فكله أو جله تعليمي تبكيلي يفعل بالتكلف وبالقدوة ، وقد يكون في الغالب خالياً عن الشعور الذي به يكون القول أو العمل عبادة ؛ وهو الشعور بالسلطة الغيبية التي هي وراء الأسباب

العادية ، أمتري إلى حافظ الادعية الراتبة يحرك بها لسانه وقلبه مشغول بشيء آخر ، وانما العبادة جدّ العبادة في الدعاء الذي يفيض على اللسان من سويداء القلب وقرارة النفس عند وقوع الخطب وشدة الكرب واستعصاء الوسائل اليه وتقطع الاسباب دونه ، ذلك الدعاء الذي تسمعه من أصحاب الحاجات وذوى الكربات عند حدوث الملمات . وفي هيا كل العبادات ولدى قبور الاموات . ذلك الدعاء الخالص الذي يغشاه جلال الاخلاص . وناهيك بما يفجره هذا الخشوع من ينابيع الدموع . وذلك الدعاء الذي يستغله سدنة الهيا كل ويستثمره خدمة المقابر ويضن به ويدافع عنه رؤساء الاديان . لانه أشد اركان رياستهم على العوام . على أن الموحدين اعلى اخلاصا وأشد حبا لله وخشوعا (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا *) أي ومن يشرك بالله احداً أو شيئاً فيدعوه معه ويذكر اسمه مع اسمه أو يدعوه من دونه ملاحظا في دعائه انه يقربه اليه زلفى وهذا النوع من الشرك في العبادة الذي يتجلى في الدعاء هو اقواها . لان الاعتقاد فيه يكون وجدانياً . فهذا قد تنكب سبيل الرشده وخرج عن صراط الهداية لانه يطيع من لا يطاع ويرجوا من لا يرجو ويكون عبداً للاوهام ويعرضة للخرافات .

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى في الاستغاثة . لا يمكن لاحد أن

يقول ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شرع لامته أن يستغيثوا بميت
لأنبي ولا غيره . لاني جلب منفعة ولادفع مضرة . فلا يشرع لهم أن
يدعوا ميتا ولا يسألوه ولا يدعوا اليه . ولا أن يستجيروا به لارهبة
ولا رغبة . ولا يقول أحد لميت انا في جوارك وانا اريد ان تفعل كذا
وكذا ولا ان يتوجه الى قبره ويسأل كما يفعل هذا كثير من النصارى
وأشباههم من ضلال هذه الامة بكثير من شيوخهم . ولا يشرع لاحد
أن يقول لميت سل الله تعالى لى . ولا يشرع لاحد ان يشكو الى ميت
سواء كان عند قبره أو كان بعيدا منه . وسواء كان الميت نبياً أو غيره
بل ولا يشرع أن يقصد قبر نبي او صالح فيدعو لنفسه ظاناً ان الدعاء
عند قبره يجاب . ولا يشرع لاحد ان يتوسل الى الله تعالى بذات
ميت أصلاً .

قالت الفلاسفة ان الارواح المقدسة لها تاثير قربي من توجه اليها
وهذه هي من أصول الشرك وعبادة الاصنام . فلماذا قالت الفلاسفة
ان الدعاء انما تاثيره بكون النفس تتصرف في العالم لا بكون الله تعالى
يجيب الداعي . وهي مبنية على ان الله تعالى ليس بفاعل مختار يخلق
الحوادث بمشيئته واختياره . وهؤلاء يجوزون أن يعبد الانسان
الكواكب والاصنام . لانه بتوجهه اليها يفيض منها أمور . والنفوس
السميدة اذا توجه اليها للمتوجه . والقبور التي دفن فيها بدنها فاض عليها
منها ما يفيض . وهذا كله خارج عن الاسلام . ولا ريب ان هذه الاقوال
ونحوها تدعو الى غير دين الاسلام . وهؤلاء يعظمون الانبياء والصالحين .

من جنس تعظيم النصارى . والنصارى يعظمونهم تعظيم ربوبية من جهة ما يرجونه في حصول مطالبهم من جهتهم لا يعظمونهم تعظيم رسل الله الذين أمروا بطاعتهم فيجب ان يطاعوا فيما امروا به . وان يقتدى بهم فيما يشرع .

وفي كتاب الرد على الاخنأى : أن المقصود من جنس الصلاة على الجنائز سواء كان الميت فاضلاً أو مفضولاً الدعاء وطلب المغفرة والرحمة له وليس المقصود بها الخضوع للميت ولا التواضع له ، فكذلك زيارة قبر المؤمن للدعاء له وتذكر الموت ، ولكن الجهال المبتدعين عكسوا الأمر ويطلبون من الميت المدد ، بل يظن بعضهم أن القبر إذا كان في مدينة أو قرية فانهم ببركته يرزقون وينصرون ؛ وأنه يندفع عنهم الاعداء والبلاء بسببه ، ويقولون عمن يعظمونه أنه خفير البلد الفلاني ، كما يقولون السيدة نفيسة خفيرة مصر القاهرة (قلت كما يقول أهل بخارى ، أن بهاء الدين النقشبندی بلا كردان وخفير بخارى بلاء كردان ، معناه دافع البلاء ؛ وكذا قولهم أن عبدالقادر الجيلاني هو الغوث الاعظم وخفير العالم) ويظنون أن البلاء يندفع عن هذه المدائن والقرى بمنع عندهم من قبور الصالحين والانبياء ، وهذا خطأ بين ، ومما يوضح الأمر في ذلك أنه من المعلوم أن بيت المقدس وما حوله من قبور الانبياء ما هو أكثر من غيره ، فانه قد قيل أن بنى اسرائيل بعث فيهم الف نبي ، ومع هذا فقد قال الله تعالى ﴿ وقضينا إلى بنى اسرائيل في الكتاب لتفسدن

في الأرض مرتين ﴿ إلى قوله ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم ﴿ الآية
فقد بين الله تعالى أنهم إذا غلوا وافسدوا في الأرض عاقبهم الله بذنوبهم
وسلط عليهم العدو الذي جاس خلال الديار ودخل المسجد وقتل فيهم من
لا يحصى عدده إلا الله ، ولم يخفرهم أحد من قبور الانبياء التي كانت
هناك . وانما الناس يجزون باعمالهم ، والله تعالى هو الذي يرزقهم وينصرهم
لا رازق غيره ولا ناصر إلا هو ، وانما يندفع البلاء بطاعة الله وطاعة
رسوله لا بقبورهم ، فمن أطاعهم فهو السعيد في الدنيا والآخرة ، ومن
عصاهم استحق ما يستحقه امثاله وان كان عنده ما شاء الله من قبورهم .
وهؤلاء الذين يعتقدون أن القبور تنفعهم وتدفع البلاء عنهم قد اتخذوها
أوثاناً من دون الله ، وصاروا يظنون فيها ما يظنه أهل الأوثان في أوثانهم
فانهم كانوا يرجونها ويخافونها ويظنون انها تنفع وتضر ، ولهذا قالوا اليهود
عليه السلام ﴿ ان نقول الا اعتراك بمض آهتنا بسوء ﴿ الآية . وقال
تعالى مخاطباً لخاتم الرسل ﷺ بعد أن خاطب المشركين ﴿ ان الذين
تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم
صادقين ، وأليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ، قل
حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴿

فالذين يحجون إلى القبور هم من جنس الذين يحجون إلى الاوثان
والمشركون يدعون مع الله إلهاً آخر يدعونه كما يدعون الله . وأهل التوحيد
لا يدعون إلا الله . ولا يدعون مع الله إلهاً آخر . لا دعا: سؤال وطلب

ولا دعاء عبادة وتأله ، والمشركون يقصدون هذا وهذا ، وكذلك حجاج القبور يقصدون هذا وهذا ، ومنهم من يصور مثال الميت كما يفعل النصارى وهذا ليس من الزيارة المشروعة ولم يبجده ولا استحبه احد من ائمة الدين بل هم متفقون على النهى عن هذا الجنس كله . ان كثيرا من الناس دخلوا فى الاسلام من التتار وغيرهم (قلت كالهنود والصينيين والفرس) وعندهم اصنام (أو بيت نار) وهم يعظمونها ويتقربون اليها ولا يعلمون ان ذلك محرم فى دين الاسلام فيضلون ويضلون ولا علم لهم بذلك ، حتى ان كثيرا منهم يعتقدون أن الحج إلى قبر بعض الأئمة أفضل من الحج أو مثله . فهؤلاء الذين يعملون أصحاب القبور وسائط يشركون بهم كما يشرك أصحاب الاوثان باوثانهم يدعونهم ويستشفعون بهم ويرجونهم ويخافونهم . وأما اهل التوحيد فيعتبرون عن كل ذلك . فهذا هو الفرقان الذى يفصل بين عباد الرحمن وعباد الشيطان ان من كمال الايمان بالله والرسول ومحبته وتعظيمه الاهتمام بما أمر وا به من طاعته فان طاعته هى مدار السعادة وهى الفارقة بين اولياء الله واعدائه . وأهل الجنة وأهل النار ، فاهل طاعته هم اولياء الله المتقون وجنده المفلحون وحزبه الغالبون . وأهل مخالفته ومعصيته بخلاف ذلك . فالذين يقصدون الحج إلى قبره أو قبر غيره ويدعونهم ويتخذونهم اندادا هم من اهل معصيته ومخالفته ، فهم فى هذا الفعل من جنس اعدائه لا من جنس اوليائه وان ظنوا أن هذا من موالاته ومحبته . كما يظن النصارى ان ما هم عليه من الغلو فى المسيح والشرك به من جنس محبته وموالاته ، وكذلك دعاؤهم وللانبياء الموتى ويظنون ان هذا من محبتهم وانما هو من جنس معاداتهم

ولهذا يتبرأون منهم يوم القيامة . وكذلك الرسول يتبرأ ممن عصاه وان كان قصده تعظيمه والغلو فيه وانك تجد العاكفين على قبور الأنبياء والصالحين من أبعاد الناس عن سيرتهم ومتابعتهم ؛ وانما قصد جمهورهم التأكل والترؤس بهم فيذكرون فضائلهم ليحصل لهم بذلك رئاسة أو مأكلة ، وبعضهم يقول ان قبر الشيخ فلان قبلة الخاصة ، والكعبة قبلة العامة ، ومنهم من يصلي إلى القبر ومنهم يحلف به . وهم قوم لهم عبادة وزهد ودين لكن فيهم جهل وضلال . كما أن رهبان النصارى وغيرهم هم من أزهد الناس واعظمهم اجتهادا في العبادة ، لكن بجهل وضلالة ؛ وقد أمرنا الله عز وجل أن نقول في صلاتنا ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ وعباد القبور قد جعلوا القبور أوتانا ، ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » وهو صلى الله عليه وسلم خاف من ذلك فدعا الله أن لا يفعله بقبره . وكل موضع تعظمه الناس غير المساجد ومشاعر الحج فانه مأوى الشياطين ، ويتصورون بصورة بنى آدم احيانا حتى يظن كثير من الناس أنهم من الانس وانهم رجال الغيب ، ويقولون الأربعون والأبدال ؛ والحكايات عنهم في هذا الباب كثيرة ، ولهذا لم يستحب أحد من العلماء زيارة جبل الطور الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام ولا جبل ثور ولا غار حراء (ولا جبل أبي قبيس) .

وفي اقتضاء الصراط المستقيم للعلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى . ومن

المنكرات سائر الاعياد والمواسم المبتدعة لان كل بدعة ضلالة. وقد قال الله تعالى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) فمن ندب الى شئ يتقرب به الى الله تعالى من غير ان يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله. من اتبعه في ذلك فقد اتخذ شريكا لله (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) الى قوله (تعالى عما يشركون) قال عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه للنبي ﷺ يا رسول الله ما عبدوهم قال ما عبدوهم ولكن احلوا لهم الحرام فاطعواهم وحرموا عليهم الحلال فاطعواهم.) فمن اطاع احدا في دين الله لم يأذن به الله من تحليل وتحريم او استحباب وايجاب فقد لحقه من هذا الذم نصيب. قال الامام احمد وغيره من الائمة رحمهم الله حالي . الاصل ان اعمال الخلق ينقسم الى عبادات وعادات. فالاصل في العبادات ان لا يشرع منها الا ما شرعه الله. والاصل في العادات ان لا يحظر منها الا ما حظره الله. وهذه المواسم المحدثه انما نهى عنها لما حدث فيها من الدين الذى يتقرب به وانما يذم المواسم والاعياد المحدثه لما تشتمل عليه من الفساد في الدين . واعلم انه لا يدرك كل واحد فساد هذا النوع من البدع لاسبابا اذا كان من جنس العبادات المشروعة . بل اولو الالباب هم يدركون بعض ما فيه من الفساد والواجب على الخلق اتباع الكتاب والسنة وهم ان لم يدركوا ما في ذلك من المصاححة والمفسدة فننبه على بعض مفاسدها. فمن ذلك أن من احدث عملا في يوم كاحداث صوم اول خميس من رجب . والصلاة في ليلة تلك الجمعة التى يسميه

الجاهلون صلاة الرغائب مثلاً وما يتبع ذلك من أحداث اطعمة وزينة
وتوسيع في النفقة ونحو ذلك. فلا بد ان يتبع هذا العمل اعتقاد في القلب
وذلك لانه لا بد ان يعتقد ان هذا اليوم افضل من امثاله. وان الصوم فيه
مستحب فيه استحباباً زائداً على الخميس الذي قبله او بعده مثلاً. وان هذه
الليلة افضل من غيرها من الجمع اذ لولا قيام هذا الاعتقاد في قلبه او
في قلب متبوعه لما نبعث القلب لتخصيص هذا اليوم والليلة. فان الترجيح
من غير مرجح ممتنع وذلك لا يعرف الا بالشرع . واعتقاد ما لم يرد فيه
الشرع باطل . فهذه البدع مستلزمة قطعاً لفعل ما لا يجوز اعتقاده
وهذا الاعتقاد يتبعه احوال في القلب من التعظيم والاجلال. وتلك الاحوال
ايضاً باطلة ليست من دين الله. ومن تدبر هذا علم يقينا ما في حشو البدع
من السموم المضعفة الايمان .

قال العبد الضعيف الغريب المهاجر محمد سلطان المعصومي الخجندی
وفقه الله تعالى لما فيه رضاه . ان لهذه المسئلة امثلة كثيرة من كل الابواب
من جملتها ان لبعض الادوية خواص ليست في أخرى . ولها درجات
أيضاً انما يعرفها من عرفه الله تعالى ممن تشبث من الاطباء الخذاق .
فيركبون منها الادوية حسب الامراض بعد معرفتها فيعالجونها بها .
فمن تصادف ذلك ربما نفعته . فصارت سبباً للعافية والصحة . واما من
خالف ذلك الطبيب أو ركب هو بنفسه ادوية بلا معرفة حقيقة خواصها
وكيفية فر بما صار سبباً لهلاك نفسه واهلاك غيره . فان كان الامر هكذا
فليعلم ان العبادات كلها طرق واسباب لاصلاح النفس الانسانية وتزكيتها

من الامراض والادناس والاهوية الفاسدة . حتى يكون صاحبها لائقا
لقرب الله تعالى الخالق ورضوانه فطرق العبادات الصحيحة انما هي ما يدينه
الذي خلق العالم على لسان رسوله ﷺ فمن زاد على هذا او نقص فقد خالف
الخالق الحكيم بتركيبه الادوية من عند نفسه . فربما صار دواءه داء

وعبادة معصية . لان الدين قد كمل تمام الكمال . فمن زاد شيئا فيه
فقد ظن الدين ناقصا . وهو يكمل باستحسان عقله الفاسد وخياله الكاسد
فياخسارة من هذا شأنه فنعوذ بالله من الكفر بعد الايمان ومن الضلال
بعد العرفان . ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب ﴾

ومن جملتها أن الاقفال تكون على اشكال منها ماله سن واحد
ومنها ماله سنان ومنها ماله اسنان ولا ينفتح كل واحد منها الا بمفتاحها الخاص
لها . فلا ينفتح ابدا ماله سن بمفتاح له اسنان : وكذا العكس

فكذا العبادات والطاعات لها اشكال وصور يدينها رسول رب العالمين
احسن بيان . سواء كانت فعلية او قولية مثلا بين فرض صلاة الفجر
ركعتان والظهر في الحضر اربع وفي السفر اثنان والمغرب ثلاث في كل
الاقوات والركوع في كل ركعة مرة والسجدة مرتان وان التشهد والقعدة
بعد الركعتين وفي الآخر وان مفتاحها التكبير وختمها السلام .

وان القراءة موضعها القيام والتسبيح موضعه الركوع والسجود والتشهد
والدعاء موضعه القعدة . فمن اتى كما بين وفعل فقد سعد وصار من المقبولين

ومن عكس او زاد او نقص فقد تعدى وظلم وصار من المردودين وكذلك بين ان التسبيح المرغوب فيه بعد الفرض ثلاث وثلاثين فمن اتى به ناقصا وزائدا فهل يكون اتيا بالسنة وينال الفضل الموعود والظاهر لا بل يكون مبتدعا ومخالفا لسنة رسول الله ﷺ وهكذا امثلة تظهر ان تدبر وتفكر من اولى الالباب فيارب نساءك أن تجعلنا منهم :

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى في ذلك الكتاب ايضا ان العبادة اذا كانت صدقا وصورة فهي مقبولة ومؤثرة واما اذا كانت صورة فقط فللا تاتي اجر الاتباع اذا كانت عبادة شرعية والافتراض صاحبها لان البدعة ضلالة فردودة وليس العمل مشروعا حتى يحصل لهم ثواب المتبعين والاستحباب في الافعال واتخاذها ديننا انما ثبت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السابقون الاولون من الصحابة والتابعين رضی الله تعالى عنهم وما سوى ذلك من الامور المحدثه (اي في الدين والعبادة) فلا يستحب : وان اشتمات احيانا على فوائده : لانا نعلم أن مفسده راجحة على فوائدها

وقال الاستاذ المرحوم السيد محمد رشيد رضا في كتابه الوحي المحمدي ان النصراني ابتلوا بعبادة عيسى عليه السلام . وكذلك بعض المسلمين اقتنوا بعبادة الصالحين بدعائهم في الشدائد لاعتقادهم انهم يدفعون عنهم الضرر ويحلبون لهم النفع بالتصرف الغيبي الخارج عن سنن الله تعالى في الاسباب وهو خاص بالرب تعالى . الخ .

وقد ذكر العلامة الفخر الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره قصة في ان الاستعانة والاستغاثة إنما تكون بالله لا بغيره من المخلوقين وان من توكل على الله واستغاث به معتقدا انه القريب البصير القدير ينجو من جميع مخاوف الدنيا والآخرة وهذه قصته روى ان زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه خرج مع منافق من مكة الى الطائف فبلغ خربة فقال المنافق ندخل ههنا ونستريح فدخلا ونام زيد فاوثق المنافق زيدا واراد قتله فقال زيد لم تقتانى قال لان محمدا يحبك وانا ابغضه فقال زيد يا رحمن اغثنى فسمع المنافق صوتا يقول ويحك لا تقتله فخرج من الخربة ونظر فلم ير احدا ورجع واراد قتله فسمع صائحا اقرب من الاول يقول لا تقتله فنظر فلم يجد احدا فرجع الثالث واراد قتله فسمع صوتا قريبا يقول لا تقتله فخرج فرأى فارسا معه رمح فضربه الفارس ضربة فقتله ودخل الخربة وحل وثاق زيد وقال له اما تعرفنى انا جبريل حين دعوت كنت فى السماء السابعة فقال الله عز وجل ادرك عبيدى وفى الثانية كنت فى السماء الدنيا وفى الثالثة بلغت الى المنافق اه . قال المعصومى والله اعلم بحال هذا الخبر .

وقال الرازي رحمه الله تعالى ايضا فى تفسير الآية ان الله تعالى لما تم الكلام فى الصفات المعتبرة فى الربوبية اردفه بالكلام المعتبر فى العبودية فاعلم ان الانسان مركب من جسد وروح والمقصود من الجسد أن يكون آلة للروح فى اكتساب الاشياء النافعة للروح فلا

جرم كان أفضل أحوال الجسد أن يكون آتياً بأعمال تعين الروح على اكتساب السعادات الروحانية الباقية . وتلك الاعمال هي أن يكون الجسد آتياً بأعمال تدل على تعظيم المعبود وخدمته . وتلك الاعمال هي العبادة فأحسن أحوال العبد في هذه الدنيا أن يكون مواظباً على العبادات . وهذه أول درجات سعادة الانسان . وهو المراد بقوله ﴿ إياك نعبد ﴾ وهذا لا يتيسر إلا بتوفيق الله وإعانتة وعصمته فيلتجىء إلى الله تعالى وهو قوله ﴿ وإياك نستعين ﴾ ويلوح أن الهداية لا تحصل إلا من الله تعالى فيقول ﴿ مهدينا الصراط المستقيم ﴾

واعلم أن العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير وهو مأخوذ من قولهم طريق معبد أى مدلل . فقولك إياك نعبد معناه لا أعبد أحداً سواك . ووجه الحصر أن العبادة عبارة عن نهاية التعظيم وهي لا تليق إلا بمن صدر عنه غاية الانعام . وأعظم وجوه الانعام الحياة التي تفيد المكنة من الانتفاع وخلق المنتفع به . وكل النعم حاصل بإيجاد الله تعالى . فواجب ان لا نحسن العبادة الا لله تعالى فقوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ يدل على انه لا معبود إلا الله . ومتى كان الامر كذلك ثبت انه لا إله إلا الله . فهو يدل على التوحيد الخالص المحض . والمشركون طوائف منهم من أثبت الشريك الجسماني . إما من الاجسام السفلية أو من الاجسام العلوية . كمن يتخذ الاصنام من الاحجار أو الذهب والفضة ويعبدونها . أو من الاشجار أو من الحيوان كما يبدى العجل . أو من

الانسان كمن قال عزيز بن الله والمسيح ابن الله . و بعضهم يعبدون
الاجسام البسيطة كالذين يعبدون النار وهم المجوس . أو يعبدون الشمس
والقمر وسائر الكواكب ويضيفون السعادة والنجوسة اليها . هم
الصابئة واكثر المنجمين . ومنهم من يقول أن مدبر العالم هو النور
والظلمة . وهؤلاء المانوية والثنوية وطائفة يعبدون الملائكة والارواح
الفلكية ويتخذون لتلك الارواح صوراً وتماثيل ويعبدونها . وهؤلاء
عبدة الملائكة وطائفة قالوا ان للعالم إلهان أحدهما خير والآخر شر .
وقالوا مدبر هذا العالم هو الله تعالى وابليس وهما اخوان . فكل ما في
العالم من اخيرات فهو من الله . وكل ما فيه من الشر فهو من إبليس .
فكل من أثبت لله شريكا فانه لا بد وأن يكون مقدما على عبادة ذلك
الشريك من بعض الوجوه اما طلبا لنفعه أو هربا من ضرره . وأما
الذين أصروا على التوحيد وأبطلوا القول بالشركاء والاضداد ولم يعبدوا
إلا الله . ولم يلتفوا الى غير الله فكان رجاؤهم منه تعالى وخوفهم منه
تعالى ورغبتهم في الله تعالى ورهبتهم من الله تعالى فلا جرم لم يعبدوا
الا الله . ولم يستعينوا الا بالله فلماذا قال ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾
فكان قوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قائما مقام قوله لا إله إلا الله
واعلم أن ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ يدخل فيه الذكر المشهور .
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم . ولا شك أنه لا يتم مقصود من المقاصد وغرض من
الاعراض الا باعانة الله تعالى وتوقيقه واحسانه . وانما قال اياك نعبد ولم

يقول نعبدك لانه لو قال نعبدك لم يفد نفى عبادتهم لغيره لانه لا امتناع من ان يعبدوا الله ويعبدوا غير الله كما هو دأب المشركين . واما لما قال ﴿ اياك نعبد ﴾ افاد انهم يعبدونه ولا يعبدون غير الله . والعبادة لا تجوز لغير الله ابداً . ولا يتيسر ذلك الا بهداية الله وتوفيقه .

نكتة مهمة . ان ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ كانه مذكور على لفظ الغيبة ﴿ و اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ انتقال من الغيبة الى الخطاب . فما الفائدة فيه وما النكتة فيه . فالجواب ان المصلي لما حمد الله واثني عليه كأنه تقرب به اليه تعالى . فلما تقرب شرع يسأله . فأحسن السؤال ما وقع على سبيل المشافهة بلا واسطة . الاترى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما سألوا ربهم شافهوه بالسؤال فقالوا ربنا ظلمنا انفسنا . ورب اغفر لنا . ورب هب لي . ورب ارني والسبب فيه أن الرد من الكريم على سبيل المشافهة والمخاطبة بعيد . فالدعاء والطلب في الحضرة أولى .

قوله تعالى ﴿ و اياك نستعين ﴾ أى لا أريد في الاعانة غيرك لا جبريل ولا ميكائيل بل أريدك وحدك . واقتدى في هذا الباب بالخليل عليه الصلاة والسلام . لانه لما قيد عمرود رجله و يديه ورماه في النار وجاءه جبريل عليه السلام وقال هل لك من حاجة فقال أما اليك فلا . فقال سله . فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي . فلا استعين بغيرك لان ذلك الغير لا يمكنه اعانتى الا اذا اعنته على تلك الاعانة . فاذا كانت

اعانة الغير لا تتم الا باعانتك فلنقطع هذه الوسيلة ولنقصر على اعانتك الخ
قال العلامة ولي الله الدهلوى فى كتاب حجة الله البالغة . ان أصل
أصول البر وعمدة انواعه هو التوحيد . وذلك لانه يتوقف عليه الاختبات
لرب العالمين الذى هو أعظم الاخلاق الكاسبة للسعادة . وهو أصل
التدبير العلمى الذى هو أفيد التدبيرين . وبه يحصل للانسان التوجه التام
تلقاء الغيب ويستعد نفسه للحوق به بالوجه المقدس وقد نبه النبي ﷺ
على عظم أمره . وكونه من أنواع البر بمنزلة القلب اذا صلح صلح الجميع
واذا فسد فسد الجميع . حيث أطلق القول فيمن مات لا يشرك بالله شيئاً
انه دخل الجنة . وحكى عن ربه تبارك وتعالى « من لغينى بقرب
الارض خطيئة لا يشرك بالله شيئاً لقيته بمثلها مغفرة » واعلم ان للتوحيد
أربع مراتب احداها حصر وجوب الوجود فيه تعالى فلا يكون غيره
واجباً . والثانية حصر خلق العرش والسموات والارض وسائر الجواهر
فيه تعالى . وهاتان المرتبتان لم تبحث الكتب الالهية عنهما . ولم يخالف
فيهما مشركوا العرب ولا اليهود ولا النصارى بل القرآن العظيم ناص
على انها من المقدمات المسلمة عندهم . والثالثة حصر تدبير السموات
والارض وما بينهما فيه تعالى . والرابعة انه لا يستحق غيره العبادة . وهما
متشابتان متلازمتان لربط طبيعى بينهما . وقد اختلف فيهما طوائف
من الناس . معظمهم ثلاث فرق . النجومون ذهبوا الى ان النجوم تستحق
العبادة . وان عبادتها تنفع فى الدنيا . ورفع الحاجات اليها حق . وزعموا

ان لها نفوساً فبنوا لها الهياكل على اسمائها وعبدوها . والفرقة الثانية
المشركون . وهم وافقوا المسلمين في ان الله تعالى يدبر الامور العظام .
ولكنهم خالفوه فذهبوا الى ان الصالحين من قبلهم عبدوا الله وتقربوا
اليه فاعطاهم الله الالوهية فاستحقوا العبادة من سائر الخلق . كما ان الملك
الملوك تخدمه عبده فيحسن خدمته فيعطيه خدمة الملوك ويفوض اليه
تدبير بلد من بلاده فيستحق السمع والطاعة من أهل ذلك البلد . وقالوا
لا تقبل عبادة الله الا مضمودة بعبادتهم . بل الحق في غاية التعالي فلا
تفيد عبادته تقربا اليه . بل لا بد من عبادة هؤلاء ليقتربوا الى الله زلفى
وقالوا ان هؤلاء يسمعون ويبصرون ويشفعون لعبادهم ويدبرون أمورهم
وينصرونهم . فنحتوا على اسمائهم احجاراً وجعلوها قبلة عند توجههم الى
هؤلاء . ولذلك رد الله عليهم تارة بالتشبيه على ان الحكم والملك له خاصة
وتارة ببيان انها جمادات . والفرقة الثالثة النصارى زعموا على ان
المسيح قربا من الله وعلواً على الخلق فلا ينبغي ان يسمى عبداً بل يناسب
ان يسمى بابن الله . فرد الله عليهم تارة بانه لاصاحبة له . وتارة بانه بديع
السموات والارض انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون
وهذه الفرق الثلاث لهم دعاوى عريضة وخرافات كثيرة لا تخفى على
المتتبع . وعن هاتين المرتبتين بحث القرآن العظيم : ورد على الكافرين
شبهتهم رداً مشيعاً .

وأما حقيقة الشرك فاعلم ان العبادة هي التذلل الاقصى وهي لا تليق
الا لله الرب الرحيم . والمبتلون بمرض الشرك اصناف . منهم من نسى

جلال الله بالكلية فجعل لا يعبد الا الشركاء ولا يرفع حاجته الا اليهم
لا يلتفت الى الله اصلا وان كان يعلم ان سلسلة الموجودات تنصرف الى الله
تعالى ومنهم من يعتقد ان الله هو السيد وهو المدير لكنه قد يخلع على
بعض عباده لباس الشرف والتأله ويجعله متمصرفا في بعض الامور الخاصة
ويقبل شفاعته في عبادته بمنزلة ملك الملوك يبعث على كل قطر ملكا
ويقلده تدير تلك المملكة فيما عدا الامور العظام وهذا مرض جمهور اليهود
والنصارى والمشركين وبعض الغلاة من منافقي دين محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم يومنا هذا ولما كان مبنى التشريع على اقامة المظنة مقام
الاصل عد اشياء محسوسة هي مظان الشرك كفرا سجدة الاصنام
والذبح لها والحلف باسمها وامثال ذلك .

وحقيقة الشرك ان يعتقد الانسان في بعض المعظمين من الناس
ان الاثار العجيبة الصادرة منه انما صدرت لكونه متصفا بصفة من
صفات الكمال الالهى مما لم يعهد في جنس الانسان بل يختص بالواجب
جل مجده لا يوجد في غيره الا ان يخلع هو خلع الالهية على غيره
او يفنى غيره في ذاته ويبقى بذاته او نحو ذلك مما يظنه هذا المعتقد من
انواع الخرافات كما ورد في الحديث ان المشركين كانوا يلبون بهذه
الصيغة . (لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه ومالك)
فيتذلل عنده اقصى التذلل ويعامل معه معاملة العباد مع الله تعالى وهذا
معنى له اشباه وقوالب والشرع لا يبحث الا عن اشباحه وقوالبه التي
باشرها الناس بنية الشرك حتى صارت مظنة للشرك ولازماله في

العادة ونحن نريد ان نذبهك على امور جعلها الله تعالى في الشريعة
المحمدية مظنات للشرك فنهى عنها فمنها انهم كانوا يسجدون للاصنام
والنجوم فجاء النهى عن السجدة لغير الله تعالى قال الله تعالى (لا
تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن) والاشراك في
السجدة كان متلازما للاشراك في التدبير كما اوأنا اليه ومنها انهم كانوا
يستعينون بغير الله في حوائجهم من شفاء المريض وغناء الفقير
وينذرون لهم يتوقعون انجاح مقاصدهم بتلك النذور ويتلون اسماءهم
رجاء بركتها فوجب الله تعالى عليهم ان يقولوا في صلاتهم (اياك نعبد
واياك نستعين) وقال تعالى (فلا تدعوا مع الله احدا) وليس المراد
من الدعاء العبادة كما قاله بعض المفسرين بل هو الاستعانة لقوله تعالى
(بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون)

ومنها انهم يتخذون احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله تعالى
بمعنى انهم كانوا يعتقدون ان ما احله هؤلاء حلال لا بأس به في نفس
الامر . وان ما حرمه هؤلاء حرام يؤاخذون به في نفس الامر
قلت فعلا هذا فكل من يعتقد حرمة الاشارة بالمسبحة في تشهد الصلاة
فيتركها كما اكثر أهل بخارى والتركستان والهند والافغانستان وبعض
مجاورى الحرمين فهم مستحقون الوعيد الشديد لانهم اتخذوا صاحب
كتاب خلاصة الكيدانى ونحوه اربابا من دون الله .

حتى انى رأيت فى مدينة الرسول ومسجده صلى الله عليه وسلم عام (١٣٥٤) أنفارا
من البخاريين المجاورين المدعين الزهد والتقوى قد تركوا الاشارة .

فلما نبهتهم قالوا انها حرام في مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة رحمه الله تعالى فلهذا لا يفعلها أهل بخارى شريف . فانظروا الى احوال الناس الى ابن وصل . وحتى انى كنت عام (١٣٥٥) هـ أقرر أحاديث صحيحى البخارى ومسلم فى المسجد الحرام فى الدرس العام ، وقررت انه لا يجوز اعتقاد علم الغيب المخلوق ما . وانه لا يجوز الاستمداد والاستعانة من أرواح المشائخ ولا النذر اليها . فقال رجل من جهلة المجاورين البخاريين وهو من الزهاد عندهم . نحن نعتقد خلفا عن سلف أنه يجوز الاستمداد من الارواح وخصوصا روح الشيخ عبد القادر الجيلانى الذى سماه الله تعالى غوثا اعظم . فقلت له اخطأت وافتريت على الله تعالى فارجع عما قلت واعتقدت . فاصر مكرراً كلامه فى مشهد من الجماعة ان الله سماه (الغوث الاعظم) فتبتهه ثانيا وافهمته بذكر دلائل كثيرة . وقلت ارجع وتب ولا تقر على الله والا فتكفر ولم يتب ولم يرجع ولكن فارقتى مصرأعلى حاله فانظروا يا اخوانى المؤمنين العقلاء الى أين بلغت الجهالة والضلالة . فانا لله وانا اليه راجعون .

قال العلامة ولى الله الدهلوى رحمه الله تعالى أيضا . وسر ذلك ان التحليل والتحریم عبارة عن تكوين نافذ فى الملكوت ان الشىء الفلانى يؤخذ به أولا يؤخذ به . فيكون هذا التكوين سببا للمؤاخذة وتركها وهذا من صفات الله تعالى .. ومنها انهم كانوا يتقربون الى الاصنام والنجوم بالذبح لاجلهم فهوا عن ذلك . . ومنها انهم كانوا يعتقدون فى

اناس ان اسمائهم مباركة معظمة . وكانو يعتقدون ان الحالف باسمائهم على الكذب يستوجب حرمانا في ماله وأهله فلا يقدمون على ذلك . ولذلك كانوا يستحلفون الخصوم بسماء الشركاء بزعمهم . فنها عن ذلك . ومنها لحج لغير الله تعالى وذلك أن يقصد مواضع متبركة مختصة بشركائهم يكون الحلول بها تقربا من هؤلاء فنهى الشرع عن ذلك . وقد قال ﷺ لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى « الحديث في الصحاح .

قال الجامع المعصومي وفقه الله تعالى لما فيه رضاه . ان للحج لغير الله أمثلة كثيرة اتبلى به عامة الجهلة بل من هو في زى العلماء والصلحاء كحج أهل ماوراء النهر الى زيارة قبر بهاؤ الدين النقشبند في بخارى والطواف به والنذر له وكحجهم الى يسى لزيارة قبر وخلوة (الخواجه احمد اليسوى) وكحجهم الى أوش وقولهم انها (تخت سليمان عليه السلام وكعبة عجم أو مكة عجم .) وكحجهم الى مزار شريف في افغانستان وكحجهم الى اجير في بلاد الهند وكحجهم الى كربلاء وبغداد وكحج طائف وادعا من مسلمي الصين التونكان الى شا كورا . وأمثال ذلك كثيرة ومشهورة في عامة أنحاء العالم الاسلامي أسأل الله تعالى أن ينور بصيرة لمسلمين ويوفقهم لما فيه سعادتهم في دينهم ودنياهم

وفي الحجة البالغة أيضا ، ومن اعتقادات الجاهلية وان قالوا بانه لا شريك له في خلق السموات والارض الخ ، ولا راد لحكمه ولا مقعب

لقضائه ، ولكن من زندقتهم قولهم ان هنالك أشخاصاً من الملائكة والارواح تدبر أهل الارض فيمدون الامور العظام من اصلاح حال العابد فيما يرجع الى خويصة نفسه واولاده وأمواله ؛ وشبهوهم بحال الملوك بالنسبة الى ملك الملوك ؛ وبحال الشفعاء والندماء بالنسبة الى السلطان المتصرف بالجبروت ، وقاسوا الغائب على الشاهد ، وقاسوا القادر العليم على العاجز الجاهل ، وهذا هو الفساد

قال العبد الضعيف الجامع المعصومي حفظه الله تعالى بلطفه ، فالاله هو الله ، والخالق القادر الرب الرحيم هو الله ، والمعبود المستحق للعبادة هو الله ، والمعين المستعان هو الله عز وجل ، وقد دلت الآيات على ذلك كما اذ كر لك نبذة منها تذكرك ، وقد قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ واذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا وذو القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتهم الا قليلا منكم وأنتم معرضون ﴾ وفي سورة الاعراف ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ؛ ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وجاوزنا بني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل

لنا آلهما كآلهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال غير الله ابغيتكم آلهما وهو فضلكم على العالمين ، والله الاسماء الحسنی فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون ﴿ قال العبد الضعيف فادعوا الله تعالى واطلبوا منه قضاء الحاجات وتوسلوا اليه باسمائه الحسنی فهذا هو التوسل المأمور به المشروع شرعا والمقرون بالاجابة ، واتركوا ما سواه مما تزعمونه توسلا من ذكر اسماء المخلوقين ولو جبريل والانبياء أو اى شيء لانه الحاد وكفر وكذا قولهم بجاه النبي أو بجاه نبيك سيدنا محمد ﷺ فانه من الاحاد في السؤال ، ولا يشك مسلم ان للنبي ﷺ جاها عظيما عند الله تعالى ولكن لم يأمر الله ولا رسوله ﷺ أن نسال الله بجاهه ، ولم يثبت عن احد من الصحابة أو التابعين لهم باحسان أو احد من السلف الصالحين رضی الله تعالى عنهم انه سأل الله بجاه النبي ﷺ ولا شك ان ما لم يفعله هؤلاء فهو بدعة ، وحكم البدعة في العبادة معلوم وهو الضلالة ، فيا إخواني أما يسعنا ما وسعه الصحابة والسلف الصالحين رضی الله تعالى عنهم ؛ حتى نخرج عن جادتهم وتزيد عليهم أشياء استحسنانا بقولنا السخيفة : أهو ائنا الرديئة اللهم سامنا وسلم ديننا يرحمتك وقد قال الله تعالى خطابا لرسوله ﷺ (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مئني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبيوكم ان كنتم صادقين

والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون) قال
العبد الضعيف فالذين يقولون يا شيخ عبد القادر الجيلاني الغوث الاعظم
المدد او اغثنا او ادفع عنا كذا والذين يقولون يا على يا حيدر ويا اسد الله
المدد او كذا والذين يقولون يا رسول الله المدد او شفاعتك او كذا وكذا
والذين يقولون يا بهاء الدين النقشبند بلا كردان ادفع عنا البلاء يا دافع
البلاء . وكذا الذين يقولون يا رفاعى او يا مجذوب او يا فلان كلهم يدعون
من دون الله عبادا امثالهم وهم لا يستطيعون شيئاً . فقد خسر هؤلاء
القائلون خسرانا مبيناً . نسأل الله العفو والمهذابة .

وفي آخر سورة التوبة (فان تولوا فقل حسبي الله . لا اله الا هو
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) وفي سورة يونس (قل يا ايها
الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله
واكن اعبد الله الذى يتوفاكم وامرت ان اكرن من المؤمنين وان اقم
وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله
مالا ينفعك ولا يضرك . فان فعلت فانك اداً من الظالمين . وان يمسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو . وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب
به من يشاء من عباده . وهو الغفور الرحيم .

وفي سورة هود (كتاب احكمت آياته تم فصلت من لدن حكيم خبير
الاتعبدوا الا الله انى لكم منه نذير وبشير . وان استغفروا ربكم ثم توبوا
اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وان
تولوا فانى اخاف عايكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل

شىءٌ قدير ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان اتم الا مفترون. يا قوم لا أسئلكم عليه أجراً ، ان اجرى الا على الذى فطرنى ، افلا تعقلون ، ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوةً إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ، قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلھتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، وإلى ثمود أخاهم صالحا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه . ان ربي قريب مجيب ، قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب ، وإلى مدين اخاهم شعيباً ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ، ولا تنقصوا لكم كَيْسَالِ والميزان انى أراكم بخير وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط . والله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله . فاعبدوه وتوكل عليه وماربك بغافل عما تعملون ﴿

وقد ظهر من هذه الآيات ان كل الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام دينهم التوحيد ودعوة الناس اليه مع توحيد العبادة لله وحده والتحذير من الاشراك بوجه من الوجوه فمن يخالف فيه فهو خارج عن الحق الذى جاؤا به . ومن جملتهم يوسف عليه السلام فانه قال كما فى سورة يوسف ﴿ انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبع ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء .

ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون .
ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان
إن الحكم إلا لله . أمر أن لا تعبدوا إلا إياه . ذلك الدين القيم . ولكن
أكثر الناس لا يعلمون . وكأين من آية في السموات والأرض يعفرون
عابها وهم عنها معرضون . وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون . قل
هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني . وسبحان الله وما
أنا من المشركين .

وفي سورة الرعد ﴿ قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به .
إليه ادعوا واليه مآب ﴾ وفي سورة النحل ﴿ والذين يدعون من دون الله
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . أموات غير أحياء . وما أشعرون إيات
يبعثون الحكم اله واحد . فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم
مستكبرون . ولقد بعثنا في كل أمة رسولا إن أعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت . فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة . فسيروا
في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . وقال الله لا تتخذوا
الهيئات من دونه . إنما هو اله واحد . فإياي فارهبون وله ما في السموات والأرض
وله الدين وأصبا أفغير الله تتقون . وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم
الضر فإليه تجثرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون
إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه
اجتباها وهداه إلى صراط مستقيم . وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة
لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك إن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان

وفي سورة الاسراء ﴿ لا تجعل مع الله الها آخر فتقدمنذمو ما اتخذوا
وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما بينغن عندك
الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا
كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني
صغيرا . وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم
يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً ﴾

وفي آخر سورة الكهف ﴿ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما
الهمكم اله واحد . فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعباد قر به أحداً ﴾ وفي سورة مريم قال عيسى على نبينا وعليه الصلوات
والتسليمات

﴿ وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ وفي سورة طه
﴿ الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى . اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني .
واقم الصلاة لذكري . ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس
بما تسمى . انما اهلكت الله الذي لا اله الا هو . وسع كل شيء علماً ﴾ وفي
سورة الانبياء ﴿ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . فسبحان الله رب العرش
عما يصفون . لا يستل عما يفعل وهم يستلون . أم اتخذوا من دونه آلهة .
قل هاتوا برهانكم . هذا ذكر من معي وذكر من قبلي . وما أرسلنا من
قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ﴾ وقال ابراهيم
على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴿ قال أفتعبدون من دون الله مالا
ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون .

وذا النون إذ ذهب مغاضياً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات
أن لا اله إلا أنت سبحانك أنى كنت من الظالمين فاستجبنا له
ونجيناها من الغم وكذلك نتجى المؤمنون ان هذه أمتكم أمة واحدة
وأنا ربكم فاعبدون . قل إنما يوحى إلى أنما الهكم اله واحد . فهل أنتم
مسلمون . قال رب احكم بالحق . وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴿١﴾
وفى سورة الحج ﴿٢﴾ فآلهكم اله واحد فله أسلموا . وبشر المخبتين .
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم . والصابرين على ما أصابهم والمقيمي
الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . ويعبدون من دون الله مالم ينزل به
سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير يا أيها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له . وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف
الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز
يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم
تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده . هو اجتباكم وما جعل عليكم فى
الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل . واعتصموا
بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴿٣﴾ وفى سورة المؤمنون
﴿٤﴾ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله
غيره أفلا تتقون . فأرسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله مالكم من اله
غيره أفلا تتقون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش
الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا يرهان له به فانما حسابه عند ربه
نه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴿٥﴾

وفي سورة الشعراء ﴿ و تلى عليهم نبأ إبراهيم اذا قال لاييه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناماً فنزلناهم كافرين قال هل يسمعونكم اذا تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قوا بل وجدنا بآئنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون . انتم وآبؤكم الا قدمون . فنهيم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقيين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحييني والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكماً وألحقتني بالصالحين ﴾

وفي سورة النمل ﴿ انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة التي حرمتها وله كل شيء وأمرت ان أكون من المسلمين وان اتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ' ومن ضل فقل انما انا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ وفي سورة القصص ﴿ ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ﴾

وفي سورة العنكبوت ﴿ و ابراهيم اذا قال لقومه اعبدوا الله واتقوه . ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . انما تعبدون من دون الله آوثاناً وتخلقون افكاً . ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً . فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون . والى حدين أخاهم شعيباً . فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر . ولا

تعثوا في الارض مفسدين . يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة
فايبي فاعبدون ﴿

وفي سورة لقمان ﴿ واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله
ون الشرك لظلم عظيم يا بني أقم الصلاة وأمر بالعرف وانه عن المنكر
صبر على ما أصابك . ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك
س ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور
واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت
الحمير ﴿ وفي سورة الاحزاب ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ﴿ وفي
سورة فاطر ﴿ ذاكم الله ربكم له الملك . والذين تدعون من دونه
لا يملكون من قطمير . ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبتك مثل
خير يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ﴿
وفي سورة يس ﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون .

أأخذ من دونه آلهة . إن يردني الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئاً
ولا ينقذون إني اذاً لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون . ألم أعهد
اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان . انه لكم عدو مبين . وان اعبدوني
هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا
تعقلون ﴿

وفي سورة الزمر ﴿ إنا أنزلنا الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له
الدين . أالله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء . ما نعبدهم .

الا ليقربونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار . أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد . ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام ﴿

وفي سورة زخرف ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه انى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ﴿ وفي سورة الاحقاف ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، واذا حشر الناس كانوا لهم اعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين ﴿ وفي سورة الذاريات ﴿ واذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴿ وفي سورة التغابن ﴿ الله لا اله الا هو ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿ وفي سورة الليل ﴿ وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ، ولسوف يرضى ﴿ .

وفي سورة البينة ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة ، وذلك لمن خشى ربه ﴿ وتام سورة الكافرون والاخلاص والمعوذتين ؛ فكل هذه الآيات وغيرها تدل دلالة ظاهرة ان أس الاساس هو توحيد العبادة واخلاص العمل لله رب العالمين . وان عبد غيره أو اعتمد وتوكل على غيره فهو من الهالكين . فتدبروا يا أيها العقلاء وتفكروا يا أيها النبلاء ، ولا تضيعوا عقولكم التى هى منحة ونعمة من الله رب العالمين . وقد قال الله

عز وجل ﴿ أفلا تعقلون ، أفلا تبصرون ، أفلا تتفكرون ﴾ فمن ترك التعقل والتفكر والتبصر والتدبر، وقلد الآباء والمشائخ وكتب الاموات الغير المعصومين . فقد ضل ضلالاً مبيناً . واستحق غضب الله ولعنته فكان من الهالكين . كغالب من شاهدناه من اليهود والنصارى والمجوس والهندوس والبوذية والاحبار والرهبان وعباد القبور وسدنة الضرائح ومشائخ الطرق البدعية والقراء الفسقة والعلماء الدجاجلة . فانتهبوا يا أيها الغافلون . وفقى الله عز وجل واياكم للعقيدة الصحيحة والاعمال الصالحة النافعة في الدنيا والآخرة . وميزان ذلك كتاب الله القرآن الذى بين أيدينا ، وسنة سيدنا محمد رسول الله ﷺ الثابتة المصروفة المدونة في الكتب المشهورة كالصحيح الستة وغيرها . هذا هو الامر والباقي من العيب

فصل

فى وجوب توحيد العبادة

واعلم انى وان حررت آنفاً خلاصة المسائل المتعلقة به ولكن بدأ لى الآن ان أفصل تفصيلاً . أيضاً للمقام وتبييناً للمرام . لكون المسألة مهمة جداً . فاقول لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم . وحسبى الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير . قال الله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ؛ الذى جعل لىم الارض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لىم فلا تجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون ﴾ قال الجلال ﴿ اعبدوا ﴾ وحدوا ﴿ تتقون ﴾ بعبادته عقابه ﴿ انداداً ﴾ شركاء فى العبادة

قال البغوي ﴿ اعبدوا ﴾ وحدوا . قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما كل ما ورد في القرآن من العبادة فعناها التوحيد ﴿ انداداً ﴾ امثالا
تعبدونهم كعبادة الله .

قال العلامة العباد ابن كثير في تفسير الآية : شرع تعالى في بيان
وحدانية الوهيته . بانه تعالى هو المنعم على عبده باخراجهم من العدم إلى
الوجود ، واسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة بان جعل لهم الارض فراشاً
الخ . فهو الخالق الرازق مالك الدار وساكنها ورازقهم . فهذا يستحق
أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره ولهذا قال ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وانتم
تعلمون ﴾ وفي الحديث لا يقولن احدكم ماشاء الله وشاء فلان . ولكن
ليقل ماشاء الله ثم شاء فلان) وخطب رسول الله ﷺ فقال « أما بعد
فلا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد . ولكن قولوا ماشاء الله وحده » وهكذا
رواه بن مردويه في تفسير هذه الآية وكذا ابن ماجه وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال قال رجل للنبي ﷺ ماشاء الله وما شئت فقال
« أجعلتني لله نداً » قل ماشاء الله وحده . رواه النسائي وابن ماجه .
وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد والله أعلم . وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾ الانداد الشرك اخفى من
ديب النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل . وهو ان يقول والله وحياتك
يا فلان وحياتي . ويقول لولا كلبه فلان لان اللصوص البارحة . وقول
الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت . وقول الرجل لولا الله وفلان . لا تجعل
خيا فلان هذا كله به شرك .

وقد روى أحمد في مسنده في حديث طويل عن الحارث الأشعري
رضي الله تعالى عنه انه قال ان نبي الله ﷺ قال « ان الله تعالى امر يحيى
ابن ذكريا عليه السلام بخمس كلمات ان يعمل بهن وأن يأمر بني اسرائيل
أن يعملوا بهن . الى أن قال فجمع نبي اسرائيل ذلك الله وأثنى عليه ثم
قال ان الله أمرني بخمس كلمات ان اعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن :
أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً . فان مثل ذلك كمثل رجل
اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدى غلته
الى غير سيده فايكم يسمره أن يكون عبده كذلك : وان الله خلقكم ورزقكم
فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً . وامرکم بالصلاة فان الله ينصب وجهه لوجه
عبده مالم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا . الحديث وهذه الآية دالة على
توحيد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له . وقد استدل به كثير من
المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى . وهي دالة على ذلك
بطريق الاولى :

وكذا ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد ونصه
قال الله تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون ﴾ قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنها الانداد هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفاة
سوداء في ظلمة الليل وهو ان تقول والله وحياتك يا فلان وحياتي : وتقول
لولا كلبة هذا لاتانا اللصوص : لولا البط في الدار لاتانا اللصوص :
وتقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت . وقول الرجل لولا الله وقلان
وهذا كله به شرك . رواه ابن ابي حاتم وعن عمر بن الخطاب رضي الله

تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » رواه
الترمذى وحسنه وصححه الخا كم : وقل ابن مسعود رضى الله تعالى عنه
« لان أحلف بالله كاذبا احب الى أن أحلف بغيره صادقا » وعن حذيفة
رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان
ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان » رواه ابوداود بسند صحيح . وجاء
عن ابراهيم النخعي رحمه الله تعالى انه يكره اعوذ بالله وبك .
ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك . قال ويقول لولا الله ثم فلان . ولا
تقولوا لولا الله وفلان . وروى النسائي وصححه عن قتيلة رضى الله عنه
ان يهودياً أتى النبي ﷺ فقال انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت
وتقولون والكعبة . فامرهم النبي ﷺ اذا أرادوا ان يحلفوا أن يقولوا
ورب الكعبة . وأن يقولوا ما شاء الله فشئت . وعن ابن عباس رضى الله
عنها ان رجلاً قال للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت . فقال اجعلتنى لله ندا
قل ما شاء الله وحده . ولا بن ماجه عن الطفيل اخى عائشة لامها رضى الله عنها
قال رأيت كانى أتيت على نفر من اليهود قلت انكم لا تم القوم لولا انكم
تقولون عزيز ابن الله . وقالوا وانتم لا تم القوم لولا انكم تقولون ما شاء
الله وشاء محمد . ثم صررت بنفر من النصارى فقلت انكم لا تم القوم لولا
انكم تقولون المسيح ابن الله . قالوا وانتم لا تم القوم لولا انكم تقولون
ما شاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت . ثم أتيت
النبي ﷺ فاخبرته . قال هل أخبرت بها احداً . قلت نعم قال فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال أما بعد فان طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منك

وانكم قاتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا ان انها كم عنها، فلا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ؛ ولكن قولوا ماشاء الله وحده ، فيه قوله ﷺ أجملتني لله ندأ ، فكيف بمن قال «يا أكرم الخلق مالي من ألؤذبه سواك» والبيتين بعده الخ .
وفي كشف الشبهات له ، أعلم رحمتك الله ان التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله تعالى الى عباده ، كنوح عليه السلام أرسله الله تعالى الى قومه لما غلوا في الصالحين ود وسواع ويعوق ويعوق ونسرا ، وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين ، أرسله الله تعالى الى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً ، ولكنهم يعملون بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب الى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين . فبعث الله محمداً ﷺ يحدد لهم دين أبيهم ابراهيم عليه السلام ويخبرهم ان هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرها ، والافهؤلاء المشركون مقرون يشهدون ان الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له وانه لا يرزق الا هو ، ولا يحيي ولا يميت الا الله . ولا يدبر الامر الا هو ؛ وان جميع السموات السبع ومن فيهن والارضين ومن فيهن كلهم عبده وتحت تصرفه وقهره ، فان أردت الدليل على ان هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بذلك فاقرا قوله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن

يدبر الامر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ﴿ ﴿ وقل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل أفلا تذكرون . الى فاني
تسبحون ﴿ فاذا تحققت انهم مقرون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذي
دعاه اليه رسول ﷺ ، وعرفت ان التوحيد الذي جحدوه هو توحيد
العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ، وان رسول الله ﷺ
قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم الى إخلاص العبادة لله وحده ، وتحققت
ان رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله ، والذبح كله له . والنذر
كله له والاستغاثة كلها بالله وجميع أنواع العبادة كلها له ، وعرفت ان
اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ؛ وان قصدهم الملائكة
والانبياء أو الاولياء يريدون شفاعتهم واتترب الى الله بذلك هو الذي أحل
دمائهم وأموالهم ، وعرفت حينئذ التوحيد الذي دعت الرسل اليه ،
وابى عن الاقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك لا اله الا الله
فان الاله عندهم هو الذي يقصد لاجل هذه الامور ، سواء كان ملكا
أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبرا أو جنيا . ولم يريدوا ان الاله هو الخالق الرازق
المدبر ، فانهم يعلمون ان ذلك لله وحده كما قدمته ، وانما يعنون بالاله ما
يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد ، فاتاهم النبي ﷺ يدعوهم الى كلمة
التوحيد وهي لا اله الا الله ؛ والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد
لفظها ، والكفار الجهال يعلمون ان مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو
افراد الله تعالى بالعبادة والتعلق والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه

خانه لما قال لهم قولوا لا اله الا الله قالوا اجعل الالهة الهاً واحداً ان هذا
لشيء عجاب)

فاذا عرفت ان جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعى
الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار
بل يظن ان ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من
المعاني ، والحاذق منهم يظن ان معناها لا يخلق ولا يرزق الا الله ولا يدبر
الامر الا الله فلاخير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا اله الا الله ،
وقد ذكر الله تعالى في كتابه ان المشركين يقولون بالربوبية وانه كفرهم
بتعلقهم على الملائكة والانبياء والاولياء مع قولهم ﴿ هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ﴾ هذا أمر محكم بين لا يقدر احد ان يغير معناه

ان اعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس
عنه ، منها قولهم نحن لا نشرك بالله ؛ بل نشهد انه لا يخلق ولا يرزق ولا
يضر الا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا
فضلا عن عبد القادر أو غيره ؛ ولكن انا مذنب والصالحون لهم جاه
عند الله وأطلب من الله بهم . فجاوبه بما تقدم وهو ان الذين قاتلهم
رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئا .
وإنما أرادوا الجاه والشفاعة .

واعلم أن شرك الاولين أخف من شرك زماننا من وجوه .
أحدها أن الاولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والاولياء والاوثنان
مع الله إلا في الرضاء . وأما في الشدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى

﴿ وإذا مسك الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً • وإذا غشيهم موج كالضلل دعوا الله مخلصين له الدين ﴿ فمن فهم هذه المسئلة التي أوضحها الله في كتابه • وهي أن المشركين الذين قتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء • وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم • تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الاولين • ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسئلة فهماً راسخاً • والله المستعان •

ولهؤلاء شبيهة فمن أعظمها انهم يقولون ان الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله الا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً • ونحن نشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك • فالجواب أن لا خلاف بين العلماء كلهم ان الرجل اذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء انه كافر لم يدخل في الاسلام • وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بمعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج • ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع • كما قال تعالى ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك

﴿ م ١٤ اوضح البرهان ﴾

سبيلا . اولئك هم الكافرون حقاً ﴿ ومعلوم أن التوحيد هو أعظم
فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والحج والصوم .
وفيه أيضا . أن أصل دين الاسلام انما هو عيادة الله وحده لا شريك
له والتحرير على ذلك لقوله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا آربابا من دون الله ﴾ الآية . أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو أهل
الكتاب إلى معنى لا اله الا الله الذي دعا اليه العرب وغيرهم . والكلمة
هي لا اله الا الله ففسرها بقوله ن لا نعبد الا الله . فقوله ان لا نعبد فيه
معنى لا اله وهي نفي العبادة عما سوى الله تعالى . والا الله هو المستثنى في
كلمة الاخلاص . فامرته تعالى أن يدعوهم الى قصر العبادة عليه وحده ونفيها
عمن سواه . ومثل هذه الآية كثير يبين أن الالهية هي العبادة وانها لا
يصلح منها شيء لغير الله . ﴿ وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه ﴾ وهذا
هو توحيد العبادة . وهو دعوة الرسل اذ قالوا لقومهم ﴿ ان اعبدوا الله
ما لكم من آله غيره ﴾ فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأساً والبراءة منه
ومن فعله ﴿ اذ قال ابراهيم لآبيه وقومه اني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى ،
قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم ان ابرآء منكم
ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ والذين معه هم الرسل كما ذكره ابن جرير .
وقال تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان عبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت ، وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدونى ، واذكر انما عاد إذا أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ان لاتعبدوا إلا الله ﷻ ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأحد أن يدعو أحدا من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين ولا غيرهم بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها . كما أنه لم يشرع لأمتة السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك بل أنه نهى عن هذه الامور كلها وان ذلك من الشرك الذى حرمه الله ورسوله ﷺ . واكر لغاية الجهل وقلة العلم بانار الرسالة فى كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء الرسول ﷺ مما يخالفه .

وفيه أيضاً : اعلم ان المشركين نشأوا فى الفترة على عبادة الاصنام والاثان . وكان عند الكعبة ثلثمائة وستون صنما على صور من كانوا يعبدونه . فلما دعاهم النبي ﷺ إلى لا اله الا الله ، أى الى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله انكروا عليه وأبوا أن يتفوا ما نفتته هذه الكلمة لا اله الا الله من عبادة الاوثان والاصنام . وان يخلصوا المباداة لله وحده ﷻ انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ، ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﷻ فكذا فى هذه الامة لما كثر الشرك فيهم كما كثر فى أوائك وبنيت المساجد على القبور وعبدت ، وبنيت المشاهد على اسم من بنيت باسمه من الصالحين وعبدت ، صاروا يقولون لا اله الا الله والشرك قد قام فى قلوبهم واتخذوها ديناً فثبتوا ما نفتته هذه الكلمة من عبادة غير الله . وانكروا ما دلت عليه من الاخلاص . فعمكسوا ما دلت

عليه هذه الكامة بكونهم اثبتوا ما نفتته من الشرك . ونفوا ما اثبتته من الاخلاص الذي هو حق الله على عباده ، فيقول لا اله الا الله وقد اعتقد عكس ما دلت عليه . وهذا غاية الجهل والضلال . يقول كلمة تتضمن النفي والاثبات فلا يعرف ما نفتته ولا ما اثبتت ، وكثير منهم له في علم المعقول اليد الطولى فسيحان كيف جهلوا من ذلك ما دعت اليه الرسل من توحيد الله ونفي الشرك الذي نهوا أممهم عنه . كما هو صريح القرآن لا يخفي على من له ادنى فهم ان وفق لفهمه . فوضعوا الشرك موضع التوحيد بالقبول . ووضعوا التوحيد موضع الشرك بالانكار على من دعا اليه وعداوته . ويا اسفًا على غربة الاسلام في هذه القرون المتأخرة .

وفيه أيضاً نقلا عن الصواعق المرسله : التوحيد نوعان ، القولى الخبرى العلمى ؛ القصدى الارادى العملى كما دل على الاول سورة الاخلاص ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ؑ وَعَلَىٰ الثَّانِي سُوْرَةُ الْكَافِرُوْنَ ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ؕ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللّٰهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّٰهِ ؕ وَالتَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ أَسَاسُهُ أَثْبَاتُ الْكَمَالِ لِلرَّبِّ وَمُبَايَنَتُهُ خَلْقُهُ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْعِيُوبِ وَالنَّقَائِصِ وَالتَّمثِيلِ . وَالتَّوْحِيدُ الْعَمَلِيُّ تَجْرِيدُ الْقَصْدِ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْإِنَابَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ وَالِاسْتِغَاثَةِ وَالعِبُودِيَّةِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ لِلَّهِ وَحْدَهُ . وَمَدَارُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ عَلَىٰ هَذِينَ التَّوْحِيدِيْنَ . وَأَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ أَقْوَمُهُمْ بِهَمَا عِلْمًا وَعَمَلًا . وَلِهَذَا كَانَتِ الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَقْرَبَ الْخَلْقِ

الى الله تعالى . وأقربهم اليه وسيلة أولوا العزم وأقربهم الخليلان . وخاتمهم سيد ولد آدم أكرمهم على الله تعالى لكمال عبوديته وتوحيده . فهذا هما قطبا رحى الدين وعليهما مداره . وبياتهما من أم الامور ، والله سبحانه ينتهها غاية البيان بالطرق العقلية والنقلية والفطرية والنظرية والامثال المضروبة وامام المعطلين المشركين فرعون فهو امام كل معطل ومشارك الى يوم القيامة ، كما ان امام الموحدين ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام . وأصل عبادة الاصنام ان قوم نوح عليه السلام صوروا صور الصالحين ، وما زال الشيطان يوحى الى عباد القبور ويلقى اليهم ان البناء عليها والعكوف عندها من محبة أهل القبور من الانبياء والصالحين وان الدعاء عندها مستجاب ، ثم ينقلهم من هذه المرتبة الى الدعاء به والاقسام على الله تعالى ثم نقلهم منه الى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعة واتخاذ قبره وثناً تعلق عليه القناديل والستور ويطف به ويستلم ويقبل ويحج اليه ويذبح عنده ، ثم نقلهم منه الى دعاء الناس الى عبادته واتخاذ عيدا ومنسكا ورأوا ان ذلك أنفع لهم من دنياهم وأخراهم ، وكل هذا قد علم بالاضطرار من دين الاسلام انه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد وان لا يعبد الا الله ، ثم نقلهم منه الى ان من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم وزعم انه لا حرمة لهم ولا قدر ، فغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى ﴿ واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم

يستبشرون ﴿ وقد سرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطنغام فوالول
أهل الشرك الخ .

قال الجامع العبد الضعيف محمد سلطان المعصومي الخجندی المكي
انى قد شاهدت في بخارى عند ضريح الخواجة بهاء الدين النقشبندى ،
ان كثيراً من جملة العمام جالسون حوله ويدعدن انهم ممن ينتسب الى
الشيخ وانهم أصحاب الدعاء ، والناس يقصدون زيارة هذا الضريح
من بلاد بعيدة ، ويعدونها فضيلة عظيمة ، فيحملون اليه نذوراً من
الاموال والنقود والمواشى ، ويزعمون ان هذا النذر ينبغى أن يكون
سبعاً سبعاً فيقدمونه الى المشائخ والسدنة المذكورين ، وهم يأصرونهم
بالطواف حول القبر والتوجه اليه وطلب الحاجات منه فينادون .
يا بهاء الدين نقشبند بلا كردان اعطنا كذا أو ادفع عنا كذا . وهكذا
يفعلون دائماً . وخصوصاً في ليلة الاربعاء . بحيث يحدث ضوضاء
وغوغاء . وإذا نهيتهم عنه قاموا عليك يسبونك وينسبونك إلى
الزندقة . وهكذا رأيتم يفعلون في كل المزارات التي يعتقدونها . كزار
الشيخ العالم وفتح آباد . وتورك جندى . وخواجه بابا پاره دوز وغيرها .
وأما في سمرقند فقبر قم ابن عباس رضى الله عنهما الذى يسمونه
شاه زندك . ولهم في شأنه خرافات . وكذا الامير تيمور الاعرج
الرافضى . وكذا الشيخ عبيد الله أحرار وغيرها . وأما في خجند فضريح
للشيخ بديع الدين للنورى المعروف بشيخ مصلح الدين . حتى انى رأيت
بعضى رأسى أنى منهم من سجد إلى قبره وهو مستدير للقبلة . وأما فى

صرغينان فقبر معاذ بن جبل رضى الله عنه على ما يزعمونه . وهو كذب
وباطل . وكذا قبر على بن أبي طالب رضى الله عنه المشهور عند
شاه مردان . وهو كذب وباطل . وأما في اوش فقبر آصف بن
برخيا وزير سليمان النبي ﷺ . وموضع نخت سائران أيضا و سورا
كعبة العجم ؛ وأن من يريد الحج إلى الكعبة فمعه أن يزور أولا مكة
العجم هذه والا لا يقبل حجه . وأما في جلال آباد فقبر أيوب النبي
عليه السلام وعينه التي انسل فيها بعد أن عوفى من البلاء . وهي من
المكذوبات ؛ وأما في تاتقند فقبر الخواجه خواوند ظهور ؛ وقبر
زنكي اتا ؛ وغيرها ، وأما في إسى المشهور بتركستان فقبر الخواجه
أحمد اليسوي ؛ وأما في كاشغر فقبر آرق خواجه ، وأما في باخ فمير
على رضى الله عنه على ما يدعون و - وزير ارسخري ؛ وأما في اجير
فقبر معين الدين الجشتي ، وهكذا في لاهور وكشمير ودهلي وبنبي
وغیرها ؛ والاد الهند ؛ وأما في نداد فقبر الشيخ عبد القادر الجيلاني .
وأما في دمشق فقبر محي الدين ابن عربي ؛ وأما في مصر فقبر السيدة
نفيسة وزينب وحسين وغيرها ، ففي كل واحد من هذه المزارات
بنيت القباب وارتخت الستور الفاخرة فيحجون اليها من كل الجهات .
ويطلبون منها الاعانات والبركات وقضاء الحاجات ؛ وإذا قاموا وإذا
قلدوا وإذا حملوا شيئا وإذا مشوا يقولون يا فلان اويا بهرأويا شيخ
مدد ، ويقومون عند قبورهم بغاية الادب والتواضع والخشوع
فيكون وتسيل دموعهم كالسيول ، ويسجدون للقبور ويقبلون

اعتابها ، فاما من قرية فضلا عن بلدة الا ومن هذه المزارات المعبودة موجودة ، والشيوخ والسدنة الدجالون يحكون حكايات خرافية واحاديث كاذبة فيقبلها الجهال فيضلون حتى يقومون في الشرك الاكبر . والعبد الضعيف لما دخلت بلاد الهند ورأيت غلوهم في تنظيم القبور بكيث دماغا بل دماغا ، وزيادة على ذلك ان رجلا من اهل بلاد فرغانة واسمه عبدالقادر الخوقندي ، وهو يزعم انه من العلماء والمدرسين ونحن إذ ذاك في دهلي حكى حكاية ، وهي ان اللورد الفلاني من اللوردات الانكليزية ، لما قدم بلاد الهند وتشرف بزيارة مرقد الشيخ معين الدين في بلدة اجير شريف ، ورأى وفود الناس وازدهامهم عليه وخشوعهم وتضرعهم وبكائهم ، قال ما رأيت في العالم ميتا يتسلطن ويخضع الناس لسلطنته الا الشيخ معين الدين هذا والشيخ عبد القادر الجيلاني غوث الاعظم فانها سلطان الدنيا والدين حيا وميتا ، والعجب من بعض المسلمين انهم لا يخضعون لسلطانها واني قد بلغت حكومة الهند ان تنصف كراء السكة الحديدية لزوار هذا السلطان الاعظم ، فتصفوا الكراء في موسم اجير ، وهذا الانكليزي يعتقد هكذا ويعترف بهذا السلطان العظيم ، وَاَنْتَ تَنْكُرُ كُلَّ هَذِهِ الْخَوَارِقِ وَالْكَرَامَاتِ ، فقلت نعم انا انكر كل ما قلت لانه شرك صريح وكفر قبيح ، واللورد المذكور انما قال ذلك القول وفعل ما فعل ليخرج الناس من نور الايمان والتوحيد الى ظلمات الشرك والضلال ، وانا اتعجب منك تفتخر بقوله للعدو الالاد وتمسك به .

فانظر الى اين بلغت الضلالة وغلبت الجهالة حتى صاروا يمتقدون ان الاموات يعلمون ويتصرفون ويقضون الحاجات ، وهذه معصية عظيمة ابتلي بها المسلمون فان الله وانا اليه راجعون .

وفي مجموعة التوحيد ايضا ، قال فضيل بن عياض رحمه الله تعالى في قوله تعالى ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ اِيكُمْ اِحْسَنَ عَمَلًا ﴾ اي اخلصه واصوبه ؛ قالوا يا ابا علي ما اخلصه واصوبه ، قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة .

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة ؛ فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك بالله .

وفيها ايضا قال العلامة عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابا بطين معنى لا اله الا الله عند جميع اهل اللغة وعلماء التفسير والفقهاء كلهم يفسرون الاله بالمعبود ، والتأله التعبد ، واما العبادة فعرفها بعضهم بانه ما امر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي ؛ والمأثور عن السلف تفسير العبادة بالطاعة ، فيدخل في ذلك فعل المأمور وترك المحظور من واجب ومندوب ، وترك المتبهي عنه من محرم ومكروه ، فمن جعل نوعا من أنواع العبادة لغير الله كالدعاء والسجود والذبح والتذرع وغير ذلك فهو مشرك ، ولا إله إلا الله متضمن للكفر بما يعبد من دون الله لان معنى لا إله إلا الله إثبات العبادة لله وحده والبراءة من كل معبود سواه ، وفي الحديث الصحيح من قال لا إله إلا الله وكفر

بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله ، فمن قال لا إله الا الله ومع ذلك يفعل الشرك الاكبر كدعاء الموتى والغائبين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات والتقرب اليهم بالانذر والذباح فهذا مشرك شاء أم أبى

والتحقيق أن المعنى الكلى الجامع لكل ما ذكر في تعريف العبادة ، هو أن العبادة كل عمل من أعمال القلب واللسان والجوارح يعده صاحبه قربة لمن له سلطان غيبي فوق إدراك العقل غير مقيد بالاسباب المسخرة للناس . فيستطيع أن ينفع ويضر من غير طريق الاسباب التي ينفع أو يضر بها بعض الناس بعضاً . والآله المعبود وهو صاحب هذا السلطان الغيبي سواء كان له من ذاته لذاته وهو رب العالمين كلهم . وهو المعبود بحق ، أو كان له بما يعتقد من قربته من الرب تعالى وتأثيره في ارادته بحيث يفعل الرب لاجله أو يمكنه من الفعل . وهذا هو المعبود الباطل . لان الرب لا يشرك في فعله ولا في حكمه أحداً انتهى

وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الآله بأنه المعبود . وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين فظن أن الآله هو القادر على الاختراع . وهذه زلة عظيمة وغلط فاحش إذا تصوره العاقل العاقل تبين له بطلانه . وكان هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه ولم يعلم ان مشركي العرب وغيرهم يقولون بان الله هو القادر على الاختراع . وهم مع ذلك مشركون والعبادة الحقة خاصة لله وحده فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد عبد ذلك الغير

واتخذها آلهماً واشركه مع الله في خالص حقه وان فر من تسمية فعله ذلك تألهماً وعبادة وشركاً ، ومعلوم عند كل عاقل ان حقائق الاشياء لا تتغير بتغير اسمائها ، فاذا سمي الزنا أو الربا أو الخمر بغير اسمائها لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها الزنا أو الربا أو الخمر أو نحو ذلك ، ومن أعظم مكائد الشيطان لبني آدم قديماً وحديثاً انه اخرج لهم الشرك في قلب تعظيم الصالحين وغير اسمه بتسميته اياه توسلاً وتشفيعاً ونحو ذلك ، وهذا شرك فاشرك مشرك شاء أم أبي ، وعبادة للطاغوت ، وقال جميع أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله ، وقال الجوهري الطاغوت الكاهن والشيطان وكل رائس في الضلال ؛ وقال ابن كثير وهو قول قوى جداً ، فانه يشمل كل ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الاوتان والتحاكم اليها والاستنصار بها ، وعن ابن عباس رضی الله تعالى عنهما الطاغوت تراجمة للاصنام الذين يكونون بين أيديهم يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس ، ويشمل هذا كل ما نصبه الناس للحكم بينهم باحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله ، وسدنة الاوتان والداعين إلى عبادة أهل القبور وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضلة للجهال ، الموهمة ان القبور ونحوه يقضى حاجة من توجه اليه وقصده ، وانه فعل كذا وكذا مما هو كذب أو من فعل الشياطين ليوهموا الناس أن القبور ونحوه يقضى حاجة من قصده فيوقعهم في الشرك الاكبر وتوابعه .

وفي الجواهر المضيئة لابن عبد الوهاب ، التوحيد نوعان توحيد الربوبية ، وهو ان الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والانبياء

وغيرهم وهذا حق لا يدمنه ، لكن لا يدخل الرجل في الاسلام ، بل
أكثر الناس مقرون به قال الله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض
أم من يملك السمع والا بصر ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت
من الحى ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، قتل أفلا تتقون ﴾
وان الذى يدخل الرجل فى الاسلام هو توحيد الآلهية ، وهو أن
لا يعبد الا الله ، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، وذلك أن النبي ﷺ
بعث وأهل الجاهلية يعبدون اشياء مع الله ؛ فمنهم من يعبد الأصنام .
ومنهم يدعو عيسى ، ومنهم يدعو الملائكة فنهاهم عن كل ذلك . واخبرهم
ان الله أرسله ليوحده ولا يدعى احد لا الملائكة ولا الانبياء ، فمن
اتبعه ووجد الله فهو الذى شهد ان لا إله الا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى
أو الملائكة واستنصرهم والتجاء اليهم فهو الذى جحد لا إله الا الله مع
اقراره انه لا يخلق ولا يرزق الا هو ، وهذا جمع عليه بين العلماء ، فلما
جرى فى هذه الامة ما اخبر به نبيها محمد ﷺ حيث قال « لتبعن سنن
من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدختموه »
وكان من قبلهم قد اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وصار
ناس من الضالين يدعون اناسا من الصالحين فى الشدة والرخاء مثل
عبد القادر الجيلانى وأحمد الپدوى وعدي بن مسافر (قلت ومعين الدين
الجشتى فى اجير الهند ، وبهاؤ الدين النقشبند فى بخارى ، ومصباح الدين
فى خجند ، وآفاق خوجه فى كشغر ، ومزارسخى فى باخ ، وزانكى
اتا فى تاشقند ، وأحمد يسوى فى تركستان ، ومحيى بن عربى فى الشام)

وامثالهم من أهل العبادة والصلاح في كل بلدة وقرية ، وقد بين أهل العلم في امثال هذا انه هو الشرك الا كبر وعبادة الاصنام، والذين يدعون مع الله آلهة اخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتمائيل لم يكونوا يعتقدون انها تنزل المطر او تدبى الثياب ، وانما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله الرسل وانزل الكتب تنهى ان يدعى احد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة. واعلم ان المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ﷺ بدعائهم الاولياء والصالحين في الرخاء والشدة ، ولا شك ان رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدين كله لله ، والدعاء كله لله ، والذبح كله لله ، والنذر كله لله والاستغاثة كلها بالله ، وجميع انواع العبادات كلها لله ، وقد عرفت ان اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وان قصدتم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب لله بذلك هو الذى أحل دعاءهم واموالهم ، عرفت حينئذ التوحيد الذى دعت اليه الرسل وابى عن الاقرار به المشركون ؛ وهذا التوحيد هو معنى لا إله الا الله. والعبادة انواع كثيرة منها السجود فلا يجوز لعبد ان يضع وجهه على الارض ساجداً إلا لله وحده لا شريك له لا لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا لولى ، ومنها الذبح فلا يجوز لاحد ان يذبح إلا لله وحده ، فمن ذبح لغير الله بن جنى او قبر فهو كما لو سجد له ، وقد لعنه رسول الله ﷺ وقال « لعن الله من ذبح لغير الله ، ومنها الدعاء كما كان المؤمنون يدعون الله ليلا ونهاراً فى الشدة والرخاء وحده فتمفكر وحمك الله فيما حدث فى الناس

اليوم من دعاء غير الله في الشدة والرخاء ، هذا يريد سفرًا فيأتي عند قبر فينذر له ، وهذا تلحقه الشدة في البر والبحر فيستغيث بعبد القادر او السماء ان ينجيه من هذه الشدة ، فيقال لهذا الجاهل ان كنت تعرف ان الاله هو المعبود ، وتعرف ان الدعاء من العبادة فكيف تدعو مخلوقًا ميتًا عاجزًا ، وتترك الحى القيوم الرؤوف الرحيم القدير ، فيقول هذا المشرك ان الامر بيد الله ولكن هذا العبد الصالح يشفع لى عند الله وتنفعنى شفاعته وجاهه . ويظن ان ذلك يسامه من الشرك فليتدبر اللبيب العاقل الناصح لنفسه الذى يعرف ان بعد الموت جنة وناراً هذا الموضع ، ويعرف الشرك وان المشركين ما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم الا الشفاعة لا غير ذلك فان احتج بعض المشركين ان اولئك يعتقدون فى أصنام من حجارة وختب ونحن نعتقد فى الصالحين ؛ قيل له والكفار أيضاً منهم من يعتقد فى الصالحين ، مثل الملائكة وعيسى بن مريم . وفى الاولياء مثل العزيز واللات وناس من الجن ؛ فصاروا هم والذين يعتقدون فى الاصنام من الحجر والشجر واحداً ؛ فلما جاءهم رسول الله ﷺ لم يفرق بين الذين يعتقدون فى الاوثان من الخشب والحجر والذين يعتقدون فى الانبياء والصالحين . وانى قد سمعت عن كثير منهم يقول جاءتنى شدة فجئت الشيخ فلان أو السيد فلان فنذرت له نخلصنى ، وقد وقع كثير من المصنفين على جهالة من الشرك الاكبر وهو لا يفطن لذلك كقول صاحب البردة

يا اكرم الخلق مالى من الودبه سواك عند حلول الحادث العمم

وأمثال ذلك كثيرة

وفي الجزء الرابع من مجموعة الرسائل النجدية . من زعم ان المراد من لا إله الا الله مجرد القول فقد خالف مناجات به الرسد والانبياء من دين الله ، والقرآن من أوله الى آخره يحقق معنى لا إله الا الله : ينفي الشرك وتوابعه ويقرر الاخلاص وشرائعه ، ولا يمكن اشتدت غربة الدين بهجوم المفسدين ، ووقع الريب والشك بعد اليقين ؛ وانتقض أكثر عرى الاسلام كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه . انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف اجاهلية ؛ والحاصل ان كل قول وعمل صالح يحبه الله ويرضه فهو من مدلول كلمة الاخلاص التي سماها الله تعالى كلمة التقوى . والتقوى أن يتقى سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصي واخلاص العباد لله واتباع أمره على مشرعه وكل رسول يدعو قومه الى أن يخلعوا عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله ويخلصوا اعمالهم كلها عن الاصنام والاوثنان التي اتخذوها وجعلوها أنداداً لله بعبادتهم . وهذا هو معنى لا إله الا الله لا يشك في هذا مسلم والايمن بالله وحده هو البراءة مما كانوا يعبدونه من دون الله ، فمن شك ان هذا هو معنى لا إله الا الله فليس معه من الاسلام ما يزن حبة خردل ولا شك ان معنى لا إله الا الله ، لا معبود الا الله ؛ فالاله هو المعبود ، والتأله التعبد ، لا إله الا الله نفت الالهية عن سوى الله واثبتتها لله تعالى وحده ؛ والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والافعال ، فالاله هو المعبود المطاع ، فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك

وذلك كالسجود والدعاء والذبح والنذر والتوكل والخوف والرجاء وغير ذلك من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة . وافراد الله تعالى بالعبادة ونفيها عما سواه هو حقيقة التوحيد ؛ وهو معنى لا اله الا الله ؛ فمن قال لا اله الا الله بصدق ويقين أخرجت من قلبه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً واجلالاً ومهابة وخشية وتوكلًا ، وهذا هو حقيقة الاخلاص الذى قال فيه رسول الله ﷺ « من قال لا اله الا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة » قيل للحسن البصرى رحمه الله تعالى ان ناساً يقولون من قال لا اله الا الله دخل الجنة ؛ قال من قال لا اله الا الله فادى حقها وفرضها ، وغالب من يقول لا اله الا الله انما يقولها تقليداً ولم يخالط الايمان بشاشة قلبه ؛ فلا يعرف ما تنفيه وما تثبته ، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يصرف عنها عند الموت ، وفي القبور امثال هؤلاء يقولون كما فى الصحيح « سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته » الحديث .

واجهل الناس من يحتج على جواز الشرك والضلال بعمل الناس وكثرتهم، ولا يخفك ان سبب ضلال اليهود والنصارى علماءهم ، فكذلك سبب ضلال أكثر هذه الامة علماءها ، كما فى الحديث المشهور « علماءهم شر من تحت اديم السماء منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود » وقولهم لو أن هذا لا يجوز ما خفى على فلان وفلان ، فهذه شبهة باطلة قال محمد بن وضاح انما هلكت بنو اسرائيل على يد قرائهم وعلمائهم وفقهائهم ؛ وستهلك هذه الامة على يد قرائها وفقهائها ، قال عبدالله بن مبارك رحمه الله تعالى :

وهل افسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها
والاستغائه بالنبي ﷺ بعد موته موجود في كلام كثير من المتأخرين
مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان والابوصيري وغيرهم . وهو لا لهم
صلاح ، وليكنهم ليسوا من أهل العلم ، بل جروا على عادة اهل بلادهم ،
والشر يزداد يوماً فيوماً ، ويقول عالمهم استعمالها من هو أعم منا واعرّف
بكلام العرب ، فبأست الحجة الواهية ، والله لا يصرنا بتابع من رأيناه
أعلم منا . وانما أوجب علينا عند التذرع الردى كتابه وسنة نبيه . قال الله
تعالى ﴿ فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر ﴾ خاصة في أمور الدين فه لا يجوز التقايد فيها باجماع
العلماء ، ولم يقل سبحانه فان تنازعتم في شئ فاتبعوا ما عليه أكثر الناس
ولا ما عليه بلد من البلدان .

وفي الجزء الرابع من المجموعة النجدية : نقلا عن الحافظ زين الدين
عبد الرحمن بن رجب رحمه الله تعالى ، ومن تحقق لا إله إلا الله في قلبه
فعلامته أن لا يؤله القلب غير الله حباً ورجاء وخوفاً وتوكلاً واستماعة
وخضوعاً واناة وطلباً ، وتحققه بان محمداً رسول الله ؛ أن لا يعبد الله بغير
ما شرعه على لسان محمد ﷺ ، وقد جاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ
أنه قال « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » قيل ما خلاصها
يا رسول الله قال « أن تحجزك عما حرم الله عليك » وتحقيق هذا المعنى
أن قول العبد لا إله إلا الله يقتضى أن لا إله غير الله ، والآله هو الذي يطاع
فلا يمصى هيبة واجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه

ودعاء له ، ولا يصح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن اشرك مخلوقا في شيء من هذه الامور التي من خصائص الالهية كان ذلك قدحا في اخلاصه في قول لا إله إلا الله ونقصاً في توحيدة ؛ وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك ، ولهذا ورد اطلاق الشرك والكفر على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه أو العمل لاجله ؛ كما ورد اطلاق الشرك على الرياء وعلى الحلف بغير الله وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه ؛ وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول ما شاء الله وشاء فلان ، وكذا قوله ما لي الا الله وأنت ، وكذلك كل ما يقدر في التوحيد ؛ وتفرد الله بالنعمة والضر كالطيرة وارقى المكروهة واتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون ، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قاذح في تمام التوحيد وكاله ولهذا نطلق الشرك على كثير من الذنوب التي منشأها من اتباع هوى النفس انها كفر وشرك كقتال المسلم ومن اتى حائضاً أو امرأة في دبرها ومن شرب الخمر في المرة الرابعة ؛ وان كان ذلك لا يخرج من الملة بالكلية ، ولهذا قال السلف كفر دون كفر وشرك دون شرك .

وقد ورد اطلاق الاله على الهوى المتبع قال تعالى ﴿ أفرايت من اتخذ الهه هواه ﴾ قال الحسن رحمه الله تعالى هو الذي لا يهوى شيئاً الا ركبته ، وتعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم الخ ، فدل هذا على ان كل من أحب شيئاً وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لاجله وعادى لاجله

وعبيده وذلك الشئ معبوده والهه ، ويدل عليه أيضاً ان الله تعالى سمي
طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى ﴿الم أعهد اليكم
يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان ﴾ وقال ابراهيم عليه السلام ﴿يا أبت
لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصياً ﴾ فمن لم يحقق عبودية
الرحمن وطاعته فانه يعبد الشيطان بطاعته له ، ولم يخلص من عبادة
الشيطان ، الامن أخاص عبودية الرحمن ؛ وهم الذين قال فيهم ﴿ان
عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ فهم الذين حققوا قول لا اله الا الله
وأخلصوا في قولها وصدقوا قولهم بفعلهم ، فلم يلتفتوا الى غير الله محبة
واجلالاً ورجاء وخشية وطاعة وتوكلاً ، وهم الذين صدقوا في قول لا اله
الا الله وهم عباد الله حقاً ، فان من قال لا اله الا الله بلسانه ، ثم أطاع
الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب فعله قوله ، ونقص
من كمال توحيدده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى ﴿ومن
أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله ﴾ فيا هذا كن عبداً لله لا عبداً للهوى ، فان الهوى يهوى
بصاحبه الى النار ﴿أرباب تفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ وتمس
عبد الدرهم وعبد الدينار ، والله ما ينجوا غداً من عذاب الله الامن
حقق عبودية الله وحده ولم يلتفت معه الى شئ من الاغيار ، ان قول
لا اله الا الله يقتضى ان لا يحب سواه ، فان الاله هو الذى يطاع محبة
وخوفاً ورجاء ، ومن تمام محبته محبة ما يحبه ، وكرهه ما يكرهه ، فمن

في قول لا اله الا الله ، ، كان فيه من الشرك الخفى بحسب ما كرهه مما تحب
الله وما أحبه مما يكرهه الله ، قال الله تعالى ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط
الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ قال الليث بن سعد عن مجاهد
رحمهما الله تعالى قوله تعالى ﴿ لا يشركون بي شيئاً ﴾ قال لا يحبون غيري ،
وفي صحيح الحاكم عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبي ﷺ قال الشرك
في هذه الامة أخفى من ديب الدرّة على الصفاة السوداء في الليلة الظلماء ،
وأدناه ان يحب على شيء من الجور أو يبغض على شيء من العدل ، وهل
الدين الا الحب والبغض قال الله تعالى ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحبكم الله ﴾ فلا يتم محبة الله الا بمحبة ما يحبه وكراهه ، اي يبغضه ويكرهه
ولا طريق الى معرفة ما يحبه وما يكرهه الا من طريق الرسول ﷺ
فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة الرسول وتصديقه ومتابعته ، فهذا معنى
لا اله الا الله محمد رسول الله ، فمن قالها صادقا من قلبه حرمه الله على
النار وأدخله الجنة وأما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فقلّة صدقه
في قولها ، فان هذه الكلمة اذا صدقت طهرت القلوب من كل ما سوى
الله . ومتى بقى في القلب اثر سوى الله فمن قلة الصدق في قولها ، ولا
اله الا الله هي كلمة التقوى ، وهي كلمة الاخلاص وشهادة الحق ودعوة
الحق وبرائة من الشرك ، ونجاة العبد ورأس هذا الامر ، ولاجلها خلق
الخلق ، ولاجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، وهي مفتاح دعوة
الرسل ، وهي مفتاح الجنة ، وهي ثمن الجنة .
وفي رسالة العبادات الشرعية للعلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى ،

العبادات الشرعية هي السبيل الذي يقرب به الى الله تعالى وهو سبيل
الله؛ والصراط المستقيم، وهو البر والطاعة والحسنات، وهو طريق
السالكين ومنهاج القاصدين والعابدين، وهو طريق الزهد والعبادة،
ويسمى الفقر والتصوف ونحو ذلك وتلك العبادة تؤدي كما وردت عن
النبي ﷺ بلا زيادة ولا نقصان، وأما العبادات البدعية فهي دين أهل
الضلالة كما في الصحيحين في حديث الخوارج (يحقر احدكم صلاته مع
صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز
حناجرهم؛ يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية) فاهل البدعة
ابتدعوا عبادات من هواء انفسهم كاخلوات والاربعينيات اما تمسكا بما
قبل النبوة أو بواقعه موسى عليه السلام، وهي شريعة منسوخة وقد
جرب ان من سلك هذه العبادات البدعية اتته الشياطين، وحصل له
تنزل شيطاني وخطاب شيطاني وبعضهم يطير به شيطانه لانهم خرجوا
عن شريعة النبي ﷺ التي أمروا بها، ثم من هؤلاء من قد يصر في الخلوة
بالذکر فيقولون ذكر العامة لا اله الا الله وذكر الخاصة الله الله وذكر
الخاصة الخاصة هو هو.

والذکر بالاسم المضمرد ومظهراً ومضمراً بدعة في الشرع وخطأ في
القول واللغة؛ فان الاسم المجرد ليس هو كلاماً لا ايماناً ولا كفوفاً، وقد
ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال أفضل الكلام بعد القرآن
أربع وهن من القرآن. سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر
وأفضل الذکر لا اله الا الله؛ وأفضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله

إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . ^{الحمد لله}
ذكر الاسم المفرد فبدعة لم يشرع وليس هو بكلام يعقل ولا فيه إيمان
وينبغي أن يعرف أن البدعة يريد الكفر ؛ وهذا باب دخل فيه أمر
عظيم على كثير من السالكين ، واشتبهت عليهم الأحوال الرحمانية
بالأحوال الشيطانية ، وحصل لهم من جنس ما يحصل للكهان والسحرة
وظنوا أن ذلك من الكرامات ، والنجاة في اتباع طريق الرسول ^{صلى الله عليه وسلم}
فمن خالفه ضل ، وخاتم الرسل محمد ^{صلى الله عليه وسلم} قد أمر أمته بعبادات شرعية
من صلاة وذكر ودعاء وقراءة ، ولم يأمرهم قط بتفريغ القلب من كل
خاطر وانتظار ما ينزل ، وإنما هي طريقة جاهلية ، ولكن التفريع والتخلية
التي جاء بها الرسول ^{صلى الله عليه وسلم} أن يفرغ قلبه مما لا يحبه الله ، ويملؤه بما يحبه
الله ، فيفرغه من عبادة غير الله ويملؤه بعبادة الله ، وكذلك يفرغه من محبة
غير الله ويملؤه بمحبة الله ، وكذلك يخرج منه خوف غير الله تعالى ، وينفي
عنه التوكل على غير الله ويثبت فيه التوكل على الله ، وهذا هو الإسلام
الذي جاء به محمد ^{صلى الله عليه وسلم} ويمده القرآن ويقويه .

واعلم أنه لا يجوز أن يقال أن هذا مستحب أو مشروع إلا بدليل
شرعي ، ولا يجوز أن يثبت شريعة بحديث ضعيف كمقادير الثواب ،
ولكن أهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات ويبغض
اليهم السبل الشرعية ، حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث ، ولهذا
قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى وهو من كبار الصوفية ، يامعشر
الصوفية لا تفارقون السواد على البياض ، فما فارق أحد السواد على البياض

إلى تزندق؛ وقال الجنيد رحمه الله تعالى ، وهو سيد الطائفة ، علمنا هذا مبني على الكتاب والسنة ؛ فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن ، وكثير من هؤلاء ينفر ممن يذكر الشرع ، وذلك أنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم فصارت شياطينهم تهربهم من هذا ؛ كما يهرب اليهودي والنصراني ابنه أن يسمع كلام المسلمين حتى لا يتغير اعتقاده في دينه ؛ وكما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم لئلا يسمعوا كلامه ولا يروه .

قال الله تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ قال عكرمة رحمه الله تعالى تسألهم من خلق السماوات والارض فيقولون الله ، وهم يعبدون غيره ؛ وهؤلاء يدعون التوحيد والفتاء في التوحيد ، ويقولون ان هذا نهاية التوحيد ، وأن العارف إذا صار في هذا المقام لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة ؛ وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ؛ وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الاصنام .

وقد ذكر العلامة ابن القيم في الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، وكشف الغطاء ان الله عز وجل أرسل رسله وأنزل كتبه وخلق السماوات والارض ليعرف ويعبد ويوحد ويكون الدين كله له ؛ والطاعة كلها له والدعوة له ؛ كما قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ فاصل الاصول التوحيد ، وهو العدل ، وأظلم الظلم الشرك

﴿ إن نشرك نضم عظيم ﴾ فتأمل هذا الاصل حق التأمل واعتبر به
تفاصيله ، ونشرك أكبر الكبائر على الاطلاق ، وحرّم الله الجنة على
كل مشرك ؛ وأباح دمه وماله وأهله لاهل التوحيد ؛ وأن يتخذوهم
عبيداً لهم لما تركوا للقيام بعبودية الله تعالى ؛ فالمشرك أجهل الجاهلين
حيث جعل له من خلقه نداً ، وذلك غاية الجهل به ؛ كما أنه غاية الظلم
منه ؛ وان كان للمشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه .

تنبيه : إن المشركين انما قصدهم تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى ،
وانه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه الا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك ؛
فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية ، وانما قصد تعظيمه
(بحسب زعمه) وقال انما أعبد هذه الوسائط لتقربني اليه وتدخاني عليه
فهو المقصود ، وهذه وسائل وشفعاء .

واعلم ان الله تعالى لم يشرع لعباده التقرب اليه بالشفعاء والوسائط
وان الشرك لا يغفر من دون سائر الذنوب ، وتفكر فيه فان الفرق بين
المشركين والموحدين ، والعالمين بالله والجاهلين ، وأهل الجنة وأهل
النار ، انما يحصل به ؛ فاعلم ان الشرك شركان ؛ شرك يتعلق بذات
المعبود واسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك في عبادته ومعاملته وان كان
صاحبه يعتقد انه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله
والشرك الاول نوعان ، أحدهما شرك التعطيل ، وهو أقبح أنواع
الشرك كشرك فرعون إذ قال ﴿ وما رب العالمين ﴾ فالشرك والتعطيل
متلازمان ، فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك ، لكن لا يستلزم .

أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته ،
ولكن عطل حق التوحيد ، والتعطيل ثلاثة أقسام ، تعطيل المصنوع
عن صانعه وخالقه ، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل
أسمائه وصفاته وأفعاله ، وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من
حقيقة التوحيد ، ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود ، ومنه
شرك ملاحدة القائلين بقدوم العالم وابدئته والحوادث بأسرها مستندة
عندهم إلى أسباب ووسائل اقتضت إيجادها يسمونها بالعقول والنفوس
ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله من غلاة
الجهمية والقرامطة

النوع الثاني شرك من جعل معه إلهاً آخر ولم يعطل أسمائه
وربوبيته وصفاته كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة ، ومن هذا
شرك المجوس القائلين باستناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر
إلى الظلمة ، ومن هذا شرك القدرية القائلين بأن الحيوان هو الذى
يخلق أفعال نفسه ، وإنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته ،
ولهذا كانوا من أشباه المجوس ، ومن هذا شرك كثير ممن يشرك
بالكواكب العلويات ويجعلها أرباباً مدبرة لأمم هذا العالم ، كما هو
مذهب مشركى الصابئية وغيرهم ، ومنهم من يزعم الآله الأصغر
والآله الأكبر ؛ وإن الأصغر يوصل إلى الأكبر .

وأما الشرك فى العبادة فهو أسهل من هذا الشرك وأخف شراً ،
فانه يصدر ممن يعتقد انه لا آله الا الله ؛ وانه لا يضر ولا ينفع ولا

بعضى ولا يتنعى لا الله ، و نه لا اله غيره ولا رب سواه ، لكن لا يخلص
لله فى معاملته وعبوديته بل يعمل لحفظ نفسه تارة ، وطلب الدنيا
تارة ؛ واطلب الرفعة ، المنزلة ، الجاه عند الخلق تارة ؛ فله من عمله وسعيه
نصيب ولنفسه وهواه نصيب ، وللشيطان نصيب ، وللخلق نصيب ؛ هذا
حال أكثر الناس ، وهو الشرك الذى قال فيه النبي ﷺ فيما رواه ابن حبان
فى صحيحه « الشرك فى هذه الامة اخفى من ديب النمل » قيل وكيف
تنجو منه يا رسول الله ، قال قل « اللهم انى أعوذ بك ان أشرك بك شيئاً وانا
أعلم واستغفرك لما لا اعلم » فليأىء كل شريك ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم
يوحى إلى انما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً
ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ أى كما انه إله واحد لا إله سواه فكذلك
ان تكون العبادة له وحده ؛ فكما تفرد بالالهية يجب أن يفرد بالعبودية ،
والشرك ينقسم الى كبير وأكبر ومغفور وغير مغفور فمن الغير المغفور
الشرك بالله فى المحبة والتعظيم بان يجب مخلوقا كما يجب الله . كما قال تعالى ﴿ ومن
الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله ﴾ الآية . وقال أصحاب
هذا الشرك لا إلهتهم وقد جمعهم الجحيم ﴿ تالله ان كنا لفي ضلال مبين
إذ نسويكم رب العالمين ﴾ ومعلوم انهم ما سواهم به سبحانه فى الخلق
والرزق والامانة والاحياء والملك والقدرة وانما سواهم به فى الحب والتأله
والخضوع لهم والتذلل ، وهذا غاية الجهل والظلم . فكيف يسوى من خلق
من التراب رب الارباب ، والعييد بمالك الرقاب فإى ظلم اقبح من هذا .
ويتبع هذا الشرك فى الاقوال والافعال والارادات

والنبيات ، فالشرك في الافعال كالسجود لغير الله والطواف لغير بيته ؛
وتقبيل الاحجار غير الحجر الاسود ، أو تقبيل القبور واستلامها والسجود
لها ، وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد يصلي
لله فيها ؛ فكيف بمن اتخذ القبور أو نائياً يعبدها من دون الله ، أو سجد
للقبر ؛ ومن الشرك بالله الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره ؛ ومن ذلك قول
للقائل للمخلوق ماشاء الله وشئت ، فكيف من يقول أنا متوكل على الله
وعليك وأنا في حسب الله وحسبك ، وما لي إلا الله وأنت ، وهذا من
الله ومنك ، وهذا من بركات الله وبركاتك والله لي في السماء وأنت لي
في الارض ؛ ويقول والله وحياة فلان ، أو يقول نذراً لله ولفلان ، وأنا
تائب لله ولفلان ؛ أو أرجو الله وفلاناً ؛ ونحو ذلك .

واعلم ان من خصائص الآلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء
والمنع ، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده ،
فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق ، وجعل من لا يملك لنفسه نفعاً
ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً أفضل من غيره تشبيهاً بمن له
الامر كله ، فازمة الامر كلها بيديه ومرجعها اليه ، فما شاء الله كان وما لم
يشأ لم يكن ؛ لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع . ومن خصائص الآلهية
الكمال المطلق من جميع الوجوه ، وذلك يوجب ان تكون العبادة كلها له
وحده . والتمظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والالتابة والتوكل
والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرة
لأن يكون لله وحده . ومنع عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لغيره . فمن

جس شيئاً من ذلك غيره فقد شبه ذلك الغير بمن لاشبيهه له ولا ندله ،
وذلك أقبح التشبيهه وابطله . فلهذا لا يغفره سبحانه مع أنه كتب على
نفسه الرحمة . ومن خصائص الألوهية العبودية التي قامت على ساقين
لاقوام لها بدونها غاية الحب مع غاية الذل . هذا تمام العبودية ، وتفاوت
منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الاصلين فمن أعطى حبه وذله
وخضوعه لغير الله فقد شبهه به في خالص حقه ، وهذا من المحال أن تأتي به
شريعة من الشرائع ، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل . ولكن غيرت
الشياطين فطراً أكثر الخلق وعقولهم وفسدتها عليهم واجتالهم عنها وجالوا
معها في الضلال . اذا عرف هذا فمن خصائص الألوهية السجود فمن سجد
لغيره فقد شبه المخلوق به . ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به .
ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به . ومنها الحلف باسمه تعظيماً
واجلالاً فمن حلف بغيره فقد شبهه به . هذا في جانب التشبيه . وأما في
جانب التشبيه به فمن تعاضم وتكبر ودعا الناس إلى اطرائه في المدح والذم
والخضوع والرجاء وتعليق القلب به خوفاً ورجاءاً والتجاء واستعانة فقد
تشبه بالله ونازعه في ربوبية وألوهيته . وهو حقيق بان يهينه غاية الهوان .
انتهى ما ذكره ابن القيم ملخصاً .

وقد قال العارف العلامة الشيخ احمد السرهندي في المكتوب الثالث
من المجلد الثالث من مكتوباته لا إله إلا الله . لا أحد يستحق الألوهية
والمعبودية إلا الله الذي لا نظير له ، الواجب الوجود المنزه عن سمات
النقص والبرأ عن صفات الحدوث . فان المستحق للمباداة التي هي عبارة

عن كمال التذال والخضوع والانكسار انما ثبت لمن له جميع الكمالات
وسلب عنه جميع النقائص. واحتاج اليه جميع العالم والاشياء في الوجود وتوابع
الوجود. وهو ليس بمحتاج في أمر إلى شيء. وهو الضار النافع. لا شيء
يقدر ايصال ضرر أو نفع إلى أحد إلا باذنه. والمتصف بهذه الصفة ليس
إلا الله تعالى وحده. ولو فرض ان أحداً قدر على ايصال ضرر أو نفع إلى
الاشياء بلا اذنه يكون معطلا. والحاصل أنه لا يكون الجامع لهذه الصفات
الكاملة الا واحداً لا شريك له، ولا يستحق للعبادة إلا هو الله الواحد القهار.
والكفار الاشرار يعبدون غير الحق جل وعلا، ويمجلون الاصنام
المنحوتة معبودهم بزعم انها تكون شفعاءم عند الله، ويتقربون إلى الله
بتوسلها ما أعظم حماقتهم. واشراك أحد في عبادته جل وعلا بحرر التوهم
نهاية الخذلان والخسارة. فينبغي أن ينفي بتكرار لا إله إلا الله شريك
وجوب الوجود وشريك استحقاق العبادة. بل الالم والاحوج اليه
والانفع في هذه الطريق نفي شريك استحقاق العبادة المخصوص بدعوة
الانبياء عليهم الصلاة والسلام. فان المخالفين الذين ليسوا بملتزمين ملة نبي
من الانبياء عليهم السلام أيضاً ينفون شريك وجوب الوجود بدلائل
عقلية. ولا يثبتوا غير واحد من واجب الوجود. ولكنهم غافلون عن
معاملة استحقاق العبادة. وفارغون عن نفي شريك استحقاق العبادة.
لا يتحاشون من عبادة الغير. ولا يتكاسلون من عمارة الدير، والانبياء
عليهم السلام هم الذين يهدمون الدير وينهون عن عبادة الغير والمشركون
في لسان هؤلاء الاكابر من يكون اسيرا لعبادة غير الحق سبحانه، وان

كان فثلاً بنفى شريك وجوب الوجود فان اهتمامهم فى نفي عبادة ماسوى
اخق سبحانه للمتعاقة بالعمل ، فمن لم يتحقق بشرائع هؤلاء الا كبر عليهم
الصلاه والسلام المنبثه عن نفي استحقاق ماسوى الله تعالى العبادة لا
يتخلص عن الشرك ، ولا ينجوا من شعب شرك عبادة الآلهة الا قافية
والانفسية ، وهو المقصود من بعثة هؤلاء الا كبر عليهم الصلاة والسلام
وحصول هذه الدولة والنجاة من الشرك غير متيسرة فى غير شرائع
الانبياء عليهم السلام والتوحيد غير ممكن بدون التزام ملتهم ، وقد قال
بعض الاكابر من أهل الطريقة ، ان كلما هو مقصودك فهو معبودك ،
ومعنى العبادة هو الذل والانكسار ، فنفى معبودية الغير انما يتحقق اذا
لم يبق مقصود غير الحق عز وجل ، فعلى هذا معنى لا اله الا الله ،
لامقصود الا الله.

وقال فى المکتوب الثانى عشر من المجلد الثالث أيضاً ، ان ذكر
النفى والاثبات كالوضوء الذى هو شرط الصلاة ، وما لم يوجد الوضوء
لا يصح الشروع فى الصلاة ، كذلك ما لم تتم معاملة النفى والاثبات فكل
عمل يعمل داخل فيما لا يعنى ، ينبغى أولاً ازالة المرض ، وهى مربوط
بالنفى والاثبات ، ثم الاشتغال بعد ذلك بعبادات وحسنات آخر مما هو
كالغذاء الصالح للبدن وكل غذاء يتناول قبل زوال المرض فهو فاسد ومفسد
وقال فى المکتوب السابع عشر من المجلد الثالث أيضاً ، ان الله
هو الخالق الرب المنعم فيجب على العبد الشكر ، ولكن يجب كون
الشكر منحصراً فى اتيان احكام الشريعة قلباً وقالها واعتقاداً وعملاً ، وكل

تعظيم وعبادة له تعالى يؤدي بما وراء الشريعة لا يكون قابلاً للاعتماد؛ بل كثيراً ما يكون محصلاً للاضداد، والحسنة المتوهمة تكون سيئة في الحقيقة، فاداء شكره تعالى متعذر بدون الاتيان بها والشريعة لها جزآن اعتقادي وعملي، فالاعتقادي من اصول الدين والعمل من فروع، وفاقد الاعتقاد ليس من أهل النجاة، وفاقد العمل أمره مفوض الى مشيئته سبحانه. وقال في المكتوب (٤١) من المجلد الثالث أيضاً، ولما جاءت النساء عند النبي ﷺ للبيعة شرط عليهن شروطاً فالشرط الاول عدم اشراك شيء بالله تعالى لاني وجوب الوجود ولا في استحقاق العبادة، ومن لم يكن عمله مبرأ عن شائبة الربا والسمعة ومظنته طلب الاجر من غير الله تعالى ولو بالقول والذكر الجميل فليس هو بخارج عن دائرة الشرك ولا هو موحد مخلص؛ ولتعظيم مراسم الشرك ومواسم الكفر كلها قدم راسخ في الشرك، والمصدق للدينين من أهل الشرك، والمتشبهت بمجموع احكام الاسلام والكفر مشرك، والتبريء من الكفر شرط الاسلام. والاجتناب عن شائبة الشرك توحيد. والاستمداد من الاصنام والطاغوت في رفع الامراض والاستقام كما هو شائع فيما بين جهلة اهل الاسلام عين الشرك والضلالة، وطلب الحوائج من الاحجار المنحوتة نفس الكفر وانكار على واجب الوجود تعالى وتقدس وقد قال تعالى. شكايه عن حال بعض أهل الضلال « يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً » واكثر النساء مبتليات بهذا الاستمداد المنوع عنه بواسطة كمال الجهل.

فيهن يطلبين دفع البلية من هذه الاسماء الخالية عن المسميات ، ومفتونات
بأداء مراسم الشرك وأهل الشرك ؛ وتعظيم الايام المعظمة عند الهنود ،
واداء رسوم الايام المتعارفة عند اليهود والنصارى مستلزم للشرك
ومستوجب للكفر كما ان كثيراً من جهلة أهل الاسلام يفعلونه
فيكفرون من حيث لا يشعرون ؛ وما يفعلونه من ذبح الحيوانات المنذورة
للمشائخ عند قبورهم جملة الفقهاء داخل في الشرك . وبالغوا في هذا الباب
والحقوه بجنس ذبائح الجن المنوع عنها شرعاً ؛ فينبغي الاجتناب عن
هذا العمل ، ومثل ذلك صيام النساء بنية المشائخ ؛ وينتحن اكثر اساميهم
من عند انفسهن ويصمن بنيتهم (قلت مثل بي بي سه شنيه ، ومشكل
كشا) ويطلبين قضاء حوائجهن منهم بواسطة تلك الصيام ويزعن قضاء
حوائجهن منهم وذلك الفعل اشراك للغير في عبادة الله تعالى وطلب
لقضاء الحوائج عن الغير بواسطة العبادة اليه ، فينبغي أن يُعلم شناعة
هذا الفعل ، ولا يجوز اشراك احد به تعالى في عبادة من العبادات ،
وطلب الحاجة عن غير الله عين الضلالة ؛ وتسويل الشيطان الرجيم الخ
قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومي الخجندی المكي نعم
ما قاله وحينما ما افاده هذا هو الحق ، ولكنه سامحه الله ابتلى بما زجر
عنه ووقع فيما نهى عنه ، وهو لا يشعر لغلبة التقليد عليه ، فمن ذلك
استحسانه الذكر باللفظ المفرد كالله الله او هو هو وأمره به ، فانه ليس
بذكر شرعي نافع مفيد ؛ بل يشترك فيه المسلم والمشرک والملاحد كما

اسلفت بيانه ، ومنه أمره المرید بالمراقبة ومرابطة صورة الشيخ
واحضارها عند الذكر ، ولا شك ان هذا عين الوثنية والشرك ومنه
استحسانهم وتجويزهم الاستمداد من أرواح المشائخ كما هو صرح به
فى كثير من مكانه ، ويسمونه تربية روحانية ولا ريب ان هذا عين
الشرك الذى حذر عنه ، ومنه ترتيبهم الاوراد وتعيينهم الاوقات لها كختم
خواجه ونحوه ، ولا يخفك ان هذا الترتيب من البدع التى اخترعوها
وكذا طريقتهم واختراعهم اللطائف من السر والخطى والاخفى والقلب
والروح وغيرها ، وأمثالها من البدع التى ما انزل الله بها من سلطان ،
بل انها استحسان وتشريع من عند أنفسهم ، ولا يخفك حكم من يخترع
فى الدين شيئاً ، وهذا المؤلف يحذر عن ارتكاب البدعة وينفر عنها
ولكنه وقع فيما حذر عنه ، فلهذا أمرنا ان نطلب من الله تعالى الهداية
الى الصراط المستقيم ، ونقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد ذكر العلامة محمد عبده ومحمد رشيد رضا فى تفسير المنار
فى قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم
كحب الله ، والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ وهذه الآية مبينة لحال الذين
لا يعقلون تلك الآيات التى اقامتها الآية السابقة على توحيد الله تعالى ورحمته .
ولذلك جعلوا له أنداداً يلتمسون منه الخير والرحمة . ويدفعون بركتهم
البلاء والنقمة . ويأخذون عنهم الدين والشرعة . وقال بعض المفسرين ان الند
المائل المعارض المقاوم وهذا غير صحيح لان القرآن قص لنا خبر متخذى
الانداد فى آيات كثيرة صريحة فى انهم لا يعتقدون شيئاً من هذا الذى قاله

المفسرون بل يعتقدون غائباً ان الله تعالى هو المنفرد باخلاق والتدبير . وان الانداد وسطاء بينه وبين عباده يقربونهم اليه ويشفعون لهم عنده . لان المذنبين المقصرين لا يستطيعون الوصول الى الله تعالى بانفسهم فلا بد لهم واسطة . كما هو المهود من الرعايا الضعفاء مع الملوك والامراء . والوثنيون يقيسون الله تعالى على من يعظمونه من الرؤساء وعظماء الخلق لا سيما المستبدين منهم الذين استعبدوا الناس استعباداً فالآيات الناطقة بانهم اذا سئلوا من خلق كذا وكذا يقولون الله . وقال فيهم مع ذلك . ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم . ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأيضاً : والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والانداد عند جمهور المفسرين اعم من الأصنام والأوثان فيشمل الرؤساء الذين خضع لهم بعض الناس خضوعاً دينياً . ويدل عليه الآيات الآتية ﴿ اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ الآية فالمراد إذن من الند من يطلب منه ما لا يطلب الا من الله تعالى . او يؤخذ عنه ما لا يؤخذ الا عن الله تعالى . وبيانه ان للأسباب مسببات لا تعدوها بحكمة الله تعالى في نظام الخلق وان لله تعالى أفعالا خاصة به فطلب المسببات من أسبابها ليس من اتخاذ الانداد في شيء . وان هناك أموراً تخفى عنا أسبابها . ومعنى علينا طريق طلابها . فيجب علينا بارشاد الدين والفقرة أن نأجأ فيها الى القوة الغيبية . ونطلبها من مسبب الاسباب لعله بعنايته ورحمته يهديننا الى طريقها أو يبدلنا خيراً منها : وانما يجب هذا بعد بذل الجهد والطاقة في العمل بما نستطيع من الاسباب حتى لا يبقى في الامكان شيء

مع اعتقادنا بان الاسباب كلها من فضل الله تعالى ورحمته علينا اذ هو الذى جعلها طرقاً للمقاصد . وهدانا اليها بما وهبنا من العقل والشاعر . لا يسمع الدين للناس بان يتركوا الحرث والزرع ويدعوا الله تعالى أن يخرج لهم الحب من الارض بغير عمل منهم وانما يهديهم الى القيام بجميع الاعمال الممكنة لانجاح الزراعة من الحرث والتسميد والبذر والسقي وغير ذلك . وأن يتكلموا على الله تعالى بعد ذلك فيما بأيديهم ولم يهدم لسببه بكسبهم كاتزال الامطار وإفاضة الانهار ودفع الحوائج . فان استطاعوا شيئاً من ذلك فعليهم أن يطلبوه بعملهم لا بالسنتهم وقلوبهم مع شكر الله تعالى على هدايتهم اليه وأقدارهم عليه .

فكذلك يحظر الدين عليهم أن ينفروا الى الحرب والمدافعة عن الملة والبلاد عزلاً او حاملي سلاح دون سلاح العدو المعتدى عليهم إتكالاً على الله تعالى . واعتماداً على ان النصر بيده (قلت كجهلة أهل بخارى والفرغانة وخوارزم والجزائر والغرب) بل يأمرهم بان يعدوا للاعداء ما استطاعوا من قوة . ويتكلموا بعد ذلك على عناية الله تعالى بتثبيت القلوب والاقدام . وغير ذلك من ضروب التوفيق والالهام . فمن قصر في اتخاذ الاسباب لإعتماداً على الله فهو جاهل بالله . ومن التجأ الى ما ليس بسبب من دون الله فهو مشرك بالله . وهذا الذى يلجأ اليه من انسان مكرم كالانبياء والصالحين أو ملك مقرب أو مظهر غريب من مظاهر الخليفة . أو صنم أو تمثال جعل تذكاراً لشيء يسمى ندأً لله وشريكه وولياً من دونه (قلت كجهلة أهل بخارى فانهم اتكلموا على بهاء الدين النقشبند رحمه الله الذى توفى

قبل ماآت من الاعوام . وقالوا انه يدفع البلاء . وما دام قبر بهاء الدين موجود في بخارى لا يقدر الكفار على الاستيلاء عليها) والله ان بهاء الدين برىء من أقوالهم هذه لانا نعتقده من الرجال الصالحين العارفين رحمة الله عليه . فالمشرك مشرك وان صلى وصام او كان على رأسه عمامة كالتقية أو جلس في مسند المشيخة وفي يديه السبحة الكبيرة الطويلة كبودى الهنود والسيكها والخالصة ولاما المجوس) وعلق السبحة في عنقه ولو سبحة ابو الف .

ولاشك ان من جملة الانداد من يتبع في الدين من غير ان يكون مبينا للناس ما جاء عن الله ورسوله فيعمل بقوله وان لم يعرف دليله ويتخذ رأيه ديناً واجب الاتباع وان ظهر أنه مخالف لما جاء عن الله ورسوله اعتماداً على انه أعلم بالوحي ممن قلدوهم دينهم وأوسع منهم فهما فيما أنزل الله (كغالب البخاريين والافغانيين والهنديين والصينيين في إعتقادهم حرمة الاشارة بالمسبحة في تشهد الصلاة وتركهم العمل بها وزجرهم الآتى بها متمسكا بما في كتاب خلاصة الكيداني أو صلاة المسعودى او جامع الرموز وأمثالها) وفي أمثال هؤلاء نزل قوله تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ وقد عظمت الفتنة من متخذى الانداد . ورجوعهم عند الحاجة الى قبورهم وطلب النجاة منهم واذا ذكر لهم الكتاب والسنة اذا فريق منهم معرضون وهم لا يقبلون حكم الله في كتابه . وليكن اذا دعوا ليحكم بينهم براء رؤسائهم اقبلوا مذعنين . ويأخذون بالشرك الصريح عملاً بأقوال الناس من الميتين منهم

من لا يعرف مطلقاً، وانما سمى ولياً عملاً ببعض الرؤيا والاحلام، اذ الاختراع بعض الطعام ومنهم من يعرف في الجملة ولكن لا يعرف له تاريخ يوثق به ولا رواية يصح الاعتماد عليها: وانما قدم الخلف الصالح كلام هؤلاء على كلام الله ورسوله وكلام أئمة السلف. لان العامة اعتقدت صلاحهم ولايتهم، والعامة قوة تخضع لها الخاصة في أكثر الازمان

وفيه أيضاً، ويجب علينا ان ننظر في الحسن الذي يمدحه الله تعالى ويأمر به ونرجع الى أنفسنا لئلا نرى هل نحن متصفون به وننظر في القبيح الذي يذمه وينهى عنه كذلك، ثم نجتهد في تزكية أنفسنا من القبيح وتحليتها بالحسن، فهنا يجب علينا أن نبحث وننظر هل اتخذ المسلمون الآن أنداداً كما اتخذ الذين من قبلهم أنداداً ام لا، فان هذا أهم ما يبحث فيه قارئ القرآن. وقد اشتبه على بعض الباحثين السبب في سقوط المسلمين في الجهل العميم؛ الا إفراداً في بعض شعوبهم

لا يكاد يظهر لهم أثر. وذن بعضهم ان التصوف من اعظم الاسباب لسقوط المسلمين في الجهل بدينهم وبعدهم عن التوحيد الذي هو أساس عقائدهم. وليس الامر عندنا كما ظنوا. لان التصوف كان ظهر في القرون الاولى للاسلام فكان له شأن كبير، وكان الغرض منه تهذيب الاخلاق وترويض النفس باعمال الدين وتعريفها بأسرارها وحكمها بالتدريج ثم تغير حال الآخرين فحدثوا للشيخ سلطة خاصة على مريديه حتى قالوا يجب أن يكون المرید مع الشيخ كاليت بين يدي الغسال لان الشيخ يعرف أمراضه اوحية وعلاجها، حتى ولو أمر بمعصية لكان عليه ان يعتقد

أنها نعمة له وامتعين عليه ، فصار من قواعدهم التسليم الخض والطاعة العمياء ؛ وقالوا ان الوصول الى العرفان المطلق لا يكون الا بهذا ، ثم أحدثوا اظهار قبورهم ممن يموت من شيوخهم والعناية بزيارتها لاجل تذكر سلوكهم ومجاهدتهم وهم كانوا يريدون بذلك الخير ، ولكن ما ذا كان اثر ذلك في المسلمين كان منه ما كان الى أن مقاصد الصوفية الحسنة قد انقلبت ولم يبق من رسومهم الظاهرة الا أصوات وحركات يسمونها ذكراً يتبرأ منها كل صوفي صادق ، والا تعظيم قبور مشائخهم تعظيماً دينياً مع الاعتقاد بان لهم سلطة غيبية تعلو الاسباب التي ارتبطت بها المسببات بحكمة الله تعالى بها يدرون الكون ويتصرفون فيه كما يشاءون وانهم قد تكفلوا بقضاء حوائج مريديهم والمستغِيثين بهم ايما كانوا وهذا الاعتقاد هو عين اتخاذ الانداد وهو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف من الصحابة وأئمة التابعين والمجاهدين رضی الله تعالى عنهم اجمعين ، وزادوا على هذا شيئاً آخر هو اظهر منه قبلاً وهما للدين وهو زعمهم ان الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر ، فاذا اقترف أحدهم ذنباً فانكر عليه منكر قالوا في المجرم انه من اهل الحقيقة فلا اعتراض عليه ، وفي المنكر أنه من أهل الشريعة فلا التفات اليه ، كأنهم يرون أن الله تعالى أنزل للناس دينين وانه يحاسبهم بوجهين ويعاملهم معاملتين ، حاشا لله نعم جاء في كلام بعض الصوفية ذكر الحقيقة مع الشريعة ومرادهم به أن في كلام الله ورسوله ما يعلمو افهام العامة بما يشير اليه من دقائق الحكم والمعارف التي لا يعرفها الا الراسخون في العلم فحسب العامة

من هذا الوقوف عند ظاهره : ومن آتاه الله بسطة في العلم ففهم منه شيئاً أعلى مما تصل إليه افهام العامة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ممن يجد ويجتهد للزيد من العلم بالله ورسننه في خلقه، فهذا يسمونه علم الحقيقة لا سواه وایس فيه شيء يخالف الشريعة أو يناقضها : ومن آتاه الله نصيباً من هذا العلم كان اتقى لله من سواه ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ثم لما فسد التصوف واهله وانقلب الحال وضعف الفقه وظهر المتفقه الجاهلون الجامدون والمتصوفة الجاهلون ؛ واذعن اولئك الى هؤلاء ، واعترفوا لهم بالسركرامة حتى صرت ترى العالم الذي قرأ الكتاب والسنة والفقه يأخذ العهد من رجل جاهل امى ويرى أنه يوصله الى الله تعالى فان كان كتاب الله وسنة رسوله وما فهم الأئمة واستنبط الفقهاء منها كل ذلك لا يفيد معرفة الله تعالى المعبر عنها بالوصول اليه فلما ذا شرع الله تعالى هذا الدين ؛ والناس اغنياء عنه بامثال هؤلاء الاميين وأشباههم ، وهل المقصود اذاً فيما نزل الله تعالى أم في بيان الرسول وبيان الأئمة لما جاء عن الله والرسول ، حاشا لله ولكتابه ورسوله فلا طريق لمعرفة عز وجل والوصول الى رضوانه غير ما نزله من البيئات والهدى وانما كان غرض الصوفية الصادقين فهم الكتاب والسنة مع التحقق بعمارفها والتخلق والتأدب بأدابها ، واخذ النفوس بالعمل بها من غير تقليد لاهل الظاهر ، ولا جود على الظواهر .

ولقد تشوهت سيرة مدعى التصوف في هذا الزمان ، وصارت

وسومهم اشبه بالمعاصي والاهواء ، واظهرها في هذه البلاد الاحتفالات

التي يسمونها (التوالد) ومن العجيب ان تبع الفقهاء في استحسانها
الاغنياء ؛ فصاروا يبذلون فيها الاموال العظيمة زاعمين انهم يتقربون
بها الى الله تعالى ، ولو طلب منهم بعض هذا المال لنشر علم وازالة منكر
أو اعانة منكوب لضنوا به وبخلوا . فانظروا الى أين وصل المسلمون
بركة التصوف الخالي واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع ، اتخذوا
الشيوخ أنداداً وصار يقصد بزيارة القبور والاضرحة قضاء الحوائج
وشفاء المرضى وسعة الرزق بعد أن كانت للعبرة وتذكر القدوة ونتيجة
ذلك كله أن المسلمين رغبوا عما شرع الله تعالى الى ما توهموا أنه يرضى
غيره ممن اتخذوهم انداداً له وصاروا كالاباحيين في الغالب ، فلا عجب
اذن ان يحرّموا ما وعد الله المؤمنين من النصر ؛ لانهم انسلخوا من
مجموع ما وصف الله به المؤمنين ، ولم يكن في القرن الاول شيء من هذه
التقاليد والاعمال التي نحن عليها بل ولا في الثاني ، وانما سرت اليينا بالتقليد
والعدوى من الامم الاخرى .

وهنا نوع آخر هو ترك الاهتداء بالكتاب والسنة واستبدال
أقوال الناس بهما ؛ فلو دخل في الاسلام رجل عاقل أو شعب مرتقى
لحار لا يدري بم يأخذ ولا أي المذاهب والكتب في الاصول والفروع
يعتمد ، ولصعب علينا اقتناعه بان هذا هو الدين القيم دون سواه او بان
هذه المذاهب كلها على اختلافها شيء واحد ، ولو وقفنا عند حدود القرآن
وما بينه من الهدى النبوي لسهل علينا أن نفهم ما هي الحنيفية السمحة
تي لا حرج فيها ولا عسر وما هو الدين الخالص الذي لا اعوجاج فيه .

ولا خلف . ولكننا اذا نظرنا في أقوال الفقهاء وتشعبها وخلافاتهم
وعلاها فاننا نحار في ترجيح بعضها على بعض اذ نجد بعضها يحتاج عليه
بحديث صحيح وهو ظاهر الحكمة معقول المعنى ولكنه غير معتمد
عندهم بل يقولون فيه المدرك القوي ولكنه لا يقى به ولما ذا لان فلانا
قال كذا . فقول رجل من رجال كثيرين جداً تجهل تاريخ اكثرهم يكفى
لترك السنة الصحيحة . وان ظهر أن المصلحة فيما جاءت به السنة وبهذا
قطعت الصلة بين ما نحن فيه وبين أصل الدين وينبوعه . والحال انه لا
يجوز لاحد أن يرجع في شيء من عقائده وعباداته الا الى الله تعالى والى
رسوله الذى أنزله اليه كما يجب علينا أن نعتقد بان الحكم لله وحده لا يؤخذ
عن غيره الدين ، وبهذا نكون موحدين مخلصين له الدين ، كما أمرنا
في كتابه المبين ؛ ومن خرج عن هذا كان من متخذي الانداد ، ومن
يضلل الله فماله من هاد .

وفيه أيضا ، قال الله تعالى ﴿ إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا .
ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا
كرة فنتبرا منهم كما تبراؤا منا . كذلك يريد الله أعمالهم حسرات
عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ اعلم أن هذه الآية أشد زلزال على
المقلدين والمقلدين لجمودهم على أقوال الناس وآرائهم في الدين ؛ سواء
كانوا من الاحياء أم من الميتين ، وسواء كان التقليد في العقائد والعبادات ،
أم في أحكام الحلال والحرام ، إذ كل هذا إنما يؤخذ عن الله ورسوله .
ليس لاحد فيه رأى ولا قول ، ويدخل فيه الأئمة المضلون ، وأما

الائمة المهديون فذمهم عن عبادة غير الله تعالى وعن الاعتماد على غير
وحيه في الدين . ويزعم بعض المفسرين ان أمثال هذه الآيات خص
في الكفار . نعم انه خاص بالكفار كما قالوا ، ولكن من الخطأ أن يفهم
من هذا الكلام ما يفصل بين المسلمين والقرآن اذ يصرفون كل وعيد
فيه إلى المشركين واليهود والنصارى فينصرفون عن الاعتبار المقصود ،
لهذا ترى المسلمين لا يتمظون بالقرآن ، ويحسبون أن كلمة لا إله إلا الله
يتحرك بها اللسان من غير قيام بحقوقها كافية للنجاة في الآخرة ؛ على
ان كثيراً من الكافرين يقولها ، ومنهم من يهز جسده عند ذكر الله كما
يهزه جاهيرهم ، فهل هذا كل ما أراده الله من إنزال القرآن ، وبعثة
محمد ﷺ ، ليس هذا الذي يتوهم الجاهلون من مراد المفسرين فما بين
الله تعالى ضروب الشرك وصفات الكافرين وأحوالهم الا عبرة لمن
يؤمن بكتابه حتى لا يقع فيما وقعوا فيه فيكون من المالكين ، ولكن
رؤساء التقليد حالوا بين المسلمين وبين كتاب ربهم بزعمهم أن المستعدين
للاهداء به قد انقرضوا ولا يمكن أن يوجد مثلهم لما يشترط فيهم من
الصفات التي لا تيسر لغيرهم كعرفة كذا وكذا من الفنون ، مع أن
السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وكذا الائمة الاربعة رضى الله
تعالى عنهم متفقون على انه لا يجوز لاحد أن يأخذ بقول أحد في الدين
ما لم يعرف دليله ، ثم جاء العلماء المقلدون وجعلوا قول المفتي للعامة بمنزلة
الدليل ، ثم خلف خلف أعرق في التقليد فتمعوا كل الناس أخذ أي حكم
من الكتاب والسنة وعدوا من يحاول فهمها والعمل بهما زائغاً ، وهذا

غاية الخذلان وعداوة الدين وقد تبعهم الناس في ذلك فكانوا لهم أنداداً من دون الله ، وسيتبرأ بعضهم من بعض كما أخبر الله تعالى .

وقد نقل عن الأئمة الاربعة رضى الله تعالى عنهم النهي عن الاخذ بقولهم من غير معرفة دليلهم ، والامر بترك أقوالهم إذا ظهر مخالفته للكتاب او السنة ، قال الفقيه ابو الليث السمرقندى الحنفى بسنده عن ابى حنيفة رحمه الله تعالى انه قال لا يحل لاحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من ابن قلنا ، وقال عصام بن يوسف رحمه الله تعالى اجتمع أربعة من اصحاب ابى حنيفة رحمه الله تعالى فى مجلس زفر بن الهذيل وابو يوسف وعافية بن زيد ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى فكلمهم أجمعوا على انه لا يحل لاحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من ابن قلناه ، وفى روضة العلماء قيل لابى حنيفة رحمه الله تعالى اذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه قال اتركوا قولى لكتاب الله ؛ قيل فاذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه قال اتركوا قولى لقول رسول الله ﷺ ، قيل فاذا كان قول الصحابة رضى الله تعالى عنهم يخالفه ، قال اتركوا قولى لقول الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وبعد هذا كله جاء الكرخى وقال ان الاصل قول اصحابهم فان وافقته نصوص الكتاب والسنة فذاك والا وجب ، تأويلها ، وجرى العمل على هذا ؛ فقبل العامل بهذا مقلد لابى حنيفة رحمه الله أم للكرخى ، وهكذا بعينه ثبت عن الامام مالك والشافعى وأحمد ورحمهم الله تعالى

وفيه ايضاً ، ومن جملة الشرك التولات والتناجيس ، جمع تولة ،
ما تحمله المرأة ليجبها زوجها ، والسحر والتناجيس ما يحمل للعين من
الخرز والعظام التي يعلقونها على الاطفال ، والتأمم والعزائم وختامات
القرآن والعدد المعلوم من سورة يس ؛ او بعض الاذكار ؛ وقد بلغ
من هزؤ هؤلاء بالدين ان كان بعض المشهورين منهم يبيع سورة
(يس) لقضاء الحاجات او لرحمة الاموات يقرؤها مرات عديدة ،
فاذا جاء طالب ابتياع القراءة واخذ منه الثمن اعطاها بعد حل عقدها ،
وقد كنا نسمع عن رؤساء بعض الملل نحو هذا في بيع العبادة التي يسمونها
القداديس ، ففسخ منهم ، حتى علمنا اننا قد اتبعنا لسنتهم شبراً بشبر
حتى دخلنا حجر الضب الذي دخلوه ولا شك ان كل اجرة يؤخذ على
عبادة فهو من اكل اموال الناس بالباطل ، وقد مضى الصدر الاول ولم
يكن اخذ الاجر على عبادة ما معروف ، ولا يوجد في كلام اهل القرن
الاول والثاني كلمة تشعر بذلك ؛ تم لا يعقل ان تنحقق العبادة وتحصل
بالاجرة ؛ لان تحققها انما يكون بالنية و ارادة وجه الله تعالى وابتغاء
مرضاته ، ومتى شاب هذه النية شائبة من حظ الدنيا خرج العمل عن
كونه عبادة خالصة لله ، والله تعالى لا يقبل الا من كان خالصاً من
الخطوظ والشوائب ، وقد ورد على لسان الشارع تسمية مثل هذا
العمل شركاً .

وفيه ايضاً في قوله تعالى ﴿ وَاللّٰهُمَّ اٰلَهٗ وَاحِدٌ لَّا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ
الرَّحِيْمُ . ان في خلق السماوات والارض ﴿ الآية ، اي فلا تشركوا به

شيئا ، والشرك به نوعان احدهما يتعلق بالالوهية ، وهو ان يعتقد ان
فى الخلق من يشاركه تعالى او يعينه فى افعاله او يحمله عايتها او يصده
عنها لاجل قربه منه كما يكون من بطانة الملوك الظالمين وحواشيهم
وحجابهم واعوانهم ، وثانيهما يتعلق بالربوبية ، وهو ان يؤخذ حكم
الدين فى عبادة الله تعالى ، والتحليل والتحرير عن غيره ، اى غير كتابه
ووحيه الذى بلغه عنه رسله بحجة ان من يؤخذ عنهم الدين من غير بيان
الوحي اعلم بمراد الله ، فيترك الأخذ من الكتاب لرأيهم وقولهم وهو
المراد بقوله تعالى ﴿ اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله ﴾
فظاهر أن الواجب على العلماء بالدين أن يبينوا ما أنزله الله للناس ولا
يكتسوه ، لا أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ؛ كما زاد أهل الكتاب
أحكاماً كثيرة . ثم هجروا الوحي اكتفاء بها . فهو الآله الواحد الحى القيوم
القادر الذى بيده ملكوت كل شئ ، وكل ما تعتمدون عليه من دونه
فليس محلاً للاعتماد ، بل اعتمادكم عليه من قبيل الشرك ، فيجب أن تطرحوه
جانباً وتعتقدوا أن الآله الذى بيده أزمة المنافع والقادر على دفع المضار
وايقاعها هو واحد لاسلطان لاجل على ارادته ، ولا مبدل لكلمته ؛ ولا
أوسع من رحمته ، وانما كدأمر الوحدة هذا التأكيد تحذيراً من طرق
الشرك الخفية ، على أنها أساس الدين وأصله .

وفيه أيضاً : واعلم أن مخالطة المشركين ومجالستهم محظور مرهوب
الشرب بما يخشى منه أن يسرى شئ من عقائد الشرك بضروب الشبه
والتضليل التى جري عليها المشركون ، كقولهم فيمن يتخذونهم وسطاء

بينهم وبين الخلق ﴿ هو لاء شفعاؤنا عند الله ، وما تعبدتم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ فهذه الشبهة هي التي فتن بها أكثر البشر ، ولم يسلم منها أهل شريعة سماوية خالطوا المشركين وعاشروهم فدخلوا في الشرك من حيث لا يشعرون ، لانهم لم يتخذوا معبودات المشركين أنفسهم شفعاء ووسطاء ، بل اتخذوا انبيائهم ورؤسائهم ووظنوا أن هذا تعظيم لهم لا ينافي التوحيد الذي أمروا به ، وجعل أصل دينهم وأساس ارتقاء أرواحهم وعقولهم ، وقد أغتروا بظواهر الالفاظ ، وجعلوا تسمية الشيء بغير اسمه اخراجا له عن حقيقته ، فهم قد عبدوا غير الله ولكنهم لم يسموا عملهم عبادة بل اطلقوا عليه لفظاً آخر كالاستشفاع والتوسل ، واتخذوا غير الله آلهاً ورباً . ومنهم من لم يسميه بذلك بل سموه شفيعا ووسيلة ، وتوهموا أن اتخاذ آلهاً أو رباً هو تسميته بذلك أو اعتقاد أنه هو الخالق والرازق والحى والميت استقلالاً ، ولو رجعوا إلى عقائد الذين اتبعوا سنتهم من المشركين لوجدوهم كما قال الله تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، وإن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ .

وفيه أيضاً في قوله تعالى ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون ﴾ أن اعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال اقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه فسكت عنه فانزل الله تعالى الآية . وهذا السؤال ليس ببعيد من العرب الذين اعتادوا أن يتخذوا وسائل بينهم وبين آلهتهم يقربونهم إلى الله

خالق السموات والأرض . وهؤلاء الوسائل أما اشخاص وأما امثلة أشخاص كالتماثيل والاصنام ، ولم يهتدوا بانفسهم إلى التجرد لمعرفة ذلك الآله العظيم بأنه لا يتقيد بشئ حتى هداهم اليه القرآن بآية البينات فكانوا أهل التوحيد الخالص ، والله تعالى قريب من عباده فلا حاجة إلى رفع الصوت ولا إلى الوساطة بينه وبين عباده في الدعاء وطلب الحاجات كما كان عليه المشركون في التوسل بالشفعاء والوسطاء إلى الله تعالى ﴿ أجيب دعوة الداع ﴾ منهم بنفسى من غير واسطة ﴿ إذا ﴾ هو ﴿ دعانى ﴾ وتوجه إلى وحدى في طلب حاجته ، أى يجب أن يدعى وحده بدون واسطة ، لأنه هو الذى خلق الانسان ، ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو الذى يجيب دعوته وحده بدون واسطة تعيينه أو تساعده ، أو تكون نائباً عنه فى الاجابة وقضاء الحاجة الخ .

وفيه أيضاً قوله تعالى ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ الآية ، الآله هو المعبود بالحق ، والحى الدائم ، والقيوم المبالع بالقيام بتدبير خلقه ، والعبادة استعباد الروح واخضاعها لسلطان غيبى لا تحيط به علماً ؛ وهذا هو معنى التأليه فى نفسه وكل ما آله البشر من جماد ونبات وحيوان وانسان فقد اعتقدوا فيه هذا السلطان الغيبى بالاستقلال أو بالتبع لآله آخر أقوى منه ساطاناً ، ومن ثمة تعددت الآلهة المنتحلة ، وكل تعظيم واحترام ودعاء ونداء يصدر عن هذا الاعتقاد فهو عبادة حقيقية ، وان كان المعبود غير آله حقيقة ؛ أى ليس له هذا السلطان الذى اعتقده العابده لا بالذات ولا بالواسطة إلى ما هو أعظم منه ، فالله الحق هو الذى يعبد

بحق وهو واحد : والآلهة التي تعبد بغير حق كثيرة جداً . وهي غير آلهة في الحقيقة . ولكن في الدعوى الباطلة التي يثيرها الوهم ، ذلك أن الانسان إذا رأى أو سمع أو توهم أن شيئاً غريباً صدر عن موجود بغير علة معروفة ولا سبب مألوف يتوهم أنه لو لم يكن له تلك السلطة العليا والقوة الغيبية لما صدر عنه ذلك ؛ حتى ان الذي يعتقدون النفع ببعض الشجر والجماد كشجرة الخنفي ونعل الكاشني بمصر يعدون عابدين لها حقيقة . والحاصل أن معنى لا إله إلا الله ، ليس في الوجود صاحب سلطة غيبية حقيقية إلا الله تعالى وحده * فن يكفر بالطاغوت * من مخلوق يعبد ورئيس يقلد وهوى يتبع * ويؤمن بالله * فلا يعبد إلا إياه ، ولا يرجو غيره ولا يخشى سواه ؛ يرجوه ويخشاه لذاته . وبما سنه من الاسباب والسنن في عباده * فقد استمسك بالعة الوثقى لا انفصام لها *

وقوله تعالى * إن الدين عند الله الاسلام ؛ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه * فاعلم أن الله تعالى شرع الدين لأمرين أصليين : احدهما تصفية الارواح وتخليص العقول من شوائب الاعتقاد بالسلطة الغيبية للمخلوقات وقدرتها على التصرف في الكائنات ، لتسلم من الخضوع والعبودية لمن هم من امثالهم ، أو لما هو دونها في استعدادها وكما لها . وثانيها اصلاح القلب بحسن القصد في جميع الاعمال ، واخلاص النية لله والناس ، فتي حصل هذان الأمران انطلقت الفطرة من قيودها العائقة لها عن بلوغ كمالها . وهذان الأمران هما روح المراد من كلمة الاسلام . وأما أعمال العبادات فانما شرعت لتربية هذا الروح الامرى في الروح

الخلقى ، ولذلك شرط فيها النية والأخلاص ، ومتى تربى سهل على صاحبه القيام بسائر التكاليف الأدبية والمدنية . وليكن آه ألف آه من غفلة الناس عن حقيقة الاسلام والدين حجبت عنها الرسوم العملية ، والتقاليد المذهبية ، والنزعات النظرية .

وقوله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله ﴾ فهذه الآية قررت وحدانية الالهية ووحدانية الربوبية فاما وحدانية الالهية فهي قوله تعالى ﴿ أن لا نعبد الا الله ﴾ وأكدته بقوله ﴿ ولا نشرك به شيئاً والاله هو المعبود الذى توله العقول فى معرفته وتدعوه وتصمد اليه لاعتقادها ان السلطة الغيبية له وحده ، وأما وحدانية الربوبية فهي قوله ﴿ ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله ﴾ فالرب هو السيد الربى الذى يطاع فيما يأمر وينهى ، والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحرير ، كما فى حديث عدى بن حاتم وحذيفة رضى الله تعالى عنهما ﴿ فان تولوا ﴾ وأعرضوا عن هذه الدعوة وأبوا الا أن يعبدوا غير الله بأخذ الشركاء الذين يسمونهم وسطاء وشفعاء . واتخاذ الارباب الذين يحلون لهم ويحرمون ﴿ فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ﴾ نعبد الله وحده مخلصين له الدين لاندعوا سواه ولا نتوجه الى غيره فى طلب نفع ولا دفع ضرر ، ولا نحل الامأحله ولا نحرّم الامأحرمه ، والاية حجة على انه لا يجوز لاحد أن يأخذ بقول احد مالم يسنده الى المعصوم يعنى فى مسائل الدين البحتة ، العبادات والحلال والحرام

وفي قوله تعالى ﴿ ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ﴾ نزلت هذه الآيات في واقعة احد وأصاب على النبي ﷺ ما أصاب ، فاي نصيب من هذا الدين للذين يجعلون امر العباد وتدير شؤون الكون لطائفة من أصحاب القبور أو الاحياء الذين يلقبون بالمشائخ والاولياء فيزعمون انهم ينصرون ويخذلون ويسعدون ويشقون ويميتون ويحيون ويفنون ويفقرون ، ويمرضون ويشفون ويفعلون كل ما يشاؤون ، هل يعدهؤلاء من أهل الاسلام ، واتباع القرآن فهل كان أهل بخارى مهتدين به عند ما كانوا يقولون ، وقد علموا بعزم روسيا على الاستيلاء على بلادهم ، ان شاه نقشبند هو حامي هذه البلاد فلن يستطيعها احد ، هل كان أهل فاس مهتدين به عند ما لجأوا الى قبر (إدريس) يستغيثونه ويستفتحون به على الفرنسيين ، هل كان المسلمون على شيء من هذا الدين عندما كانوا يستنصرون بقراءة البخارى أو يستغيثون بالاولياء في بلاد كثيرة ، أيزعمون ان تلك النزعات الوثنية تعد من الدعاء المشروع . الم يعتبروا بهذه الآية ، وما جرى على سيد البشر ﷺ .

وفي قوله تعالى ﴿ لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ تركيته ايام هي تطهيرهم من العقائد الزائفة ووساوس الوثنية وادرانها والعقائدهى أساس المكات ، فمن لم يترك عقله ويتمطهر من خرافات الوثنية وجميع العقائد الباطلة لا تتركى نفسه بالتخلى عن الاخلاق الذميمة ، والتخلى

بالمسكات الفاضله . فان الوثني من يعتقد ان وراء الاسباب الطبيعية التي ارتبطت بها المسببات منافع ترجى ومضار تخشى من بعض المخلوقات ؛ وانه يجب تعظيم هذه المخلوقات والالتجاء اليها ليومن ضررها . ويتال خيرها ، ويتقرب بها الى خالقها ، وان من يعتقد هذا يكون دائماً أسيراً الاوهام واخذاً لخرافات ؛ يخاف في موضع الامن ، ويرجو احيث يجب الحذر والخوف ، وتعمد قذارة عقله الى نفسه فتفسد أخلاقها ، وتدنس آدابها . فتزكية النفس لاتتم الا بتزكية العقل ، ولا تتم تزكية العقل الا بالتوحيد الخالص

وفي قوله تعالى ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ الآيات ؛ والشرك هو الخضوع لسلطة غيبية وراء الاسباب والسنن المعروفة في الخلق بان يرجى صاحبها ويخشى منه . وهذه السلطة لاتكون لغيره تعالى فلا يرجى غيره ولا يخشى سواه في أمر من الامور التي هي وراء الاسباب المقدورة للمخلوقين عادة . لان هذا خاص به تعالى فمن اعتقد ان غيره يشركه فيه كان مؤمناً مشركاً ﴿ وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ﴾ وأما التعطيل فهو انكار الالهية البتة ، والاشراك قد ذكر في القرآن بعض ضروبه عند مشركي العرب . وهو عبادة الاصنام باتخاذهم أولياء وشفعاء ووسطاء عند الله تعالى يقربون المتوسل بهم اليه ويقضون الحاجات عنده ، والآيات في ذلك كثيرة . والشرك أنواع وضروب أدناها ما يتبادر الى أذهان المسلمين انه العبادة لغير الله كالركوع والسجود له ، وأشدها وأقواها هو ما سماه الله تعالى دعاء وإستشفاعاً وهو التوسل

بهم الى الله وتوسطهم بينهم وبينه تعالى . فالقرآن ناطق بهذا . وهو المشهور في كتب السير والتاريخ ، فهذا المعنى هو أشد أنواع الشرك ، وأقوى مظاهره التي يتجلى فيها معناه آتم التجلي ، وهو الذي لا ينفع معه صلاة ولا صيام ولا عبادة أخرى ، ولا يخفى ان هذا الشرك قد فشى في المسلمين اليوم ؛ كالمعتقدين الغالين في البدوى ، وشيخ العرب . والدسوقي ، وغيرهم ؛ الا يحتمل التأويل (قلت وكالمعتقدين في عبد القادر الجيلانى ، وبهاء الدين النقشبند ، ومعين الدين الجشتى وغيرهم) وليس هو من الشرك الخفى الذى وردت الاحاديث بالاستعاذة منه الذى لا يكاد يسلم منه الا الصديقون .

وقد قال العلامة العارف بالله تعالى الشيخ ولى الله عبد الرحيم الدهلوى رحمه الله تعالى فى كتابه (حجة الله البالغة) يجب الايمان بان العبادة حق الله تعالى على عباده ، لانه منعم عليهم مجاز لهم بالارادة ، فاعلم ان من أعظم أنواع البر ان يعتقد الانسان بجماع قلبه بحيث لا يحتمل نقيض هذا الاعتقاد عنده ان العبادة حق الله تعالى على عباده . وانهم مطالبون بالعبادة من الله تعالى ، بمنزلة سائر ما يطالبه ذووا الحقوق من حقوقهم قال النبي ﷺ يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قال معاذ الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله تعالى ان لا يعذب من لا يشرك بالله شيئاً فمن لا يعتقد هذا فهو دهري لا تقع عبادته وان باشرها بجوارحه بموقع من قلبه ولا تفتح باباً بينه وبين ربه . وكانت عادة كسائر عاداته .

بدأ الله تعالى سورة آل عمران بقوله ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم
وانت الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ هو الذي بصوركم
في الأرحام كيف يشاء . لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴿ فالوحيدون يقولون
﴿ ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك
انت الوهاب ﴾ ﴿ وشهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً
بالقسط . لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ﴿ ان الدين عند الله الاسلام
فان حاجوك فقلت اسأمت وجهي لله ومن اتبعني ﴾
وقال عيسى عليه السلام داعياً الى توحيد الربوبية وتوحيد العبادة
﴿ ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . وما من إله إلا الله .
وان الله هو العزيز الحكيم . قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً . ولا يتخذ بعضنا ارباباً
من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ﴾
ومن علامة الشرك الايمان بالجبت والطاغوت واطاعة الرؤساء
في كل ما يأمرون به . قال الله تعالى ﴿ الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى
من الذين آمنوا سبيلاً . او تلك الذين لعنهم الله ﴾ قال الراغب في غريب
القرآن الجبت الجبس الغسل الذي لا خير فيه . ويقال لكل ما عبد من
دون الله جبت . وسمى الساحر والكاهن جبتاً . والطاغوت عبارة عن
كل متعمد . وكل معبود من دون الله ﴿ الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا
بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت

وقد أمروا ان يكفروا به . ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا * ان الانسان اذا غلبت عليه الشهوة وثورات الغضب فارتكب معصية ربما يعود ويتوب فهذا قد تناله المغفرة . واما اذا مال عن التوحيد الذى هو اساس الدين الى ضرب من ضروب الشرك فلا يغفر عنه . اكد الله للناس انه لا يغفر لاحد شركه به البتة . وقد يغفر لمن يشاء من المذنبين مادون الشرك من الذنوب فلا يعذبهم عليه . والشرك يشبه في افساده للارواح ما يصيب القلب او الدماغ من سهم نافذ او رصاصة قاتلة . فلامطمح للنجاة من العقاب عليه بخلاف ما اذا اصاب السهم في سائر الاطراف فانه يرجى البرء ذلك بان الشرك في نفسه هو منتهى فساد الارواح وسفاهة الانفس وضلال العقول فكل خيرا وحق يقارنه لا يقوى على اضعاف شروره ومفاسده . والعروج الى جوار الله تعالى بروح صاحبه فان روحه تكون في الاخرة على ما كانت في الدنيا متعلقة بشركاء يحولون بينها وبين الخلوص اليه عزوجل ، والله لا يقبل الا ما كان خالصا له ، والمذنب قد يكون في ايمانه وسريته خالصا لله عبدا له وحده ، فالعبد المملوك قد يعصى وقد يابق فلا العصيان ولا الابق يخرجانه عن كونه عبدا لسيد واحد ، واسيده ان يعاقبه وأن يعفو عنه ، ولا يغفر له أن يجعل نفسه عبدا لغيره لا قنفا ولا ميمضا ، ومن الناس من يسمون أنفسهم موحدين ، وهم يفعلون مثل ما يفعل جميع المشركين ولكنهم يفسدون في اللغة كما يفسدون في الدين فلا يسمون أعمالهم هذه عبادة . وقد يسمونها توسلا وشفاعة . ولا يسمون من يدعونهم من دون الله أو مع الله شركاء . ولكن لا يابون أن يسموهم أولياء .

وشفعاء وانما الحساب والجزاء على الحقائق لاعلى الاسماء . ولو لم يكن منهم الادعاء غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات لكفى ذلك عبادة له . وشركا بالله عز وجل فقد قال النبي ﷺ « الدعاء هو (هو العبادة) رواه ابوداود والترمذى وقال حسن صحيح . وهو يفيد حصر العبادة الحقيقية فى الدعاء وهو حصر على سبيل المبالغة . كان ماعدا الدعاء لا يعد عبادة بالنسبة اليه وهذا الحديث مثل (الحج عرفة) أى هو الركن الاعظم الذى لا يعتد بغيره عند تركه . ومن تأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء فى أكثر الآيات الواردة فى ذلك وهى كثيرة جداً يعلم كما يعلم من اختبار أحوال البشر فى عباداتهم ان الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التى يثيرها الاعتقاد الراسخ من أعماق النفس لاسيما عند الشدة، وان ماعدا الدعاء من للعبادات فى جميع الاديان فكله أو جله تعليمى تكليفى يفعل بالتكاف وبالقُدوة، وقد يكون فى الغالب خالياً عن الشعور الذى به يكون القول أو العمل عبادة وهو الشعور بالسلطة الغيبية التى هى وراء الاسباب العادية، حتى ان الادعية التعليمية فى جميع الاديان قد تكون خالية عن معنى العبادة وروحها الذى ذكرناه، فان كثيراً من الادعية الراتبة فالحافظ لها يحرك بها لسانه فى الوقت المعين وقلبه مشغول بشيء آخر ، انما العبادة جد العبادة فى الدعاء الذى يفيض على اللسان من سويداء القلب وقرارة النفس عند وقوع الخطب وشدة الكرب والشعور بشدة الحاجة الى الشيء واستعصاء الوسائل اليه وتقطع الاسباب دونه ، ذلك الدعاء الذى تسمعه

من أصحاب الحاجات وذوى الكربات عند حدوث المهمات ، وفي هيا كل العبادات ، ولدى قبور الاموات . ذلك الدعاء الذى يغشاة جلال الاخلاص ويثمل كل حرف من حروفه معنى الخشوع التام ، وتاهيلك بما يفجره هذا الخشوع . من يتابع الدعاء ، ذلك الدعاء الذى يستغله سدنه وطهيا كل ، يستثمره خدمة المقابر ، ويضن به ويدافع عنه رؤساء الاديان ، لانه أشد أركان رياستهم على العوام ، وهذا أشد أنواع الشرك ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً ﴾ فانه قد تنكب عن سبيل الرشد وبعد عن سبيل الهداية . موعلاً فى مهامة الغواية ولانه ضلال يفسد العقل ، ويجعله يخضع لعبد مثله فيطيع من لا يطاع ، ويرجو ولا موضع للرجاء ، ويخاف ولا موطن للخوف ، ويكون عبداً للاوهام اعرضة للخرافات .

وقد قال الله تعالى فى سورة المائدة ﴿ وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، وماواه النار ، وما للظالمين من انصار ، لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد ، قل أتعبدون من دون ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً ، والله هو السميع العليم ، وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم ﴾ الآية .

وفي سورة الانعام ﴿ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ، قل لا اتبع أهواءكم ، قد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين ﴾ وفيها أيضاً بعد أن عدد الله تعالى بانه فالق الحب والنوى ، ومخرج الميت من الحى ومخرج الحى من الميت وفالق الاصباح ، وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ، والنجوم علامات ، ومنزلة الامطار ومخرج الجيوب والنخيل والاعناب ، وبديع السموات والارض قال ﴿ ذلکم الله ربکم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه ، وهو على كل شىء وكيل ، ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، وإلى عاد أخاهم هوداً ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، أفلا تتقون ، قالوا أجبثنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ، فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ؛ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، قد جاءكم بينة من ربكم ﴿ الآية . وهكذا سائر الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام ، انما دعوا الناس الى توحيد الله بالعبادة .

وفي سورة الزمر ﴿ قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين ، قل انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، قل الله اعبد مخلصاً له دينى ، فاعبدوا ما شئتم من دونه ، قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، الا ذلك هو الخسران المبين ، ذلك يخوف الله به عباده ، يا عباد فاتقون ؛ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولئك ﴿١﴾

وفي سورة الجن ﴿٢﴾ وان المساجد لله فلا تدعوا مع أحداً ، وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً ، قل انما أدعو ربي ولا اشرك به أحداً ، قل انى لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ، قل انى لن يحيرنى من الله أحد ؛ ولن أجد من دونه ملتحداً ، الا بلاغا من الله ورسالاته ، ومن يعص الله ورسوله فان له نارجهم خالدين فيها أبداً ﴿٣﴾ .

وقد ذكر الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى في سورة التوبة من تفسيره ﴿٤﴾ اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم ﴿٥﴾ الاحبار جمع حبر ، وهو العالم من أهل الكتاب ، والرهبان جمع راهب ومعناه فى اللغة الخائف ، وهو عند النصارى المتبتل المنقطع للعبادة ، والرهبانية فى النصرانية بدعة ؛ كما قال الله تعالى ﴿٦﴾ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴿٧﴾ وكانت نيتهم فيها صالحية ؛ كما قال تعالى ﴿٨﴾ الا ابتغاء رضوان الله ﴿٩﴾ ذلك بان الاصل فيها تأثير مواعظ المسيح عليه السلام فى الزهد والاعراض عن لذات الدنيا ، ثم صار أكثر متحليها من الجاهلين والكسالى فكانت عبادتهم صورية اعقبتهم رياء وعجباً وغروراً بانفسهم وبتعظيم العامة لهم ولذلك قال تعالى ﴿١٠﴾ فما رعوها حق رعايتها ﴿١١﴾ ولما صارت النصرانية ذات تقاليد منظمة فى القرن الرابع وضع رؤساؤهم نظماً وقوانين للرهبانية ولعيشتهم فى الاديار ، وصار لها عندهم فرق كثيرة يشكو بعض احرارهم من مفسادهم فيها . فكان ذلك

مصداقا لقوله تعالى في سلفهم الصالحين ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾
وفي خلفهم المرأئين ﴿وَكَثِيرٍ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهذه الآية من تحرير
القرآن للحقائق في المسائل الكبيرة بعبارة وجيزة هي الحق المفيد فيها.
وقد نهى النبي ﷺ عن الرهبانية في الاسلام .

والمعنى اتخذ كل من اليهود والنصارى رؤساء الدين فيهم ارباباً
فاليهود اتخذوا اُحبارهم ، وهم علماء الدين فيهم ارباباً بما أعطوهم من حق
التشريع فيهم وأطاعوهم فيه ، والنصارى اتخذوا رهبانهم أى عبادهم
الذين يخضع العوام لهم ارباباً كذلك . والظاهر أن يكون المراد من
الاحبار والرهبان جملة رجال الدين من الفريقين ، أى من العلماء والعباد
فذكر من كل فريق ما حذف مقابله من الآخر على طريقة الاحتباك
أى اتخذ اليهود احبارهم وربانهم والنصارى قسوسهم ورهبانهم ارباباً
غير الله ، وبدون اذنه باعطائهم حق التشريع الدينى لهم وبغير ذلك مما هو
حق الرب تعالى ، وهم يتوسلون بهم ، ويتخذون لهم الصور والتمثيل في
كنائسهم ، ولكنهم لا يسمون هذا عبادة في الغالب . وأما اتخاذهم ارباباً
بالمعنى المأثور في تفسير الآية فقد كان عاماً عند الفريقين ، فان اليهود لم يقتصر وا
في دينهم على احكام التوراة بل لم يلتزموها بل اضافوا اليها من الشرائع اللسانية
عن رؤسائهم ما كان خاصاً ببعض الاحوال من قبل أن يدونوه في المشنة
والتلمود ، ثم دونوه فكان هو الشرع العام وعليه العمل عندهم . وأما النصارى
فقد نسخ رؤسائهم جميع احكام التوراة الدينية والدينيوية على إقرار
المسيح لها ، واستبدلوا بها شرائع كثيرة في العقائد والعبادات والمعاملات .

جميعاً ، وزادوا على ذلك انتحالهم حق مغفرة الذنوب من شاءوا وحرمان
من شاءوا من رحمة الله وملكوته ، وهذا حق الله تعالى وحده ﴿ ومن
يعفر الذنوب إلا الله ﴾ أى لا أحد ؛ والقول بعصمة البابا رئيس
الكنيسة فى تفسير الكتب الإلهية ووجوب طاعته فى كل ما يأمر به
من العبادات وتحريم المحرقات .

وروى الترمذى وحسنه وابن المنذر وابن أبى حاتم وابو الشيخ
وابن مردويه والبيهقى فى سننه وغيرهم عن عدى بن حاتم رضى الله تعالى
عنه قال أتيت النبى ﷺ وهو يقرأ ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا
من دون الله ﴾ فقال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا
أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه ، كذا
فى الدر المنثور ، وفى رواية دخل عدى على رسول الله ﷺ وهو يقرأ
﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ قال فقلت انهم لم
يعبدوهم ، فقال بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم
فذلك عبادتهم إياهم ، وقال رسول الله ﷺ يا عدى ماتقول ، أضررك
أن يقال الله أكبر ، فهل تعلم شيئاً أكبر من الله ، ما يضررك ، أضررك
أن يقال لا إله إلا الله فهل تعلم إلهاً غير الله ؛ ثم دعاه الى الاسلام فأسلم
وشهد شهادة الحق ، قال فلقد رأيت وجهه استبشر ، ثم قال ان اليهود
مغضوب عليهم والنصارى ضالون ؛ وهكذا قال حذيفة اليماني وابن
عباس وغيرهما رضى الله تعالى عنهم فى تفسير هذه الآية .
ولبعض المفسرين أقوال فى الآية جدرة بان تنقل بنصها لما فيها

من العبرة لاهل هذا العصر ، قال العلامة الشيخ سايبان بن عبد القوى الطوفي الحنبلى فى تفسير هذه الآية من كتابه (الاشارات الالهية ، الى المباحث الاصولية) أى ما يتعلق بصول العقائد واصول الفقه فى القرآن ، مانصه .

أما المسيح فأتخذوه رباً معبوداً بالحقيقة ، وأما الاحبار والرهبان فانما اتخذوهم أرباباً مجازاً ، لانهم أمرؤهم باشياء وطاعوهم فيه فصاروا كالارباب لهم يجمع الطاعة ، والنصارى يزعمون أن المسيح قال اتلاميذه عند صعوده عنهم ؛ ما حلتتموه فهو محلول فى السماء ، وما ربطتموه فهو مربوط فى السماء ، فمن ثم اذا أذنب أحدهم ذنباً جاء بالقربان الى البطررك أو الراهب وقال يا ابونا اغفر لنا بناء على أن خلافة المسيح مستمرة فيهم وانهم أهل الحل والعقد فى السماء والارض على ما نقلوه عن المسيح ، وهو من ابتداعاتهم فى الدين ﴿ وما أصروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً ﴾ الآية . بدليل قول المسيح ﴿ يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار ﴾

وقال الامام الرازى فى تفسيره مفاتيح الغيب ، الاكثرون من المفسرين قالوا ليس المراد من الارباب انهم اعتقدوا انهم آلهة العالم ؛ بل المراد انهم أطاعوهم فى أوامرهم ونواهيهم ، نقلت عن عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه كان نصرانياً فأتته الى رسول الله ﷺ وهو يقرأ سورة برآة فرصل الى هذه الآية ، قال فقلت لسنا نعبدهم ؛ فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله

فتستحلونه ، قات بلى ، قال فتلك عبادتهم ، وقال الربيع قلت لابي
العاليه كيف كانت تلك الربويه في بنى اسرائيل ، فقال انهم ربما وجدوا
في كتاب الله ما يخالف أقوال الاحبار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم
وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى ، ثم قال الرازي قال شيخنا
ومولانا خاتمة المحققين والمجتهدين ؛ يعنى والده عمر ضياء الدين وشيخه
محي السنه البغوى رحمها الله تعالى ؛ قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء
قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى في بعض مسائل وكانت
مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها
وبقوا ينظرون الى كالتعجب ، يعنى كيف يمكن العمل بظاهر هذه
الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها ؛ ولو تأملت حق
التأمل وجدت هذا الداء ساريا في عروق الاكثرين من أهل الدنيا انتهى .
فان قيل انه تعالى كما كفرهم بسبب انهم أطاعوا الاحبار والرهبان
فالفاسق يطيع الشيطان فوجب الحكم بكفره كما هو قول الخوارج ،
والجواب أن الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا انه لا يعظمه
لكن يلغنه ويستخف به ، أما اولئك الاتباع كانوا يقبلون قول الاحبار
والرهبان ويعظمونهم فظهر الفرق .

واعلم ان تفسير هذه الربويه ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في
تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى القول بالحلول والاتحاد ؛
وذلك الشيخ اذا كان طالباً للدنيا بعيداً عن الدين فقد يلقي اليهم أن
الامر كما يقولون ويعتقدون ، وشاهدت بعض المزورين ممن كان بعيداً

عن الدين كما كان يأمر اتباعه واصحابه بان يسجدوا له ، وكان يقول لهم انتم عبيدى ، فكان يلقي اليهم من حديث الحلول والاتحاد اشياء ، ولو خلا ببعض الحقى من اتباعه فربما ادعى الالهية ، فاذا كان هذا مشاهداً فى هذه الامة فكيف يبعد ثبوته فى الامة السالفة . وحاصل الكلام ان تلك الربوبية يحتمل ان يكون المراد منها انهم اطاعوهم فيما كانوا فيه مخالفين لحكم الله ، وان يكون المراد منها انهم قبلوا منهم انواع الكفر فكفروا بالله ، فصار ذلك جارياً مجرى انهم اتخذوهم اربابا من دون الله ، ويحتمل انهم اثبتوا فى حقهم الحلول والاتحاد وكل هذه الوجوه الاربعة مشاهد وواقع فى هذه الامة . انتهى كلام الرازى يقول محمد رشيد رحمه الله تعالى ، اننا اوردنا هذا عن هذين

المفسرين من اشهر مفسرى القرون الوسطى

وا كبر نظارها ليعتبر به مساموا هذا العصر الذين يقلدون شيوخ مذاهبيهم الموروثه بغير علم فى العبادات والحلال والحرام بدون نص من كتاب الله قطعى الدلالة اوسنة رسوله المتبعة بالعمل المتواتر ولا من حديث صحيح ظاهر الدلالة أيضا . بل فيما يخالف النصوص وكذا اصول ائمتهم ايضا . والذين يتبعون مشائخ الطرق فى بدعهم وغلوهم وضلالهم ويوجد فيهم فى هذا الزمان من هم مثل من ذكر الرازى ومن هم شر منهم . وقد بلغنى عن معاصر من الدجالين المنتحلين للتصوف فى مصر انه قال لبعض الزائرين له ممن يظن انه لا يقول بالخرافات ان مريدى واتباعى يعتقدون انى اعلم الغيب فماذا افعل وبلغنى عن رجلين لا يعرف احدهما

الأخران كلامهما رأى في المسجد الحرام احد تلاميذ هذا الدجال يقول
نويت ان أصلي ركعتين لسيدى الشيخ فلان او قال لوجه الشيخ فلان.
واما المقلدون لمنتحلي الفقه المذهبي في كل ما يقولون بأرأهم
وتقاليدهم انه حلال وحرام . وان خالف السنة ونص القرآن فهذا داء
عام فلما كنت تجد قبل هذه السنين الاخيرة في البلد الكبير احدا يخالفه
فيؤثر ما صح في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على قول مشائخ
مذهبهم الا أفرادا غير مجاهرين ونحمد الله تعالى ان رأينا تأثيراً كبيراً
لدعوتنا المسلمين الى هداية الكتاب والسنة فصار يوجد في مصر
وغيرها الوف من الناس على هذه الطريقة والهداية . ومنهم الدعاة اليها
وأولوا الجمعيات التي استتت للتعاون على نشرها .

وقال السيد صديق حسن في تفسيره (فتح البيان في مقاصد القرآن)
وفي هذه الآية ما يزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن
التقليد في دين الله . واينار ما يقوله الاسلاف على ما في الكتاب العزيز
والسنة المطهرة . فان طاعة المتمذهب لمن يقتدى بقوله ويسن بسنته
من علماء هذه الامة مع مخالفته لما جاءت به النصوص . وقامت به حجج
الله وبراهينه ونطقت له كتبه وانبيائه . هو كالتخاذ اليهود والنصارى
للاحبار والرهبان ارباباً من دون الله . للقطع باتهم لم يعبدوهم . بل اطاعوهم
وحرمو ما حرموا . وحلوا ما حلوا . وهذا هو صنيع المقلدين من هذه
الامة . وهو اشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمر بالتمر والماء بالماء
قيا عباد الله ويا اتباع محمد بن عبد الله (رسول الله) ما بالكم تركتم الكتاب

والسنة جانباً وعمدتم الى رجالهم مثلكم في تعبد الله اهلها وطلبه للعمل
منهم بما دلى عليه واقاداه فعملتم بما جاؤا به من الآراء التي تعدد بعباد
الحق ولم تعضد بعضد الدين ونصوص الكتاب والسنة بل تنادى بالبلغ
نداء وتصوت باعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه . فاعرتوها آذان صما
وقلوباً غلفاً وافهام مريضة وعقولا مهيبضة . واذهاناً كليله . وخواطر
عليلة فدعوا ارشدكم الله واياى كتبها كتبها لكم الاموات من اسلافكم :
واستبدلوا بها كتاب الله خالقكم وخالقهم ومتعبدكم ومتعبدكم . ومعبودهم
ومعبودكم . واستبدلوا باقوال من تدعونهم بائتمكم ، وما جاؤكم به من الراى
اقوال امامهم وامامكم : وقدوتهم وقدوتكم وهو الامام الاول محمد بن عبد الله
رسول الله المعصوم عليه السلام .

« دعوا كل قول عند قول محمد » فما آمن فى دينه كخاطر
اللهم هادى الضال . مرشد التائه . موضح السبيل . اهدنا الى
الحق . وارشدنا الى الصواب . وأوضح لنا منهج الهداية انتهى .
والتحقيق ان اتخاذ الارب غير اتخاذ الالهة . وانها يجتمعان
ويفترقان . فان رب العالمين هو خالقهم وصر بهم بنعمه ومدير أمورهم
يستنه الحكيمية . وشارع الدين لهم . واما الاله فهو المعبود بالفعل . اى
الذي تتوجه اليه قلوب العباد . بالاعمال النفسية والبدنية والتروك للقربة
ورجاء الثواب ومنع العقاب عن اعتقاد انه صاحب السلطان الاعلى
والقدرة على النفع والضر بالاسباب المعروفة وغير المعروفة اذ هو
مسخرها وبغيرها ان شاء ، والحقيق بالعبادة هو الرب الخالق

المدير وحده . ولكن من البشر من يترك عبادته . ومنهم من يعبد غيره معه او من دونه . وكانت العرب تتخذ اصناما تعبدوها ولكنهم لم يتخذوها اربابا . بل شهد القرآن بانهم كانوا يعتقدون ويصرحون بان الله الخالق لكل شئ هو رب كل شئ ومليكه ومدير امره . وهو يحتاج عليهم بان الرب هو الحقيقي بالعبادة وحده دون غيره فلا ينبغي لهم ان يعبدوا احداً من دونه لا بشراً ولا ملكاً ولا شيئاً سفلياً ولا علوياً . فمن اعتقد ان انسانا او ملكا او غيرها من الوجودات يخلق كما يخلق الله او يقدر على تدبير شئ من امور الخلق والتصرف فيها بقدرته الذاتية غير مقيد بسنن الله تعالى العامة في الاسباب والمسببات كأمثاله من ابناء جنسه فقد اتخذها ربا . وكذلك من اعطى اى انسان حق التشريع الدينى بوضع العبادات كالايراد المبتدعة التى تتخذ شعائر موقوتة كالفرائض . وبالتحريم الدينى الذى يتبع خوفاً من سخط الله ورجائه فى ثوابه . فقد اتخذها ربا . واما اذا دعاه فيما لا يقدر عليه المخلوقون بالله من الكسب فى دائرة السنن الكونية والاسباب الدنيوية او سجد له له او ذبح القرابين له وذكر عليها اسمه او طاف بقبره وتمسح وقبله تقربا اليه وابتغاء مرضاته وعطفه وارضائه الله عنه وتقريبه اليه زلفى كما يطوف بالكعبة ويستلم الحجر الاسود ويقبله . ولم يعتقد مع هذا انه يخلق ويرزق ويدبر امور العباد فقد اتخذها لها لاربا . فان جمع بين الامرين فهو المشرك فى الربوبية والالوهية معاً كما بينا هذا مرارا كثيرة

وقد ثبت في الآيات المحكمة القطعية الدلالة ان الله تعالى هو شارع الدين وان رسوله ﷺ هو المبلغ عنه (ان عليك الا البلاغ . ما على الرسول الا البلاغ . فانما عليك البلاغ) فهذه أنواع الحصر التي هي اقوى الدلالات وأركان الدين التي لا تثبت الا بنص كتاب الله تعالى أو بيان رسوله ﷺ لمراده منه ثلاث (١) العقائد و (٢) (العبادات المطلقة والمقيدة بالزمان أو المكان او الصفة أو العدد لكلمات الأذان . والاقامة المعدودة المشروطة فيها رفع الصوت و (٣) التحريم الديني . وما عدا ذلك من أحكام الشرع فيثبت باجتهاد الرأي فيما ليس فيه نص . ومداره على إقامة المصالح ودفع المفاسد ، ونصوص الكتاب وهدى السنة وعمل السلف الصالح وكلامهم كثير في هذا الباب . ولا سيما التحريم الديني الذي هو موضوعنا هنا ، وكونه لا يثبت الا بدليل قطعي الدلالة والرواية :
ونقل ابن مفلح عن شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية ان السلف الصالح لم يطلقوا الحرام الا على ما علم تحريمه قطعاً ، وروى الامام الشافعي في الام عن القاضي أبي يوسف رحمه الله تعالى انه قال أدركت مشائخنا من أهل العلم يكرهون في الفتيا أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام . الا ما كان في كتاب الله عز وجل بينا بلا تفسير ، قلت ان كثيراً من المؤلفين المقلدين ومن بعدهم وتبعهم العوام قالوا بجرمة كثير من الأمور حتى عسروا ما يسره الله من دينه ، وأوقعوا أنفسهم والناس في أشد الحرج بالذي نفى الله تعالى قليله وكثيره بقوله ﴿ وما جعل عليكم في الدين من

خرج ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴿ وما نقل الامام ابو يوسف وابن تيمية رحمهما الله تعالى عن السلف هو الثابت عن النبي ﷺ وأصحابه وكبار علماء التابعين وأئمة الامصار ، فاما السنة وعمل الصحابة فاقوى الحجج فيهما ما علم نصاً وعملاً من عدم تحريم الحمر والميسر تحريماً عاماً تشريعياً بآية البقرة التي تدل عليه دلالة ظنيينة بقوله تعالى ﴿ وانعما أكبر من نفعهما ﴾ بل ترك الامر فيها لاجتهاد الافراد ، فمن فهم من الآية التحريم تركهما ، ومن لم يفهم ذلك ظل على الاخذ بالاباحة إعتقاداً وعملاً أو إعتقاداً فقط كعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الذى ظل يراجع النبي ﷺ في ذلك ويدعوا الله تعالى (أن يبين لهم في الحمر بياناً شافياً) الى أن نزلت آيات المائدة القطعية الدلالة وهذا هو الاصل فان كان الامر هكذا لا تثبت الحرمة بالدليل الظنى . فبالاقتين يقولون ان قول الامام الفلانى أكرهه او لا يعجبني او لا أحبه او لا استحسنه يدل على الكراهة التحريمية مع العلم بان إجتهد العالم حجة عليه لا على غيره . وجملة القول ان الله تعالى انكر في كتابه على من يقول برأيه وفهمه هذا حلال وهذا حرام . وسماه كذاباً وسمى اتباعه شركاء . واعلم ان التحريم على العباد انما هو حق ربهم عليهم ، وكونه تشريعاً دينياً . وانما شارع الدين هو الله تعالى . فاذا انيط التشريع الدينى بغيره تعالى كان ذلك اشراكاً بنص قوله تعالى ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ .

فليتق الله تعالى من يظنون بجهلهم أن جرأتهم على تحريم ما لم يحرمه الله تعالى على عباده من كمال الدين ، وقوة اليقين ، سواء حرموا ما حرموا بأرائهم واهوائهم ، او بقياس في غير محله ، مع كونهم من غير أهله او بالنقل عن بعض مؤلفي الكتب الميتين ؛ وان كبرت القابهم ، وكذا ان كان أخذاً من نص شرعي لا يدل عليه دلالة قطعية ، على ما تقدم بيانه في الحزب والميسر ، وليتق الله من يضعون للناس الاوراد والاحزاب الكثيرة ، ويعملون لهم شعاراً كشعائر الدين المنصوصة بحملهم عليها في الاجتماعات ، واشتراكهم فيها برفع الاصوات ، او توقيتها لهم كالصلوات ، فكل ذلك حق لله وحده ؛ ولم يكن عند أكمل البشر في الدين من أهل القرون الاولى شيئاً من ذلك ، ووالله ان المأثور في كتاب الله وسنة رسوله من الاذكار والدعوات ، خير من حزب فلان وورد فلان ، وأمثال دلائل الخيرات ، فليراجعوا في كتاب الاذكار للمحدثين ، كاذكار النووي والحسن الحسني للجزري ، ففيهما ما يكفيهم من الاذكار والادعية المطلقة والمقيدة بالعبادات المختلفة ؛ وبالازمنة والامكنة وحدث الحوادث .

وقد يقول نصير للبدعة ؛ خذول للسنة ، ان هذه الاوراد والاحزاب والصلوات التي وضعها شيوخ الطريقة العارفين وكبار العلماء العاملين ، من البدع الحسنة التي جربت فائدتها ؛ وثبتت منفعتها بمواظبة الالوف من المسلمين عليها وخشوعهم بتلاوتها ؛ دون غيرها من الصلوات والاذكار والادعية المأثورة . فكيف يصح لاحد أن

يأفكم عنها ، والجواب ان كاتب هذا ممن جربوها باخلاص وحسن
اعتقاد ، وكان يبكي لقراءة ورد السحر ولا يبكي لتلاوة القرآن ؛ ثم
رفعه الله تعالى بعلم الكتاب والسنة ، فعلم ان ذلك كان من
الجهل وضعف الايمان ؛ وانه عين ما وقع لمن قبلنا من العباد والرهبان ،
واننا نكشف الغطاء عن هذه الشبهة القوية التي قد تعد عذراً للجاهل
ما ذكرنا من الآيات القرآنية وسيرة السلف الصالح المرضية ؛ دون
من تقوم عليه حجة العلم ونكتفي في ذلك ببيان الحقائق الآتية .

(١) ان الله تعالى ورسوله أعلم بما يرضيه عز وجل من عبادته ،
وما يتزكى به عابديه منها ، ولا يبيح الايمان لاحد من أهله أن يقول
أو يعتقد أن أحداً من شيوخ الطريق والاولياء يساوى علمه علم الله
تعالى أو علم رسوله ﷺ بذلك ، دع الظن بانهم يعلمون ما لا يعلم الله
ورسوله أو فوق مايعلمان من ذلك فانه أصرح في الكفر بقدر ما تدل
عليه صيغة اقول في الموضوع .

(٢) انه تعالى يقول ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فكل من
يزيد في الاسلام عبادة أو شعاراً من شعائر الدين فهو منكر لكلامه
مدع لاتمامه ، وانه أكل في الدين من محمد ﷺ وآله وصحبه رضی
الله تعالى عنهم والله در الامام مالك رحمه الله تعالى القائل من زعم أنه
يأتى في هذا الدين بما لم يأت به رسول الله ﷺ فقد زعم أن محمداً
ﷺ خان الرسالة ، والقائل لا يصلح آخر هذه الامة إلا بما صلح
به أولها .

(٣) أنه تعالى يقول ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم، ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ وكان رسول الله ﷺ يقول على المنبر وغير المنبر «وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» وقد بين العلماء المحققون أن هذه القضية الكلية عامة في الامور الدينية المحضة كالعبادات كما مر مراراً، وان البدعة التي تنقسم الى حسنة وسيئة هي البدعة اللغوية التي موضوعها المصالح العامة من دينية ودنيوية كوسائل الجهاد وتأليف الكتب وبناء المدارس والمستشفيات وتنوير المساجد .

ان قيل أن هذه الزيادة التي اتى بها الصالحون هي من المشروع باطلاقات الكتاب والسنة العامة، كقوله تعالى ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً، وصلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ فلا تنافي ما تقدم، قلنا في الجواب .
(٤) أن حقيقة الاتباع المأمور به أن يلتزم اطلاق ما اطلقته النصوص من الكتاب والسنة وتقييد ما قيده ؛ ولذلك قال الفقهاء : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . كما في المنهاج (قال المعصومي وكذا في رد المحتار لابن عابدين الشامي) وما ذلك الا أنها قيدتا بعدد معين وكيفة مخصوصة وزمن مخصوص . وهذا حق الشارع لا المكلف . والا فهما من الصلاة التي هي أفضل العبادات . وقد فصل هذا الموضوع الامام الشاطبي في كتابه الاعتصام .

(٥) أن الزيادة على المشروع في العبادة كالنقص منه ، وان التكلف والبالغ في المشروع منها غلو في الدين ، وهو مذموم شرعا بالاجماع ؛ وصح عن النبي ﷺ النهي عنه ، والامر بالمستطاع منه .

(٦) أن الزيادة لا تتحقق كونها زيادة الا مع الاتيان بالاصل ، فمن ترك شيئاً من المأثور المشروع واتى بشئ من هذه العبادات المبتدعة فهو مفضل له على ماشرعه الله تعالى أرسله رسول الله ﷺ . وكفى بذلك ضلالاً واتباعاً للهوى ، ولا يمكن لأحد أن يدعى أنه يأتي بشئ منها الا بعد اتيانه بجميع ما صح في الكتاب والسنة في ذلك وأكثر المتعبدين بهذه الاوراد والاحزاب لا يعنون بحفظ المأثور ولا يعلمونه الا قليلاً من المشهور بين العامة كالوارد عقب الصلوات ، وهم يبتدعون فيه بالاجتماع له ورفع الصوت به . كما بينه الشاطبي وسماه البدعة الاضافية .
ورد بحق على من تساهل فيه من المتفهمة .

(٧) أن هذه الاوراد والاحزاب لا يخلو شئ منها فيما أطلعنا عليه من أمور منكورة في الشرع ، وأمور لا يجوز فعلها إلا بتوقيف منه كوصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسول الله ﷺ ، أو القسم عليه بخلقه أو بحقوقهم عليه بدون اذنه ، أو القسم بغيره ، وقد سماه الرسول ﷺ شركاً . وكذا وصف رسوله ﷺ بما لا يصح وصفه به ، واسناد افعال اليه لم تصح بها رواية وكذا الغلو فيه ﷺ بما لا يليق الا بربه وخالقه وخالق كل شئ ، ومنها ما هو كفر صريح ، ولبعض الدجالين صلوات واوراد فيها من هذه المنكرات ما لا يوجد في غيرها من امثالها والذين يعرفون سيرة هؤلاء الدجالين يعلمون انهم وضعوها للتجارة بالدين واكتساب المال والجاه عند العوام ، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور . زعم بعض هؤلاء الجاهلين ان المتزوج من اطرائه ﷺ

هو ادعاء الالوهية له كما فعلت النصارى ، وكل ما عدا هذا جائز . ومن هذا الجائز عندهم ما هو مخالف للقرآن كقولهم انه كان يعلم الغيب مطلقاً ومتى تقوم الساعة ، ويزعمون ان الآيات الصريحة في خلاف ذلك نزلت قبل اعلام الله له به ، جاهلين ان الآيات الخاصة بالعقائد لا تنسخ ، وان النسخ فيما يصح نسخه لا يكون الا بنص متأخر في التاريخ عن المنسوخ يبطل الاور ؛ ومنهم من يحتاج ببعض الاحاديث الموضوعة والمنكرة لترويج هذا الغلو الذي يفتن العوام ، كحديث جابر المنسوب الى عبد الرزاق في خلق النبي ﷺ قبل كل شيء من نور الله تعالى ؛ وهو ان الملائكة وغيرهم خلقوا من ذلك النور ، بل خلق منه كل شيء ، وانه ﷺ أصل هذا الوجود ؛ ومنه خلق كل موجود ؛ وقد يقال فيه من جهة المعقول ان كان ذلك النور الذي خلق منه هو ذات الله تعالى فهو كما يقول النصارى أو أقطع ؛ وان كان نورا مخلوقا و اضافته الى الله تعالى للتشريف فهو المخلوق الاول والمخلوق منه هو الثاني . وقد بينا بطلان هذا الحديث رواية ودراية وكذا ما في معناه في المجلد الثامن من المنار .

(٨) اذا بحث العالم البصير عن سبب عناية كثير من العوام بهذه

الاوراد والاحزاب والصلوات المبتدعة واثارها على التعبد بالقرآن المجيد وبالاذكار والادعية المأثورة عن النبي ﷺ مع ايمانهم بان تلاوة القرآن واذكاره وادعيته أفضل من كل شيء ، وان ما ثبت في السنة هو الذي يليها في الفضيلة ، وفي كون كل منها حقا في درجته . لا يجد بعد حقة البعث الا ما ارشدت اليه الآية الكريمة من شرك أهل الكتاب

بأخذ رؤسائهم ربابا من دون الله باعطائهم حق التشريع للعبادات والتحليل والتحریم غواً في تعظيمهم . ومضاهاة مبتدعة المسلمين لهم في ذلك كما ضا هوام من قبلهم من الوثنيين كما أنبأنا عن ذلك رسول الله ﷺ بقوله المروي في الصحيحين وغيرهما ﴿ لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ﴾ قالوا يارسول الله اليهود والنصارى ؛ قال فمن . وما قص الله علينا ما قص من كفرهم الا تحذيراً لنا من مثله ، فانت اذا بحثت عن عبادات هؤلاء النصارى من جميع الفرق تجد في أيديهم اوراداً واحزاباً كثيرة ، منظومة ومنتشورة كلها من وضع رؤسائهم ، ولكنها ممزوجة بشيء من كتب انبيائهم كصيغة ؛ الصلاة الربانية ؛ وبعض عبارات زامير عند النصارى وأنى لاهل الكتاب بسور كسور القرآن أو بادية وأذكار نبوية كالاذكار والادعية الحمديّة في وصف جلال الله وعظمته وأسمائه الحسنی ؛ وطلب أفضل ما يطلب منه تعالى من خير الآخرة والدينا ، وهل كان أهل العصر الاول من المسلمين سادة للامم كلها في فتوحهم وأحكامهم الا بهداية الكتاب والسنة ، وهل صارت الشعوب تدخل في دين الله أفواجا إلا اهتداء بهم ثم هل صارت الشعوب الاسلامية بعد ذلك الى ما صارت اليه من الذل والصغار ، وتنفير الامم عن الاسلام إلا بترك هدايتها الى البدع والالحاد ﴿ ومن يضل الله فما له من هاد ﴾

والغلاة المبتدعون لهذه الاوراد والصلوات يخدعون العوام بما

يمزجونه فيها من الآيات مع تحريفهم لها عن مواضعها التي نزلت فيها أو لاجلها ، ومن الأحاديث وكلام الأئمة والصلحاء ؛ ومنها ما هو كذب صراح ؛ وما ليس له سند يعتقد به ؛ ويردون على دعاة الكتاب والسنة بانهم لا يعظمون النبي ﷺ ، أو يكرهون تعظيمه ﷺ لانهم يقفون فيه عند الحد الشرعي ، وبانهم يكرهون الاولياء ، وينكرون مكاشفاتهم وكراماتهم ، والعوام يقبلون هذا منهم لجهلهم بعقيدة الاسلام ؛ وباجماع المسلمين على انه لا يحتاج بقول أحد معين ولا بفضله في دين الله تعالى الا رسول الله ﷺ إلا الشيعة الامامية فانهم يقولون بعصمة (١٢) رجلا من آل البيت رضی الله عنهم أيضاً .

ان في بعض كتب الصوفية كثير من المعارف والفوائد والمواعظ المؤثرة ولكن أكثرها قد أفسدت في دين هذه الامة ما لم تبلغ إلى مثله شبهات الفلاسفة وآراء مبتدعة المتكلمين ، لان هذين النوعين لا ينظر فيهما الا بعض المشتغلين بالعلم العقلي ، وأما كتب الصوفية فينظر فيها جميع طبقات الناس وان كانت أدق عبارة وأخفى إشارة من كتب الفلاسفة ، ولا شك ان خير صوفية هذه الامة السابقون الذين كانوا لا يتصوفون إلا بعد تحصيل علم الكتاب والسنة والفقه والاعتصام بالعمل على طريقة السلف كالامام الجنيد وطبقته ، ثم ظهر فيهم الغلاة ، ومن يسمون صوفية الحقائق فابتدعوا ما أنكره عليهم الأئمة حتى قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى ، من تصوف أول النهار لا يأتي آخره إلا وهو مجنون .

وأنت ترى ان الحارث المحاسبي من أجل علماء الصوفية ، وقد روى عنه الجنيد ، وكان من التمسك بالسنة بحيث لم يأخذ مما خلفه والده من المال الكثير دانقاً واحداً على شدة فقره ، وعلل ذلك بأنه لا توارث مع اختلاف الدين ، وما كان والده إلا واقفياً ، أى لا يقول أن القرآن غير مخلوق كما انه لا يقول هو مخلوق ، وقد ألف الحارث في أصول الديانات والزهد على طريق الصوفية ، فسئل الامام ابو زرعة عنه وعن كتبه ؛ فقال للسائل ، إياك وهذه الكتب بدع وضلالات ، عليك بالاثر فانك تجد فيه ما يعينك عن هذه الكتب ؛ قيل له في هذه الكتب عبرة ، فقال من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه عبرة ، هل بلغكم ان مالكا أو الثوري أو الاوزاعي أو ابو حنيفة أو الأئمة صنفوا كتباً في الخطرات والوساوس وهذه الاشياء ، هؤلاء قوم قد خالفوا أهل العلم ؛ يأتوننا صرة بالمحاسبي ، وصرة بعبد الرحيم الديبلي ، وصرة بحاتم الاصم ، ما أسرع الناس إلى البدع ، وطريقة الصوفية مبتدعة في الدين ، يشغل الناظر فيه عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

فجاء بعدهم هؤلاء القائلون بوحدة الوجود وغير ذلك من البدع المصادمة للنصوص كحى الدين ابن عربي يقول في خطبة فتوحاته .

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف

وغير هذا مما ينقض أساس التكليف ، ويصرح بان الخالق والمخلوق

واحد في الحقيقة ، وانما الاختلاف في الصورة ، ومن شعره في ديوانه .
« وما الكلب والخنزير إلا إلهنا »

فهل يجوز لمسلم أن يجعل كلامه وكلام أمثاله حجة ، و يتخذة قدوة في عقيدته وعبادته ويدعوا العامة الى ذلك ، ونحن نرى المفتونين به من المتصوفة والمتفقيين يقولون انه لايجوز النظر في أمثال هذه الكتب إلا لاهلها من العارفين برموز الصوفية و اشاراتهم الخفية مع العلم بالكتاب والسنة ، قلت ومن كان من أهل العلم والفهم وأحب أن يستفيد من كلام خيار الصوفية في الحقائق مع التزام السنة وسيرة السلف في العبادة فعليه بكتاب (مدارج السالكين) للمحقق ابن القيم شرح (منازل السائرين) لشيخ الاسلام الهروي الانصارى ، فان فيه خلاصة معارف الصوفية التي لا تخالف الكتاب والسنة مع الرد على ما خالفها .
وفي هذا الزمان لا تجد في علماء مصر حافظاً ، ولا من يصح أن يسمى محدثاً ، دع متصوفته الذين يستعوزون على اكثرهم الجهل ، ويوجد فيهم المنافقون الذين يتخذون الاجانب جواسيس ودعاة للاستعمار محتجين بشبهة الرضا بالاقدار ، وهم اكبر مصائب الاسلام في المستعمرات الفرنسية الافريقية ، ومن شيوخهم من يأخذ الرواتب المالية من حكامها ، ومن نال بعض أوسمتها الشرفية ، قلت كبعض علماء بخارى والتركستان ومشائخها ، وكذا بلاد الصين والهند وغيرها ؛ فانهم هم الذين أفسدوا الملوك والرعية وصاروا سبباً لاستيلاء الاوروبيين هناك ، وانا كنت أعرف أنفاراً منهم ، نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع

فهذا نموذج من كلام ائمة الاسلام ندعم به ما ذكرناه من الحجج والنصوص في دعوة المسلمين الى فهم القرآن والاهتداء به . وبما ورد في السنة من بيانه . والاكتفاء بعباداتها وأذكارها ، والاستغناء بها عن كل ما عداها من غير غلو ولا تعصب ولا تكلف لما لا يسهل المواظبة عليه . والتفرغ بعد ذلك الى القيام بفروض الكفايات من الدفاع عن الاسلام وتعزيزه . ودفع الاذى والاستعباد والظلم عن أهله ، وإعزاز الامة بالقوة والثروة بالطرق المشروعة المبينة على الفنون الصحيحة والنظام . وانفاقها في سبيل الله ، فهذا أفضل من تلك الاوراد التي لم تبلغ أن تكون من نوافل العبادات على ما فيها من البدع والضلالات ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قوله تعالى ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الها واحداً ﴾ دون إتخاذ الرؤساء أرباباً من دون الله تعالى ، والربوبية تستلزم الالهوية بالذات . اذ الرب هو الذي يجب أن يعبد وحده . واتخذ النصارى للمسيح رباً وإلهاً . والحال انهم ما أمروا على لسان موسى وعيسى عليهما السلام فيما جاء به عن الله تعالى الا أن يعبدوا ويطيعوا في الدين الهاً واحداً بما شرعه هو لهم وهو ربهم ورب كل شيء ، ومليكه (لا إله الا هو) هي تعليل للأمر بالعبادة له وحده بانه لا وجود لغيره في حكم الشرع ، ولا في نظر العقل ، وانما اتخذ المشركون آلهة من دونه بمحض الهوى والجهل ، اذ ظن هؤلاء الجاهلون ان لبعض المخلوقات من السلطان الغيبي والقدرة على النفع والضرر من طريق الاسباب المسخرة للخلق مثل ما لله أما بالذات أو بالواسطة عنده

تعالى والشفاعة لديه ، وهي الشفاعة الشركية المنفية بنصوص القرآن ﴿سبحانه عما يشركون﴾ أى تنزيهه عن شركهم فى الوهيته بدعاء غيره معه أو من دونه ؛ وفى ربوبيته بطاعة الرؤساء فى التشريع الدينى بدون اذنه انتهى .

قال العبد الضعيف محمد ساطان المعصومى الخجندى المكي وفقه الله تعالى لما فيه رضاه ، وإنما كثرت النقل وطولت الكلام فى هذه المسألة لكونها مهمة جداً ، ولابتلاء أكثر الناس بهذه الورطة ، فاوضحت وشرحت وبينت ما استطعت وما توفىقى الا بالله عليه توكلت واليه أئيب ، وهو حسبي ونعم الوكيل والتصير .

تكملة . نذكر هنا ماخص ما ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فى مدارج السالكين فى منازل إياك نعبد وإياك نستعين قال ان فاتحة الكتاب تتضمن المطالب العالية . والرد على جميع طوائف أهل الضلال والبدع ، وبنيت هذه السورة على الإلهية . والربوبية والرحمة ، فأياك نعبد مبنى على الإلهية وإياك نستعين على الربوبية وطلب الهداية الى صراط مستقيم بصفة الرحمة ، وما يعبد به تعالى لا يكون الا على ما يحبه ويرضاه وعبادته هي شكره وحبه وخشيته . فطرى ومعقول للعقول السليمة لسكن طريق التعبد وما يعبد به لاسيلى الى معرفته الا برسله ؛ وفى هذا بيان ان ارسال الرسل أمر مستقر فى العقول ويستحيل تعطيل العالم عنه كما يستحيل تعطيله عن الصانع ، فمن أنكر الرسول فقد أنكر المرسل ولم يؤمن به ولهذا جعل سبحانه الكفر برسله كفراً به .

ونحن محتاجون إلى الهداية التامة . وهي الموصلة إلى طريق الجنة . فمن هدى في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به . كتبه هدى هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه ، وعلى قدر ثبوت العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله تعالى لعباده في هذه الدار . يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم . وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط . فمنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كاشد الركاب ، ومنهم من يسعى سعياً ، ومنهم من يمشى مشياً ، ومنهم من يجبوا حبواً ، ومنهم المخدوش المسلم ، ومنهم المكدوش في النار . فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا حدو القذة بالقذة جزاءً وفاقاً ﴿ هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ ولينظر الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم فانها الكلاليب التي يجنبتي ذاك الصراط ، تخطفه وتعوقه عن المرور عليه . فان كثرت هنا وقويت فكذلك هي هناك ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير والسلامة من كل شر .

والله تعالى ذكر الصراط المستقيم منفرداً معرفاً تعريفين تعريفاً باللام وتعريفاً بالاضافة ، وذلك يفيد تعيينه واختصاصه وانه صراط واحد . وأما طرق أهل الغضب والضلال : فانه سبحانه يجمعها ويفردها كقوله ﴿ وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ فوحد لفظ الصراط وسبيله ، وجمع السبل المخالفة له . وقال ابن :

مسعود رضى الله تعالى عنه خط لنا رسول الله ﷺ خطأ وقال « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره وقال « هذه سبيل وعلى كل سبيل شيطان يدعو اليه » ثم قرأ قوله تعالى ﴿ وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد . وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه . لا يصل إليه أحد الا من هذه الطريقة . ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب . فالطرق عليهم مسدودة والابواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد . فانه متصل بالله موصل إلى الله . قال الله تعالى ﴿ هذا صراط على مستقيم ﴾ أى صراط موصل إلى .

ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمراً أكثر الناس ناكبون عنه ، مرید لسلوك طريق مرافقه فيها فى غاية العزّة ، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد وعلى الانس بالرفيق . نبه الله سبحانه على الرفيق فى هذه الطريق . وانهم هم الذين انعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، فاضاف الصراط إلى الرفقاء السالكين له ، وهم الذين انعم الله عليهم ايزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشته تفردّه عن أهل زمانه وبنى جنسه . وليعلم أن رفيقه فى هذا الصراط هم الذين انعم الله عليهم ، فلا يكثرث بمخالفة الناكبين عنه له . فانهم هم الاقلون قدراً ، وان كانوا الاكثرين عدداً . كما قال بعض السلف عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلّة السالكين ، واياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين وكلما استوحشت فى تفردك فانظر

إلى الرفيق السابق وأحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عن سواهم فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً . وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم ، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك .

وقد ضربت لك مثلين فليكونا منك على بال . المثل الأول : رجل خرج من بيته إلى الصلاة لا يريد غيرها فعرض له في طريقه شيطان من شياطين الانس فالتقى عليه كلاماً يؤذيه فوقف فرد عليه وتماسكاً فربما كان شيطان الانس أقوى منه فقهر ومنعه عن الوصول إلى المسجد حتى فاتته الصلاة . وربما كان الرجل أقوى من ذلك الشيطان ولكن اشتغل بها وشتته عن الصف الأول وكال ادراك الجماعة . فان التفت إليه اطعمه في نفسه وربما قترت عزيمته . فان كان له معرفة وعلم زاد في السعى والجزم بقدر التفاته أو أكثر . فان اعرض عنه واشتغل بما هو بصدده وخاف فوت الصلاة أو الوقت لم يبلغ عدوه منه ما يشاء . (الثاني) الظبي أشد سعياً من الكلب ولكنه إذا أحس به التفت إليه فيضعف سعیه فيدركه الكلب فيأخذه . والقصد أن في ذكر هذا الرفيق ما يزيل وحشة التفرد . ويحث على السير والتشمير للحاق بهم .

وهذه الهدى القوائد في دعاء القنوت ﴿ اللهم اهدني فيمن هديت ﴾ أي ادخني في هذه الزمرة واجعلني رفيقاً لهم ومعهم . والفائدة الثانية : أنه توسل إلى الله بنعمه واحسانه إلى من انعم عليه بالهداية . أي قد أنعمت بالهداية على من هديت . وكان ذلك نعمة منك ؛ فاجعل لي نصيباً من هذه النعمة ؛ واجعلني واحداً من هؤلاء المنعم عليهم ، فهو توسل إلى الله

باحسانه . والفائدة الثالثة : كما يقول السائل للكريم ، تصدق عليّ في جملة من تصدقت عليه وعلمني في جملة من علمته ؛ واحسن إلى في جملة من شملتة باحسانك .

ولما كان سؤال الهداية الى الصراط المستقيم اجل المطالب ، ونيله أشرف المواهب ، علم الله عباده كيفية سؤاله وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده . ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم . فهاتان وسيلتان الى مطلوبهم توسل اليه باسمائه وصفاته ، وتوسل اليه بعبوديته . وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء . ويؤيدها الوسيلتان المذكورتان في حديثي الاسم الاعظم اللذين رواهما ابن حبان في صحيحه والامام احمد والترمذي — احدهما — حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال سمع النبي ﷺ رجلا يدعو ويقول « اللهم اني أسألك بانى أشهد أنك الله الذى لا اله الا أنت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » فقال والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الاعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى » قال الترمذي حديث صحيح .

فهذا توسل الى الله بتوحيده وشهادة الداعى له بالوحدانية وثبوت صفاته المدلول عليها باسم الصمد . وهو كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما العالم الذى كمل علمه ؛ القادر الذى كملت قدرته ، والسيد الذى قد كمل فيه جميع أنواع السوود وقال سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه هو الكامل فى جميع صفاته وأفعاله وأعماله . وينفى التمثيل والتشبيه عنه بقوله ﴿ ولم يكن له كفواً احد ﴾ وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة ، والتوسل

بالإيمان بذلك والشهادة به هو الاسم الأعظم . والثاني حديث أنس رضى
الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو « اللهم انى أسألك
بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض ذا الجلال
والاكرام يا حي يا قيوم » . فقال لقد سألت الله باسمه الأعظم ، فهذا توسل
اليه بأسمائه وصفاته ، وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين وهما التوسل بالحمد
والثناء عليه وتمجيده ، والتوسل اليه بعبوديته وتوحيده ، ثم جاء سؤال
أهم للمطالب وانجح الرغائب وهو الهداية بعد الوسيلتين ؛ فالداعى به
حقيق بالاجابة .

ونظير هذا دعاء النبي ﷺ الذى كان يدعو به اذا قام يصلى من
الليل ، رواه البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس رضى الله
عنهما ؛ اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن . ولك
الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق
ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبىون حق
والساعة حق ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليت توكلت .
واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت
وما أسررت وما أعلنت . أنت الهى لا اله الا أنت . فذكر للتوسل اليه
بحمده والثناء عليه وبعبوديته له ثم سأله المغفرة .

والفاتحة مشتملة على شفايين . شفاء القلوب وشفاء الابدان فاما اشتمالها
على شفاء القلوب فانها اشتملت عليه أتم اشتمال ، فان مدار اعتلال القلوب
وأسقامتها على أصلين ؛ فساد العلم وفساد القصد . ويترتب عليها دا

قاتلان، وهما الضلال والغضب. فالضلال نتيجة فساد العلم والغضب نتيجة فساد القصد وهذان المرضان هما ملاك امراض القلوب جميعها، فهداية الصراط المستقيم تتضمن الشفاء من مرض الضلال، ولهذا كان سؤال هذه الهداية افرض دعاء على كل عبد وأوجبه عليه كل يوم وليلة في كل صلاة لشدة ضرورته وفاقته الى الهداية المطلوبة، ولا يقوم غير هذا السؤال مقامه، والتحقيق بآياك نعبدو وآياك نستعين علما ومعرفة وعملا وحالا يتضمن الشفاء من مرض فساد القلب والقصد فان فساد القصد، يتعلق بالغايات والوسائل فمن طلب غاية منقطعة مضمحلة فانية وتوسل اليها بأنواع الوسائل الموصل اليها كان كلانوعى قصده فاسداً، وهذا شأن كل من كان غاية مطلوبة غير الله وعبوديته من المشركين ومتبعي الشهوات الذين لا غاية لهم وراءها وأصحاب الرياسات الذين متبعين لاقامة رياستهم بأي طريق كان من حق أو باطل، فاذا جاء الحق معارضاً في طريق رياستهم طحنوه وداسوه بارجلهم، فان عجزوا عن ذلك دفعوه دفع الصائل؛ فان عجزوا عن ذلك حبسوه في الطريق وحادوا عنه إلى طريق اخرى، وهم مستعدون لدفعه حسب الامكان، فيالهم من خسارة.

وكذلك من طلب الغاية العليا والمطلب الأعلى؛ ولكن لم يتوسل اليه بالوسيلة الموصلة اليه، بل توسل اليه بوسيلة ظنها موصلة اليه، وهي من أعظم القواطع عنه، فحاله أيضاً كحال هذا وكلاهما فاسد القصد، ولا شفاء من هذا المرض إلا بدواء ﴿آياك نعبد و آياك نستعين﴾ فان هذا الداء مركب من ستة اجزاء (١) عبودية الله لا

لغيره (٢) يامر به وشرعه (٣) لا بالهوى (٤) ولا بأراء الرجال وأوضاعهم ورسومهم وأفكارهم (٥) والاستعانة على عبوديته به (٦) لا بنفس العبد وقوته وحوله ولا بغيره ، فهذه هي أجزاء ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾
فاذا ركبها الطبيب اللطيف العالم بالمرض واستعملها المريض حصل بها الشفاء التام ، وما نقص من الشفاء فهو لفوات جزء من اجزائها .

تم ان القلب يعرض له مرضان عظيمان إن لم يداركها تراميا به إلى التلف ولا بد ، وهما الرياء والكبر ، فدواء الرياء بإياك نعبد ، وداء الكبر بإياك نستعين ، فاذا عوفي من مرض الرياء بإياك نعبد ، ومن مرض الكبر والعجب بإياك نستعين ، ومن مرض الضلال والجهل باهدنا الصراط المستقيم ، عوفي من امراضه وأسقامه ، ورفل في اتواب العافية وتمت عليه النعمة ، وكان من المنعم عليهم ، غير المغضوب عليهم ؛ وهم أهل فساد القصد الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه ، والضالين وهم أهل فساد العلم الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه ، وحق لسورة تشتمل على هذين الدوائين والشفائين أن يستشفى بها من كل مرض ، ولهذا لما اشتملت على هذا الشفاء الذي هو أعظم الشفائين كان حصول الشفاء الادنى بها أولى ؛ كما سنبينه ، فلا شيء أشقى منها للقلوب التي عقلت عن الله وكلامه وفهمت عنه فهما خاصا ، وهذه السورة تبين الرد على جميع أهل البدع والضلال باوضح البيان وأحسن الطرق .
وأما تضمنها لشفاء الابدان فنذكر منه ما جاءت به السنة وما شهدت به قواعد الطب ودلت عليه التجربة ، وأما ما دلت عليه السنة في الصحيح

عن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ مروا بحى من العرب فلم يقرؤهم ولم يضيفوهم فلدغ سيد الحى فأتوهم فقالوا هل عندكم من رقية ، أو هل فيكم من راق ، فقالوا نعم ، ولكنكم لم تقرؤنا فلا نفعل حتى تجعلوا لنا جملاً ، فصالحوا على قطيع من الغنم ، فجعل رجل منا يقرأ عليه بفاتحة الكتاب ، فقام كأن لم يكن به قلبه ، فقلنا لا تعجلوا حتى نأتى النبي ﷺ فأتيناه فذكرنا له ذلك ، فقال ما يدريك انها رقية ، كلوا واضربوا لى بسهم ، فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللدغ بقراءة الفاتحة عليه فاعنته عن الدواء ، وربما بلغت من شفاؤه ما لم يبلغه الدواء ، مع كون هذا المحل غير قابل اما لكون هذا الحى غير مسلمين ، أو اهل بخل ولؤم ، فكيف إذا كان المحل قابلاً .

وأما شهادة قواعد الطب بذلك فاعلم ان اللدغة تكون من ذوات الحيات والسموم ، وهى ذوات الانفس الخبيثة التى تتكيف بكيفية غضبية تثير فيها سمية نارية يحصل بها اللدغ ، وهى متفاوتة بحسب تفاوت خبث تلك النفوس وقوتها وكيفية هذه النفوس الغضبية الخبيثة إذا اتصلت بالمحل القابل أثرت فيه ، ومنها ما يؤثر فى المحل بمجرد مقابله له وان لم يمسه ، فمنها ما يطمس البصر ويسقط الحبل ، ومن هذا نظر العائن ، فانه إذا وقع بصره على المعين حدثت فى نفسه كيفية سمية أثرت فى المعين بحسب عدم استعداده ، وكونه أعزل من السلاح فاذا قابلت النفس الزاكية العلوية الشريفة التى فيها غضب

وحمية للحق هذه النفوس الخبيثة السمية ، وتكيفت بحقائق الفاتحة
واسرارها وممانيها وما تضمنته من التوحيد والتوكل والثناء على الله
وذكر أصول اسمائه الحسنی دفعت هذه النفس بما تكيفت به من ذلك
أثر تلك النفس الخبيثة الشيطانية فحصل البرء ، فان مبنى الشفاء والبرء ،
على دفع الضد بضده ، وحفظ الشيء بمثله ، فالصحة تحفظ بالمثله
والمرض يدفع بالضد ، أسباب ربطها بمسبباتها الحكيم العليم خلقاً
وأمرأ ، ولا يتم هذا إلا بقوة من النفس الفاعلة وقبول من الطبيعة
المتفعلة فلو لم تنفعل نفس المدوغ لقبول الرقية ولم تقو نفس الراقى
على التأثير لم يحصل البرء ، فههنا أمور ثلاثة ؛ موافقة الدواء المداء ،
وبذل الطيب له وقبول طبيعة العليل ، فتي تخلف واحد منها لم يحصل
الشفاء ، وإذا اجتمعت حصل ولا بد باذن الله ؛ ومن عرف هذا كما
ينبغي تبين له أسباب الرقى ، وميز بين النافع منها وغيره ، ورقى الداء
بما يناسبه من الرقى ، وتبين له أن الرقية براقبها وقبول المحل ، كما أن
السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع والله تعالى أعلم .
وأما شهادة التجربة بذلك فهي أكثر من أن تذكر ، وذلك في كل
زمان ، وقد جربت أنا من ذلك في نفسى وفي غيرى أموراً عجيبة ،
والامر أعظم من ذلك ، ولكن بحسب قوة الايمان وصحة اليقين والله
المستعان .

قال الجامع المعصومى عنى الله تعالى عنه كما جربت انا حينما حبستنى
البلاشفة اللادينية ، وحكمت على بالاعدام فنجانى الله تعالى بفضله ،

كما ذكرت نبذة منه في مختصر ترجمة حالي الذي كنت كتبته مقدمة لتف سير
أم القرآن هذا ؛ فليراجع الطالب فانه فيه الكفاية مع عبر كثيرة ، وقد
طبع في مصر عام (١٣٥٦) .

وأما اشتمال الفاتحة على الرد على جميع المبطلين من أهل الملل والنحل
والرد على أهل البدع والضلال من هذه الامة ، وهذا يعلم بطريقتين مجمل
ومفصل ، أما المجمل فهو أن الصراط المستقيم متضمن معرفة الحق
وإيثاره وتقديمه على غيره ومحبيته والانقياد له والدعوة اليه وجهاد أعدائه
بحسب الامكان ، والحق هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضی الله
تعالى عنهم ، وما جاء به علما وعملا في باب صفات الرب سبحانه وأسمائه
وتوحيده وأمره ونهيه ووعدته ووعيده . وفي حقائق الايمان التي هي منازل
السائرين الى الله تعالى . وكل ذلك مسلم الى رسول الله ﷺ دون آراء
الرجال وأوضاعهم وأفكارهم وإصطلاحاتهم . فكل علم أو عمل أو حقيقة
أو حال أو مقام خرج من مشكاة نبوته وعليه السكة الحمضية بحيث يكون
من ضرب المدينة فهو من الصراط المستقيم ، وما لم يكن كذلك فهو من
صراط أهل الغضب والضلال .

وأما المفصل فمعرفة المذاهب الباطلة ، وإشتمال كلمات الفاتحة على
إبطالها فنقول الناس قسمان مقر بالحق تعالى وجاحده . فتضمن الفاتحة
لأثبات الخالق تعالى والرد على من جحده بأثبات ربوبيته تعالى العالمين
وتأمل حال العالم كله علوية وسفلية بجميع أجزائه تجده شاهداً بأثبات
صانعه وفاطره ومليكه ، فانكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة
إنكار العلم بوجود نفسه وجحده لافرق بينهما .

والمثبتون للخالق تعالى نوعان، أهل توحيد وأهل اشراك، وأهل
الاشراك نوعان أحدهما أهل الاشراك في ربوبيته وآلهيته كالمجوس ومن
ضاهاهم من القدرية، فانهم يثبتون مع الله خالقاً آخر وإن لم يقولوا انه
مكافئ له، فربوبيته العالم كله تبطل أقوال هؤلاء كلهم. لانها تقتضى
ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والافعال.
وقد قال تعالى ﴿ وما تشاؤون الا أن يشاء الله ﴾ وفي قوله ﴿ وإياك
نستعين ﴾ رد ظاهر عليهم اذ استعانتهم به انما تكون عن شيء هو بيده.
وتحت قدرته ومشيتته و﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ أيضاً رد عليهم فان
الهداية هي المستلزمة لحصول الاهتداء. ولولا انها بيده تعالى دونهم لما
سألوه إياها. وهي المتضمنة للارشاد والبيان والتوفيق والاقدار وجعلهم
مهتدين. وليس مطلوبهم مجرد البيان والدلالة كما ظنته القدرية. لان
هذا القدر وحده لا يوجب الهدى، ولا يتجى من الردى، وهو حاصل
لغيرهم من الكفار الذين أستحبوا العمى على الهدى وأشتروا الضلالة
بالهدى.

والنوع الثانى أهل الاشراك به فى آلهيته، وهم المقرون بانه وحده رب
كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه ربهم ورب آبائهم الاولين، ورب السموات
السبع ورب العرش العظيم، وهم مع هذا يعبدون غيره ويعدلون به سواه
فى المحبة والطاعة والتعظيم، وهم الذين اتخذوا من دون الله انداداً هؤلاء لم
يوفوا ﴿ إياك نعبد ﴾ حقه. وان كان لهم نصيب من نعبدك، ولكن
ليس لهم نصيب من ﴿ إياك نعبد ﴾ المتضمن معنى لان نعبد الا اياك حياً

وخوفاً ورجاء وطاعة وتعظيماً. فإياك نعبد لتحقيق لهذا التوحيد، وابطال للشرك في الآلهية. كما أن إياك نستعين لتحقيق لتوحيد الربوبية وابطال للشرك به. وكذلك قوله ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾ فانهم أهل التوحيد، وهم أهل تحقيق ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾. وأهل الشرك هم أهل الغضب والضلال.

واعلم أن الله تعالى قسم الناس إلى ثلاثة أقسام: منعم عليهم وهم أهل الصراط المستقيم الذين عرفوا الحق واتبعوه، ومغضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق ورفضوه، وضالون وهم الذين اخطأوه وجهلوه. فكل من كان اعرف للحق واتبع له كان أولى بالصراط المستقيم. ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم أولى بهذه الصفة من الروافض ومن شاكلهم من أهل البدع. فانه من المحال أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم جاهلوا الحق وعرفه الروافض ونحوهم. ثم أننا رأينا آثار الفريقين تدل على أهل الحق منها فرأينا أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الكفر وقلبوها بلاد الاسلام، وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى. فآثارهم تدل على انهم أهل الصراط المستقيم ورأينا الرافضة والبتدعة بالعكس في كل زمان ومكان. فانه قط ماقام للمسلمين عدو من غيرهم الا كانوا اعوانهم على الاسلام. وكم جروا على الاسلام وأهله من بلية، فإى الفريقين احق بالصراط المستقيم، وأيهم احق بالغضب والضلال ان كنتم تعلمون. ولهذا فسر السلف الصراط المستقيم وأهله بابي بكر وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم. وهو كما

فسروه فانه صراطهم الذي كانوا عليه . وهو عين صراط نبيهم ، وهم الذين
أنعم الله عليهم ، وغضب على اعدائهم وحكم لهم بالضلال .

وسر الخلق والامر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى
الى هاتين الكلمتين ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ وعليها مدار العبودية
والتوحيد ، والعبادة تجمع أصليين غاية الحب بغاية الدل والخضوع . قلت
وانما العبادة عبارة عن الاعتقاد والشعور بان للمعبود سلطة غيبية فوق
الاسباب يقدر بها على النفع والضرر . فكل دعاء وثناء أو تعظيم يصاحبه
هذا الاعتقاد والشعور فهو عبادة . ومشركوا العرب كانوا يقرون بكونه
تعالى رباً للعالمين وخالقاً لهم . وهذا هو غاية توحيدهم وهو توحيد الربوبية .
ولم يخرجوا به عن الشرك كما قال الله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله ﴾ الآيات . ولهذا يحتاج عليهم به على توحيد آلهيته . وانه
لا ينبغي أن يعبد غيره كما أنه لا خالق غيره ولا رب سواه .

والاستعانة تجمع أصليين . الثقة بالله والاعتماد عليه ، والتوكل معنى يلتئم
من اصليين ، من الثقة والاعتماد وهو حقيقة ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ وهذان
الاصلان وهو التوكل والعبادة قد ذكر في القرآن في عدة مواضع قرن بينهما
فيها هذا احدها (الثاني) قول شعيب عليه السلام ﴿ وما توفيتني إلا بالله عليه
توكلت واليه انيب ﴾ (الثالث) قوله تعالى ﴿ ولله غيب السموات
والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه ﴾ الرابع قوله تعالى
حكاية عن المؤمنين ﴿ ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ﴾
الخامس قوله تعالى ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلاً رب المشرق

والمغرب لا إله إلا هو فاتخذة وكيلا ﴿ السادس قوله تعالى ﴿ قل هو
ربي لا إله إلا هو عليه توكلت واليه انيب ﴿

وتقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على
الوسائل اذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها والاستعانة وسيلة اليها
ولان اياك نعبد متعلق بالوهيته واسمه الله ، و اياك نستعين متعلق
بربوبيته واسمه الرب . فقدم اياك نعبد على اياك نستعين كما تقدم اسم
الله على الرب في أول السورة .

اذا عرف هذا فالناس في هذين الاصلين وهما العبادة والاستعانة
اربعة اقسام اجلها وأفضلها اهل العبادة والاستعانة بالله عليها . فعبادة
الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعيتهم عليها ويوفقهم للقيام بها ولهذا كان
من أفضل ما يسأل الرب تعالى الاعانة على مرضاته ، وهو الذي علمه
النبي ﷺ لحيه معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فقال يا معاذ انى لاحبك
فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة اللهم اعنى على ذكرك وشكرك
وحسن عبادتك . فانفع الدعاء طلب العون على مرضاته وافضل المواهب
اسعافه بهذا المطلوب وجميع الادعية الماثورة مدارها على هذا وعلى دفع
ما يضاذه . وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها في ﴿ اياك نعبد و اياك
نستعين ﴿ ومقابل هؤلاء القسم الثانى وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة
به فلا عبادة ولا استعانة بل ان سأله انخدم واستعاز به فعلى حظه
وشهواته لا على مرضات ربه وحقوقه فانه سبحانه يسأله من فى السموات
والارض ، يسأله أولياؤه وأعداؤه ويمد هؤلاء وهؤلاء ، وأبغض خلقه

عدوه ابليس ومع هذا فسأله حاجة فاعطاه إياها وامتعه بها ولكن لما لم يكن عوناً له على مرضاه كانت زيادة له في شقوته وبعده عن الله وطرده عنه ، وهكذا كل من استعان به على أمر وسأله إياه ولم يكن عوناً على طاعته كان مبعداً له عن مرضاه قاطعاً له عنه ولا بد وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره ، وليعلم أن اجابة الله لسائله ليست لكرامة كل سائل عليه ، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وهي فيها هلاكه وشقوته ويكون قضاءؤها له من هوانه عليه وسقوطه من عينه ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبتة له فيمنعه حماية وصيانة وحفظاً لا بخلا وهذا انما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبتة ويمامله بلطفه فيظن بجهله أن الله لا يحبه ولا يكرمه ويراه يقضى حوائج غيره فيسيء ظنه بربه وهذا حشو قلبه ولا يشعر به والمعصوم من عصمه الله ولا يظن أن عطائه كل ما أعطى لكرامة عبده عليه . ولا منعه كل ما يمنعه له من هوان عبده عليه ، ولكن عطائه ومنعه ابتلاء وامتحان يتمحن بهما عباده ، قال الله تعالى ﴿ وما لانا بالانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرم من ، واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهاننى كلاً ﴾ أى ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته فقد اكرمته ، وما ذاك لكرامته على ، ولكنه ابتلاء منى وامتحان له ، أيشكرنى فاعطيه فوق ذلك . أم يكفرنى فاسلبه إياه واخول فيه غيره ، وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذلك من هوانه على ، ولكنه ابتلاء ومحنة وامتحان منى له أيصبر فاعطيه اضعاف اضعاف مافاته من سعة الرزق

أم يتسخط فيكون حظه السخط ، فرد الله سبحانه على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة ؛ فقال لم ابتل عبيدى بالغنى لكرامته على ، ولم ابتليه بالفقر لهوانه على ، فاخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره ، فانه يوسع على الكافر لا لكرامته ، ويقتصر على المؤمن لالاهاتته له ، وانما يكرم من يكرمه بمعرفته ومحبته وطاعته ، ويهين من يهينه بالاعراض عنه ومعصيته ، فله الحمد على هذا وهذا وهو الغنى الحميد ، فعادت سعادة الدنيا والآخرة الى ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾

والعبد لا يكون . بتحققا باياك نعبد الا باصلين عظيمين ، أحدهما متابعة الرسول ﷺ والثانى الاخلاص للمعبود ، فهذا تحقيق اياك نعبد والناس منقسمون بحسب هذين الاصلين أيضا الى أربعة اقسام أحدها أهل الاخلاص للمعبود والمتابعة وهم أهل اياك نعبد حقيقة ، فاعمالهم كلها لله وأقوالهم لله وعطاؤهم لله ومنعهم لله وحبهم لله وبغضهم لله فاعمالهم ظاهرة أو باطنا لوجه الله وحده ؛ لا يريدون بذلك جزاء من الناس ولا شكورا ولا ابتغاء الجاه عندهم ؛ ولا طلب المحمدة والمنزلة فى قلوبهم ؛ ولا هربا من ذمهم . بل قد عدوا الناس بمنزلة اصحاب القبور ، لا يملكون لهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ؛ فالعمل لاجل هؤلاء وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ورجاؤهم للنفع والضرر منهم . لا يكون من عارف بهم بالبيتته ، بل من جاهل بشأهم وجاهل بربه فمن عرف الناس انزلهم منازلهم ومن عرف الله اخلص له اعماله واقواله وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه ؛

ولا يعامل أحد الخلق دون الله الا لجهله بالله وجهله بالخلق ، والا فاذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله علي معاملتهم ؛ ويكون اعمالهم كلها وعبادتهم موافقة لامر الله ولما يحبه ويرضاه . وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه ؛ وهو الذي يلي عباده بالموت والحياة لاجله . قال الله تعالى ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا ﴾ قال الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى هو اخلاصه واصوبه . قالوا ياأبا علي ما اخلاصه واصوبه . قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ؛ واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل . حتى يكون صوابا خالصا وخالصا ما كان لله والصواب ما كانت علي السنة ، وهذا هو المذكور في قوله تعالى ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴿ فلا يقبل الله من العمل الا ما كان خالصاً لوجهه علي متابعة أمره ؛ وما عدا ذلك فهو مردود علي عامله ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » وكل عمل بلا إقتداء فانه لا يزيد عامله من الله الا بعداً ، فان الله تعالى انما يعبد بامرہ لا بالآراء والاهواء

والثاني من لا اخلاص له ولا متابعة فليس عمله موافقاً للشرع ولا هو خالصاً للمعبود ، كاعمال المتزينين للناس المرآئين لهم بما لم يشرعه الله ورسوله ، وهؤلاء هم شرار الخلق وأمقتهم الي الله عزوجل ؛ ولهم أوفر نصيب من قوله تعالى ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يمحذبوا فيسلم يفتعلوا فلا تحسبنهم يفتازة من العذاب ولهم عذاب اليم ﴾

يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك ، ويحبون أن يحمدا
باتباع السنة والاخلاص ، وهذا الضرب يكثُر فيمن انحرف من المنتسبين
الى العلم والفقر والعبادة عن الصراط المستقيم ؛ فانهم يرتكبون البدع
والضلالات والرياء والسمة ، ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوه من الاتباع
والاخلاص والعلم ، فهم أهل الضلال والغضب ،

والثالث من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الامر كجهال
العباد والمنتسبين الى طريق الزهد والفقر ، وكل من عبد الله بغير أمره
واعتقده قربة الى الله فهذه حاله ، كمن يظن ان سماع المكاء والتصدية
قربة ، وان الخلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة ؛ وان مواصلة صوم
النهارين قربة ، وأمثال ذلك

والرابع من أعماله على متابعة الامر لكنها لغير الله كطاعات
المرائين ، وكالرجل يقاتل حمية ورياء وشجاعة ويحج ليقال ويقرأ القرآن
ليقال ، فهؤلاء أعمالهم أعمال صالحة مأمور بها لكنها غير خالصة فلا
تقبل ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ فكل احد لم
يؤمر الا بعبادة الله بما أمر ، والاخلاص له في العبادة ، وهم أهل ﴿ إياك
نعبد وإياك نستعين ﴾

واعلم ان الكفر الاكبر خمسة أقسام ، كفر تكذيب وكفر إباء
وإستكبار مع التصديق . وكفر إعراض وكفر شك ، وكفر نفاق ،
فاما كفر التكذيب فهو إعتقاد كذب الرسل ، وهذا القسم قابل في
الكفار فان الله أيد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم

ما أقام به الحجة وأزال بها المعضدة قال الله تعالى عن قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) * وقال لرسوله ﷺ * فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * وان سمي هذا كفر تكذيب أيضاً فصحيح اذ هو تكذيب باللسان

وأما كفر الأبناء والاستكبار فنحو كفر ابليس فانه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالانكار ، وانما تلقاه بالاباء والاستكبار . ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول وانه جاء بالحق من عند الله ، ولم ينقل له اباء واستكباراً . وهو الغالب على كفر اعداء الرسل . كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه * أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون * وقول الامم لرسولهم * ان أنتم الا بشر مثلنا * وقوله * كذبت ثمود بطغواها * وهو كفر اليهود * فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم * وهو كفر ابي طالب أيضاً فانه صدقه ولم يشك في صدقه ولكن أخذته الحمية وتعظيم آباءه ان يرغب عن ملتهم ويشهد عليهم بالكفر .

وأما كفر الاعراض فان يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغى الى ما جاء به البتة . كما قال أحد بني ياليل للنبي ﷺ : والله أقول لك كلمة ، ان كنت صادقاً فانت أجل في عيني من ان أرد عليك ، وان كنت كاذباً فانت أحقر من ان أكلمك .

وأما كفر الشك فان لا يجزم بصدقه ولا بكذبه ، بل يشك في أمره . وهذا لا يستمر شكه الا اذا لزم نفسه الاعراض عن النظر في

آيات صدقه ﷺ جملة فلا يسمعها ولا يلتفت اليها . وأما مع التفاته اليها ونظره فيها فانه لا يبغي معه شك ، لانها مستلزمة للصدق ولا سيما بجموعها فان دلالتها على الصدق كدلالة الشمس على النهار .

وأما كفر النفاق فهو ان يظهر بلسانه الايمان وينطوى بقلبه على التكذيب ، نعوذ بالله منه ومن جميع انواع الشرك والكفر والضلال .

وكفر الجحود ونوعان : كفر مطلق عام ، ومقيد خاص ، فالمطلق ان يجحد جملة ما انزل الله وارساله الرسل ، والخاص المقيد ان يجحد فرضاً من فروض الاسلام ، أو محرماً من محرماته ، أو صفة وصف الله تعالى بها نفسه ، أو خبراً أخبر الله به ؛ عمداً أو تقديماً لقول من خالفه عليه بغرض من الأغراض . وأما جحد ذلك جهلاً أو تأويلاً يعذر فيه صاحبه ، فلا يكفر صاحبه كحديث الذي جحد قدرة الله عليه وأمر أهله ان يحرقوه ويذروه في الريح ؛ ومع هذا فما تلاقاه ان غفر الله له ورحمه بجهله ؛ اذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه لم يجحد قدرة الله على اعادته عناداً أو تكديباً .

وأما الشرك فنوعان : ا كبير واصر ، فالأ كبير لا يغفره الله الا بالتوبة منه ، وهو ان يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ولهذا قالوا لا الهتهم في النار ﴿تالله ان كنا لفي ضلال مبين﴾ ، اذ نسويكم برب العالمين ﴿مع اقرارهم بان الله وحده هو خالق كل شيء وربه ومليكه . وان آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحي ولا تميت ، وانما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم بل كلهم يحبون

معبوديهـم ويعظمونها ويوالونها من دون الله ، وكثير منهم بل اكثرهم
يحبون آلهتهم اعظم من محبة الله ؛ ويستبشرون بذكرهم اعظم من محبة
استبشارهم اذا ذكر الله وحده ، ويغضبون لمنتقص معبوديهـم وآلهتهم
من المشائخ اعظم مما يغضبون اذا انتقص أحد رب العالمين ؛ واذا
انهكت حرمة من حرمان آلهتهم ومعبوديهـم غضبوا غضب الليث
اذا حرد ، واذا انهكت حرمان الله لم يغضبوا لها ؛ وقد شاهدنا غير
مرة جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر الهه ومعبوده من دون الله على
لسانه ان قام وان قعد وان عثر وان مرض وان استوحش فذكر معبوده
والهه من دون الله هو الغالب على قلبه واسانه ؛ وهو لا ينكر ذلك ،
ويزعم انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه ؛ وهكذا كان
عباد الاصنام سواء ، وهذا هو القدر الذي قام بقلوبهم ؛ وتوارثه
المشركون بحسب اختلاف آلهتهم فأؤلئك كانت آلهتهم من الحجر .
وغيرهم اتخذوها من البشر قال الله تعالى حاكيا عن اسلاف هؤلاء
المشركين ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء . ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى . ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ﴾ والذى فى قلوب
هؤلاء المشركين وسلفهم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عين .
الشرك ، وقد انكر الله عليهم ذلك فى كتابه وابطله ؛ واخبر ان الشفاعة
كلها له ، وانه لا يشفع عنده أحد الا لمن اذن الله أن يشفع فيه ورضى
قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ؛
والشفاعة التى أثبتها الله ورسوله هى الشفاعة الصادرة عن اذنه لمن وخدم

والتي نفاها الله الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم ويفوز بها الموحدون ، فتأمل قول النبي ﷺ لابي هريرة رضى الله تعالى عنه وقد سأله ، من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله . قال أسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه كيف جعل أعظم الاسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين ان الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله ، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب ، واخر ان سبب الشفاعة تجريد التوحيد ؛ فينشد يأذن الله للشافع أن يشفع .

ومن جهل المشرك اعتقاده ان من اتخذه ولياً أو شفيعا انه يشفع له وينفعه عند الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم ، ولم يعلموا ان الله لا يشفع عنده أحد الا باذنه ، ولا يأذن في الشفاعة الا لمن رضى قوله وعمله ؛ كما قال الله تعالى في الفصل الاول ﴿ من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ﴾ وفي الفصل الثاني ﴿ ولا يشفعون الا لمن ارتضى ﴾ وبقى فصل ثالث وهو انه لا يرضى من القول والعمل الا التوحيد واتباع الرسول ؛ وعن هاتين الكلمتين يسأل الاولين والآخرين كما قال أبو العالية رحمه الله تعالى كلمتان يسأل عنها الاولون والآخرون . ماذا كنتم تعملون وماذا أجبتكم المرسلين فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاهما وعقلها .

وترى المشرك يكذب حاله وعمله لقوله فانه يقول لا نحبهم كحب

الله ولا نسويهم بالله ثم يغضب لهم ولحرماتهم اذا انتهكت اعظم مما يغضبه لله ويستبشر بذكرهم ويتبشش به لاسيما اذا ذكر عنهم ما ليس فيهم من اغاثة اللهفات وكشف الكربات وقضاء الحاجات وانهم باب بين الله وبين عباده . ترى المشرك يفرح ويسر ويمن قلبه ويهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم والمواالاة . واذا ذكرت الله وحده وجردت توحيدده لحقته وحشة وضيق وخرج قلت كما أخبر الله تعالى عن شأنهم في سورة الزمر ﴿ واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ﴾ فرماك بانك تنقص الالهة التي له وربما عاذاك رأينا والله منهم هذا عيانا ، ورمونا بعداوتهم وبعوا لنا العوائل (قال المصومى نحمد الله ان كان فى المصنف وأمثاله من الادعاء الى توحيد الله لنا اسوة . فقد رأينا ما رأينا من الابتلى) وهؤلاء يقولون تنقصتم مشائخنا وابواب حوائجنا الى الله وقالت النصرى للنبي ﷺ لما قال لهم . ان المسيح عبد الله قالوا تنقصت المسيح وعيبته وهكذا قال أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أو نانا تعبدوا تسجدوا امر بزيارتها على الوجه المشروع قالوا تنقصت اصحابها فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم وقد قطع الله تعالى الاسباب التي تعلق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله أولياء أو شفيعاً فهو ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أو هن البيوت لبيد العنكبوت ﴾ فقال تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيها من شرك وماله لهم من ظهير

ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ﴿ فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع والنفع لا يكون الا ممن فيه خصلة من هذه الاربعة اما مالك لما يريد عابده منه . فان لم يكن مالكا لكان شريكا للمالك فان لم يكن شريكا له كان معيناً له وظهيراً فان لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده فتنفى سبحانه المراتب الاربعة نفياً مترتباً متنقلاً من الاعلى الى ما دونه . فتنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها للمشرك وهي الشفاعة باذنه فكفي بهذه الآية نوراً وبرهاناً ونجاة وتجريداً للتوحيد وقطعاً لاصول الشرك ومواده لمن عقلها والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرهما ولكن اكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحتها وتضمنه له ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ولعمرك ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم او دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لاولئك ، ولكن الامر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، وهذا لانه لم يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه ، وقع فيه وأقره ؛ ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه هو الذي كان عليه اهل الجاهلية او نظيره او شر منه او دونه فينقض بذلك عرى الاسلام ، ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً والبدعة سنة والسنة بدعة ؛ ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ويبدع بتجريد

متابعة الرسول ومفارقة الاهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا ، والله المستعان .

واما الشرك الاصغر فكثير ، كيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل للرجل ، ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وانا بالله وبك ، ومالى إلا الله وانت ، وانا متوكل على الله وعليك ، ولولا انت لم يكن كذا ؛ وقد يكون هذا شركا اكبر بحسب حال قائله ومقصده ، ومن انواع الشرك سجود المرید للشيخ فانه شرك من الساجد والمسجود له ؛ ومن انواعه ركوع المتعممين بعضهم لبعض عند الملاقاة ؛ وهذا سجود في اللغة وبه فسر قوله تعالى ﴿ ادخلوا الباب سجداً ﴾ اى منحنين وإلا فلا يمكن الدخول بالجبهة على الارض ، ومن انواعه حلق الرأس للشيخ فانه تعبد لغير الله ؛ ولا يتعبد بحلق الرأس إلا في الذنك لله خاصة ، ومن انواعه التوبة للشيخ فانه شرك عظيم فان التوبة لا تكون إلا لله كالصلاة والصيام والحج والذنك فهي خالص حق الله ، وفي المسند ان النبي ﷺ أتى بأسير فقال اللهم انى اتوب اليك ولا اتوب إلى محمد . فقال النبي ﷺ عرف الحق لاهله ، فالتوبة عبادة لا تنبغى إلا لله كالسجود والصيام ، ومن انواعه النذر لغير الله فانه شرك ؛ وهو أعظم من الحلف بغير الله ؛ ومن انواعه الخوف من غير الله والتموكل على غير الله والعمل لغير الله والاناة والخضوع والذل لغير الله ؛ وابتغاء الرزق من عند غيره .

ومن انواعه طلب الحوائج من الموتى والاستعانة بهم والتوجه

اليهم ، وهذا اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فضلاً لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله ان يشفع له إلى الله فيها ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده ؛ فانه لا يقدر ان يشفع له عند الله إلا باذنه ، والله لم يجعل استعانته سؤاله سبباً لاذنه ، إنما السبب لاذنه كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن . وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها ، وهذه حالة كل مشرك ، والميت محتاج الى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له ، كما أوصانا النبي ﷺ اذا زرنا قبور المسلمين أن تترحم عليهم ونسأل العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزارهم زيارة عبادة وإستقضاء الحوائج ؛ الاستعانة بهم ، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد وسموا قصدها حجاً ، وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان وما اكثر المستجيبيين لهم .

وأما النفاق فالداء العضال الباطني الذي يكون الرجل مملئاً منه وهو لا يشعر ، فانه أمر خفي على الناس . وكثيراً ما يخفى على من تابس به فيزعم انه مصلح وهو مفسد . وهو نوعان أكبر وأصغر فالأكبر يوجب الخلود في النار في دركها الاسفل ، وهو أن يظهر للمسلمين ايمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهو في الباطن منسلخ من ذلك مكذب به ، وقد هتك الله تعالى أستار المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن ، وجلى لعباده أمورهم ليكونوا عنها وعن أهلها على حذر . وذكر

طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة المؤمنين والكفار والمنافقين
فذكر في المؤمنين أربع آيات ، وفي الكفار آيتين ، وفي المنافقين ثلاث
عشرة آية لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم . وشدة فتنهم على الاسلام
وأهله : فان بلية الاسلام بهم شديدة جداً . فانهم منسوبون اليه ، الى
نصرته ومواليته وهم أعداؤه في الحقيقة يخرجون عداوته في كل قالب
يظن الجاهل انه علم واصلاح ، وهو غاية الجهل والافساد انتهى ملخصاً
ما ذكره ابن القيم في منازل السائرین .

قال الجامع المعصومي حفظه الله تعالى ورزقه حسن الخاتمة ، انما
أكثرنا الكلام في شأن ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ لانه أهم ما بعث
به المرسلون عموماً . وسيدنا محمد ﷺ خصوصاً . وفيه قد زلت الافكار
وأشتبه على الاكثر حقيقته ، ولهذا زاغوا وطاقوا فضلوا وأضلوا ولذا أتينا
بما استطعنا من البيان والتوفيق والهداية من الله الوهاب . فياربنا أرنا
الحق حقاً وارزقنا اتباعه ؛ وأرنا الباطل باطلا وارزقنا إجتنابه ، فلذلك
أردف الله تعالى ذلك بالامر بطلب الهداية فها نحن نطلب من الله تعالى الهداية
انى الصراط المستقيم ﴿ صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

قال الله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت
عليهم ﴾ أى انه تعالى قد وضع لنا صراطاً سيبيده ويوضحه ويحدده ،
وتكون الصلوة في الاستقامة عليه ، والشقاء في الانحراف عنه . وهذا

الاستقامة عليه هي روح العبادة . ويشبه هذا قوله تعالى ﴿ والعصر ان
الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر ﴾ فالتواصي بالحق وبالصبر هو كمال العبادة بعد التوحيد .
والهداية لغة الدلالة بانفـظ على ما يوصل الى المطلوب وقد منح الله
تعالى الانسان أربع هدايات يتوسل بها إلى سعادته . أولها : هداية
الوجدان الطبيعي والالهام الفطري ، وتكون الاطفال منذ ولادتهم ،
فان الطفل بعد ما يولد يشعر بألم الحاجة إلى الغذاء فيصرخ طالباً بفطـرته
وعندما يصل إلى الثدي فيه يلهم امتصاصه ، الثانية هداية الحواس والمشاعر
وهي متممة للهداية الاولى في الحياة الحيوانية ، ويشارك الانسان فيها
الحيوان الاعجم ، بل هو فيها اكمل من الانسان ، فان حواس الحيوان
والهامه يكملان له بعد ولادته بقليل ، بخلاف الانسان فان ذلك يكمل فيه
بالتدرج في زمن غير قصير . الا تراه عقب الولادة لا تظهر عليه علامات
إدراك الاصوات والمرئيات . ثم بعد مدة يبصر ، ولكنه لقصر نظره
يجهل تحديد المسافات فيحسب البعيد قريباً فيمد يديه اليه ليتناول ، وان
كان قمر السماء ، ولا يزال يغاط حسه حتى في طور الكمال . الثالثة هداية
العقل ، خلق الانسان ليعيش مجتمعاً ولم يعط من الالهام والوجدان
ما يكفي مع الحس الظاهر لهذه الحياة الاجتماعية كما أعطى النحل والنمل
فان الله قد منحها من الالهام ما يكفيها لان تعيش مجتمعة يؤدي كل واحد
منها وظيفة العمل لجمعها ، ويؤدي الجميع وظيفة العمل الواحد وبذلك
قامت حياة اتواحيها كما هو مشاهد . أمّا الانسان فلم يكن من خاصة نوعه

أن يتوفر له مثل ذلك الالهام . فبإيه الله تعالى هداية هي اعلى من هداية الحس والالهام : وهي العقل الذي يصح غلط الحواس والمشاعر ويبين اسبابه . وذلك ان البصر يرى الكبير على البعيد صغيراً . ويرى العود المستقيم في الماء معوجاً . والصفراوي يذوق الحلو مرراً ، والعقل هو الذي يحكم بفساد هذه الاداك .

الرابعة هداية الدين ، قد يغلط العقل في ادراكه كما تغلط الحواس وقد يهمل الانسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعاده الشخصية والنوعية ، ويسلك بهذه الهدايات مسالك الضلال فيجعلها مسخرة لشهواته ولذاته حتى توردته موارد الهلكة ، فاذا وقعت المشاعر في مزلق الزلل واسترقت الحظوظ والاهواء العقل فصار يستنبط لها ضروب الخيل ، فكيف الانسان مع ذلك أن يعيش سعيداً ، وهذه الحظوظ والاهواء ليس لها حد يقف الانسان عنده ، وما هو بعائش وحده ، وكثيراً ما تتناول به إلى ما في يد غيره ، فهي لهذا تقتضى أن يعدو بعض أفرادها على بعض فيتنازعون ويتدافعون ويتجادلون ويتجادلون ويتواثبون ويتناهبون حتى يفنى بعضهم بعضاً . ولا تغنى عنهم تلك الهدايات شيئاً فاحتاجوا إلى هداية ترشدتهم في ظلمات اهوائهم اذا هي غلبت على عقولهم . وتبين لهم حدود أعمالهم ليقفوا عندها . ويكفوا ايديهم عما وراءها . ثم ان مما أودع في غرائز الانسان الشعور بسلطة غيبية متسلطة على الاكوان ينسب إليها بكل ما لا يعرف له سبب لانها هي الواهبة كل

موجود ما به قوام وجوده . وبإزالة حياة وراء هذه الحياة المحدودة . فهل يستطيع أن يصل بتلك الهدايا الثلاث الى تحديد ما يجب عليه لصاحب تلك السلطة الذى خلقه وسواه ووهبه هذه الهدايا وغيرها . وما فيه سعادته فى تلك الحياة الثانية . كلا انه فى أشد الحاجة الى هذه الهداية الرابعة . الدين . وقد منحه الله تعالى إياه .

أشار القرآن الى انواع الهداية التى وهبها الله تعالى للانسان فى آيات كثيرة . منها قوله تعالى ﴿ وهديناه النجدين ﴾ اى طريق السعادة والشقاوة والخير والشر . وهذه تشمل هداية الحواس الظاهرة والباطنة وهداية العقل وهداية الدين . ومنها قوله تعالى ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ اى دللناهم على طريق الخير والشر فسلكوا سبيل الشر المعبر عنه بالعمى ، وهنا هداية أخرى وهى المعبر عنها بقوله تعالى ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ ليس المراد من هذه الهداية ما سبق ذكره فالهداية فى الآيات السابقة بمعنى الدلالة وهى بمنزلة إيقاف الانسان على رؤس الطريقين : المهلك والمنجى مع بيان ما يؤذى كل منهما . وهى ما تفضل الله به على جميع أفراد البشر . وأما هذه الهداية فهى أخص من تلك . والمراد بها إعادتهم وتوفيقهم للسير فى طريق الخير والنجاة مع الدلالة : وهى لم تكن ممنوحة لكل احد كالحواس والعقل وشرع الدين :

ولما كان الانسان عرضة للخطأ والضلال فى فهم الدين . وفى استعمال الحواس والعقل كما قدمنا كان محتاجاً الى المعونة الخاصة . فامرنا الله تعالى

بطلبها منه تعالى في قوله ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ فعني إهدنا الصراط المستقيم دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك تحفظنا بهامن الضلال والخطأ . وما كان هذا أول دعاء علمنا الله تعالى إياه الا لان حاجتنا اليه اشد من حاجتنا الى كل شيء سواه

ويجاب عن التناقض الظاهري في قوله تعالى ﴿ وانك تهدي الى صراط مستقيم ﴾ وقوله تعالى ﴿ انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ فالهداية التي أثبتها النبي ﷺ هي الدلالة على الخير والحق . والتي نفاها عنه هي الثانية بمعنى الاعانة والتوفيق .

والصراط هو الطريق . والمستقيم هو ضد المعوج . وقد قالوا ان المراد بالصراط المستقيم الدين او الحق أو العدل والحدود ، ونحن نقول انه جملة ما يوصلنا الى سعادتي الدنيا والآخرة من عقائد وآداب وأحكام وتعاليم . ولكن الشهوات تتلاعب ، فلهذا صرنا محتاجا أشد الاحتياج إلى العناية الالهية الخاصة لاجل الاستقامة ، ولهذا نبهنا الله عز وجل أن نلجأ اليه ونسأله الهداية ليكون عوناً لنا بنصرنا على أهوائنا وشهواتنا ، وأن تكون استعانتنا به في ذلك لا بسواه ، بعد أن نبذل ما نستطيع من الفكر والجهاد في معرفة ما أنزل الينا من الشريعة والاحكام وأخذ أنفسنا بما نعلم من ذلك . كما في تفسير الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى . ولما طلب العبد الاستعانة بالله كأنه قيل له ما أهم ما تستعين به ، فقبل العبد ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ والهداية الدلالة بلطف ؛

والصراط المستقيم يراد به هنا الطريق الوسط ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وهم عظماء كل ملة أي سماوية وأشرفها ، أو الذين أنعمت عليهم من الأمم وهم المسلمون ، وعمدته علوم الاخلاق ؛ العفة التي هي وسط بين الوقوع في الشهوات والفسق والفجور ؛ وبين الجمود والبخل والامسك والشح ، والشجاعة التي هي الوسط بين التهور والطيش والظلم وبين الجبن والخوف والحزن والجزع ، والحكمة وهي الوسط بين الجهل والغباوة والبلادة ، وبين المكر والخداع والاحتيال والطيش في الآراء ، والعدل وهو المساواة بين هذه الامور ، وفرع العلماء على هذه الامور فروعا شتى تربو على المائة ، وكلها داخلة في الصراط المستقيم وهو الوسط ، وما جاوز الوسط فاما إلى زيادة فهو التهور والطيش والتبذير وما أشبهها ، وأما إلى النقص كالجبن والبخل والخوف وما أشبهها ، والاسلام وسط في كل ذلك ، أفاده الجوهري الطنطاوي عافاه الله .

قال العلامة ابن كثير في تفسيره الشهير ، لما تقدم الثناء على المسئول تبارك وتعالى ناسب أن يعقب بالسؤال كما قال « فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل » وهذا أكل احوال السائل ان يمدح مسئوله ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المسلمين بقوله ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ لانه أنجح للحاجة وأنجح للإجابة ، ولهذا أرشد الله اليه لانه الاكمل ، والهداية ههنا الارشاد والتوفيق ، وقد تعدي الهداية بنفسها كما هنا ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ فتضمن معنى الهمنا او وفقنا او

ارزقنا او اعطنا ﴿وهديناه النجدين﴾ أى بيناه الخير والشر، وقد تعدى
بإلى كقوله تعالى ﴿اجتباها وهداه إلى صراط مستقيم﴾ ﴿فاهدوهم
إلى صراط الجحيم﴾ وذلك بمعنى الارشاد والدلالة ؛ وكذلك قوله تعالى
﴿انك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾ وقد تعدى باللام كقول اهل
الجنة ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا﴾ أى وفقنا لهذا واجملنا له اهلا .

واما الصراط المستقيم فقد قال الامام ابو جعفر بن جرير رحمه الله
تعالى اجمت الامة من اهل التأويل جميعاً على ان الصراط المستقيم هو
الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه ؛ وذلك فى لغة جميع العرب ، واختلفت
عبارات المفسرين من السلف والخلف فى تفسير الصراط ، وان كان يرجع
حاصلها الى شىء واحد، وهو المتابعة لله ولرسوله ، فروى انه كتاب الله ،
قال ابن ابي حاتم بسنده عن على بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول
الله ﷺ الصراط المستقيم كتاب الله ، وكذلك رواه ابن جرير ، وروى أحمد
والترمذى عن على رضى الله تعالى عنه مرفوعاً ﴿وهو حبل الله المتين . وهو
الذ كر الحكيم ؛ وهو الصراط المستقيم﴾ وقيل هو الاسلام ، قال الضحاك
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال جبريل لمحمد عليهما السلام . قل
يا محمد اهدنا الصراط المستقيم . يقول الهمنا الطريق الهادي وهو دين
الله الذى لا اعوجاج فيه وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال ذاك الاسلام ؛ وعن ابن
مسعود وعن اناس من اصحاب الرسول ﷺ ﴿اهدنا الصراط المستقيم
قالوا هو الاسلام ، وقال جابر رضى الله تعالى عنه ﴿اهدنا الصراط

المستقيم ﴿ قال هو الاسلام أوسع مما بين السماء والارض وقال محمد بن الحنفية رضى الله تعالى عنه في قوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال هو دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره ، وروى الامام احمد فى مسنده بسنده عن النواس بن سيمان رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ؛ وعلى جنبتي الصراط سوران فيها ابواب مفتحة ، وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا ايها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا ، وداع يدعو من فوق الصراط ، فاذا اراد الانسان ان يفتح شيئا من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه ؛ فانك ان تفتحه تلجه ، فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والابواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله ، والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم وهكذا رواه ابن ابى حاتم والترمذى وابن جرير والنسائى جميعا باسناد حسن صحيح والله اعلم .

وقال مجاهد رحمه الله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال الحق . وهذا أشمل ، وعن ابى العالية ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال هو النبي ﷺ وصاحبا من بعده وقال عاصم فذكرت ذلك للحسن فقال صدق ابو العالية ونصح وكل هذه الاقوال صحيحة ، وهى متلازمة . فان من اتبع النبي ﷺ واقتدى بالذين من بعده أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الاسلام ، ومن اتبع الاسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين ، وصراطه المستقيم ، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا . والله الحمد .

وقال الامام الطبراني بسنده عن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال الصراط المستقيم الذى تركنا عليه رسول الله ﷺ ولهذا قال الامام أبو جعفر بن جرير: والذى هو أولى بتأويل هذه الآية عندي اعنى اهدنا الصراط المستقيم أن يكون معنياً به وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم لأن من وفق لما وفق له من انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به والانزجار عما زجره عنه ، واتباع منهاج النبي ﷺ ومنهاج الخلفاء الاربعة وكل عبد صالح ، وكل ذلك من الصراط المستقيم .

فان قيل كيف يسأل المؤمن الهداية فى كل وقت من صلاة وغيرها ، وهو متصرف بذلك . فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا ؟ فالجواب ان لا ؛ ولولا احتياجه ليلاً ونهاراً إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك ، فان العبد مفتقر فى كل ساعة وحالة إلى الله تعالى فى تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياره منها واستمراره عليها ، فان العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله ، فأرشده الله تعالى إلى أن يسأله فى كل وقت أن يمهده بالمعونة والثبات والتوفيق ، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله ، فانه تعالى قد تكفل باجابة الداعى إذا دعاه ، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر اليه آثناء الليل واطراف النهار . وقد قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ﴾ الآية . فقد أمر الذين آمنوا بالايان

وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل لأن المراد الثبات والاستمرار
والمداومة على الاعمال المعينة على ذلك . وقال تعالى آمراً لعباده المؤمنين
أن يقولوا ﴿ ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة
إنك أنت الوهاب ﴾ وقد كان الصديق رضى الله تعالى عنه يقرأ بهذه
الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سراً . فمعنى قوله
تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أى استمر بنا عليه ولا تعدل بنا
إلى غيره .

قال الامام البغوى فى تفسيره ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ اهدنا
أرشدنا . وقال علىؑ وأبى بن كعب رضى الله تعالى عنها ثبتنا ، كما يقال
للقائم قم حتى أعود اليك . أى دم على ما أنت عليه . وهذا الدعاء من
المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت ، وبمعنى طلب مزيد الهداية
لأن اللطاف والهدايات من الله تعالى لا تنتهى . الخ .

وقال العلامة ناصر الدين البيضاوى فى تفسيره : والهداية
دلالة بلطف ، وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا لا يحصيها عد ، ولكنها
تنحصر فى اجناس مترتبة ، الأول افاضة القوى التى بها يتمكن المرء
من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر
الظاهرة والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصالح
والفساد واليه اشار حيث قال ﴿ وهدينا النجدين ﴾ ﴿ واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال
الكتب واياها عنى بقوله ﴿ وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا . وان هذا القرآن

يهدى للتي هي اقوم ﴿ الرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم
الاشياء كما هي بالوحي والالهام والتمنات الصادقة وهذا قسم يختص
بنبيه الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله ﴿ اولئك الذين هدى الله
فبداهم اقتده ﴾ ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾

وان قالوا ان المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى ولكن
المتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان
المنعم عليه من جمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له
من اختل احدى قوته العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه
لقوله تعالى في القاتل عمداً ﴿ وغضب الله عليه ﴾ والمخل بالعقل جاهل
ضال لقوله تعالى ﴿ فماذا بعد الحق الا الضلال ﴾

وقال العلامة الراغب الاصفهاني في كتابه مفردات غريب القرآن
هداية الله تعالى للانسان على اربعة اوجه . الاول الهداية التي عم
بجنسها كل مكلف من العقل والفتنة والمعارف الضرورية التي اعم منها
كل شيء بقدر فيه حسب احتماله كما قال ﴿ ربنا الذي اعطى كل شيء
خلقه ثم هدى ﴾ الثاني الهداية التي جعل للناس بدعائه اياهم على السنة
الانبياء وانزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى ﴿ وجعلناهم
امة يهدون بامرنا ﴾ الثالث التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو
المعنى بقوله تعالى ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ ومن يؤمن بالله يهد
قلبه ﴿ وان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم . والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى فهدى الله

الذين امنوا . والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴿ الرابع الهداية في الآخرة الى الجنة المعنى بقوله تعالى ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ وهذه الهدايات الاربع مرتبة . فان من لم تحصل له الاولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة . ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثالث الى قبلها . ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله . ثم ينعكس فقد تحصل الاولى ولا يحصل له الثانى ولا الثالث . والانسان لا يقدر ان يهدى احداً الا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر انواع الهدايات والى الاولى اشار بقوله تعالى ﴿ وانك لتهدى الى صراط مستقيم يهدون بامرنا . ولكل قوم هاد ﴾ اى داع والى سائر الهدايات اشار بقوله تعالى ﴿ انك لا تهدي من احببت ﴾ وكل هداية ذكر الله تعالى انه منع الظالمين والكافرين فهى الهداية الثالثة . وهى التوفيق الذى يختص به المهتدون . والرابعة التى هى الثواب فى الآخرة وإدخال الجنة نحو قوله تعالى ﴿ كيف يهدى الله قوماً الى قوله : والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ وكل هداية نفاها الله تعالى عن النبي ﷺ وعن البشر وذكر انهم غير قادرين عليها فهى ما عدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق ، وذلك كاعطاء العقل والتوفيق وادخال الجنة كقوله عز وجل ﴿ ليس عليك هدام ولكن الله يهدى من يشاء ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى . وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تحرص على هدام فان الله لا يهدى من يضل ومن يضل الله فماله من هاد . ومن يهد الله فماله من مضل ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار ﴾

الكاذب الكفار هو الذى لا يقبل هدايته ؛ فمن لم يقبل هدايته لم يهده
كقولك ؛ من لم يقبل هديتى لم اهده ومن لم يقبل عطيتى لم أعطه ، ومن
رغب عنى لم ارغب فيه ، وعلى هذا النحو ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين
ولما كانت الهداية والتعليم يقتضى شيئين تعريفاً من المعرف وتعرفاً
من المعرف وبهما تم الهداية والتعليم ، فانه متى حصل البذل من الهادى والمعلم
ولم يحصل القبول صح ان يقال لم يهد ولم يعلم إعتباراً بعدم القبول .
وصح ان يقال هدى وعلم إعتباراً ببذله ؛ فاذا كان كذلك صح ان يقال
ان الله لم يهدى الكافرين والفساقين من حيث لم يحصل القبول الذى
هو تمام الهداية والتعليم ؛ وصح أن يقال هدام وعلمهم من حيث أنه
حصل البذل الذى هو مبدأ الهداية ، فعلى الاعتبار الاول صح أن يحمل
قوله تعالى ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين والكافرين ﴾ وعلى الثانى
قوله عز وجل ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ وقوله
تعالى ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ فقد قيل عنى به الهداية العامة التى هى
العقل وسنة الانبياء . وأمرنا أن نقول ذلك بالسنتنا ، وان كان قد فعل
ليعطينا بذلك ثواباً كما أمرنا أن نقول : اللهم صل على محمد ، وان كان قد
صلى عليه بقوله ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ وقيل ان ذلك دعاء
بمحافظة عن استغواء الغواية واستهواء الشهوات ، وقيل هو سؤال التوفيق
وقيل سؤال للهداية إلى الجنة فى الآخرة . وقوله تعالى ﴿ وانى لغفار
لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ثم اهتدى ﴾ ومعناه تم أدام طلب الهداية
ولم يفر عن تحريه ولم يرجع إلى المعصية . الخ .

وقد قال الله تعالى ﴿وقلنا اهبطوا منها جميعاً﴾ ، فاما يأتينكم . نى هدى
فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿ قال أبو العالية الهدى الانبياء
والرسل والبيدات والبيان . قال مقاتل بن حيان الهدى محمد ﷺ . وقال
الحسن الهدى القرآن . وهذان القولان صحيحان . وقول أبي العالية
اعم . كما افاده العلامة ابن كثير فى تفسيره .

وفى المجلد الرابع من مجموعة التوحيد النجدية : صراط الذين انعمت
عليهم ، وهم أصحاب رسول الله ﷺ وهم السابقون الأولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله تعالى عنهم ورضوا عنه وهم الذين
بأيهم اقتديتم اهتديتم .

وقال العلامة ابن تيمية فى رسالة المعجزات ، قال ابو على الجوزجاني
رحمه الله تعالى ، كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة ، فان نفسك
منجبة على طلب الكرامة ، وربك يطلب منك الاستقامة ، قال
الشيخ السهروردي فى عوارفه ، وهذا اصل عظيم كبير فى الباب ،
وسر غفل عن حقيقته كثير من اهل السلوك والطلاب .

وقال الحافظ زين الدين ابو الفرج ابن رجب الحنبلي فى كتابه ،
المحجة فى سير الدجة ، قال ذوالنون (وهو من اكابر الزاهدين) السفلة
من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه ؛ والطريق إلى الله هو سلوك
صراطه المستقيم الذى بعث الله به محمداً ﷺ وانزل به كتابه وامر
الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه ؛ وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه

الصراط المستقيم ، ما تركنا عليه محمد ﷺ فيه طرفه في الجنة ؛ وعن
يمينه طرق وعن يساره طرق فمن سلك في أحد منها انتهت به إلى
النار ، ثم قرأ ﴿ وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله ﴾ خرج بن جرير وغيره ؛ فالطريق الموصل إلى
الله واحد وهو صراطه المستقيم ؛ وبقية السبل كلها سبل الشيطان .
وقد نبه الله تعالى في أول سورة البقرة أن الكتاب الحق الذي
﴿ لا ريب فيه ﴾ وهو ﴿ هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون
الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ قال العلامة الامام الفخر الرازي في
مفاتيح الغيب ﴿ الصراط المستقيم وهو الحق وهو التوسط والاقتصاد
في الاعتقادات وفي الاعمال ، لان من توغل في التنزيه وقع في التعميطيل
وتفى الصفات ، ومن توغل في الاثبات وقع في التشبيه وإثبات الجسمية
والمكان ، فهما طرفان معوجان ؛ والصراط المستقيم الاقرار الخالي عن
التعميطيل والتشبيه ، ولان من قال أن فعل العبد كله منه فقد وقع في
القدر ، ومن قال لا فعل للعبد فقد وقع في الجبر ، وهما طرفان معوجان
والصراط المستقيم إثبات الفعل للعبد مع الاقرار بان الكل بقضاء الله ،
وأما في الاعمال فمن وقع وبالغ في الاعمال الشهوانية وقع في الفجور
ومن بالغ في تركها وقع في الجود ، والصراط المستقيم هو الوسط وهو
العفة ، وأيضاً من بالغ في الاعمال الغضبية وقع في التهور ، ومن بالغ
تركها وقع في الجبن ، والصراط المستقيم وهو الوسط وهو الشجاعة

والله عز وجل وصف الصراط المستقيم بصفتين ايجابية وسلبية. اما الايجابية فكون ذلك الصراط صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأما السلبية فهي ان تكون بخلاف. صراط الذين فسدت قواهم العملية بارتكاب الشهوات حتى استوجبوا غضب الله عليهم ، وبخلاف صراط الذين فسدت قواهم النظرية حتى ضلوا عن العقائد الحقة والمعارف اليقينية ، قال المعصومي كغالب من يعتقد أن الارواح متصرفة أو إنها عالمة للغيب ، وكن ينذر الى المشائخ أو ضرائحهم ويستمد منهم في قضاء حوائجهم كأكثر من يبتدع في الدين بدعة كمن يجهر مجنمًا بالاذكار الغنائية ، أو اداء فرض صلاة الظهر بعد اداء صلاة الجمعة احتياطا ، أو منع المرید من النفي والاثبات (لا إله إلا الله) وتلاوة القرآن وطلب العلم والتفسير والحديث في أوائل حاله ، وأمره بتكرار كلمة الجلالة مفردة (الله الله) وأمره بتصور صورة الشيخ عند الذكر والمراقبة ويسمونه مرابطة ، وأمثال ذلك .

قال بعضهم انه لما قال ﴿ اهدنا الصراط المستقيم لم يقتصر عليه بل قال ﴿ صراط الذين انعمت عليهم ﴾ وهذا يدل على ان المرید لا سبيل له الى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة الا اذا اقتدى بشيخ يهديه الى سواء السبيل ويعلمه ويجنبه عن مواقع الاغاليط والاضاليل وذلك لان النقص غالب على اكثر الخلق ؛ وعقولهم غير وافية بادراك الحق وتمييز الصواب عن الغلط ؛ فلا بد من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك الكامل فينتد يصل الي

مدارج السعادات ومعارج الكمالات .

واعلم ان أهل الدنيا فريقان ، أحدهما الذين لا يعبدون الا الله ولا يستعينون الا بالله ، ولا يطلبون الاغراض والمقاصد الا من الله ؛ والفرقة الثانية : الذين يخدمون الخلق ويستعينون بهم ويطلبون الخير منهم ، فلا جرم يقول العبد إلهي اجعلني في زمرة الفرقة الأولى وهم الذين انعمت عليهم بهذه الانوار الربانية ، ولا تجعلني من زمرة الفرقة الثانية وهم المغضوب عليهم والضالون ، وهم الفساق والكفرة فان متابعة هذه الفرقة لا تفيد الا الخسار والهلاك . كما قال ابراهيم عليه السلام ﴿ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً ﴾

وقد بين العلماء والحكماء ان في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفرط وهما مذمومان ، والحق هو الوسط ، ويتأكد ذلك بقوله تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ وذلك الوسط هو العدل والصواب فالؤمن بعد ان عرف الله بالادلة صار مؤمناً مهتدياً . أما بعد حصول هذه الحالة فلا بد من معرفة العدل الذي هو الحد بين طرفي الافراط والتفريط في الاعمال الشهوانية والغضبية وفي كيفية انفاق المال فالؤمن يطلب من الله تعالى أن يهديه إلى الصراط المستقيم الذي هو الوسط . والله تعالى يقول ﴿ وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ﴾ وقال أيضاً ﴿ وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ﴾ وذلك الصراط المستقيم هو أن يكون الانسان معرضاً عما سوى الله عز وجل مقبلاً بكلية قلبه وفكره وذكوره إلى الله فأمرنا الله تعالى ان نطلبه قائلاً

﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وللإنسان يكون أعداء وأحباب والشيطان في طرف فيتحير فيطلب عند ذلك من الله الهداية إلى الصراط المستقيم. وهو الذي لا غلظ فيه ، بل هو بين التعطيل والتشبيه والجبر والقدر والارجاء والوعيد والرفض والخروج ، والصراط المستقيم هو الاسلام ودليله القرآن ، وإنما قال الصراط ولم يقل الطريق أو السبيل وان كان معنى الكل واحداً ليكون لفظ الصراط مذكراً اصراط جهنم ، فيكون الإنسان على مزيد خوف وخشية ، واهدنا أي ثبتنا على الهداية التي وهبتها منا . ونظيره قوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي ثبتنا على الهداية . فكم من عالم وقعت له شبهة ضعيفة في خاطره فزاع وضل وانحرف عن الدين القويم والمنهج المستقيم .

انا نرى أهل العالم مختلفين في النفي والاثبات في جميع المسائل الالهية . وفي جميع مسائل النبوات وفي جميع مسائل المعاد ، والشبهات غالبية والظلمات مستوائية . ولم يصل إلى كنه الحق الا الاقل القليل وقد حصلت هذه الحالة مع استواء الكل في القول والأفكار والبحث الكثير والتأمل الشديد . فلو لاهداية الله تعالى وعنايته واعدائه ، وانه يزين الحق في عين عقل الطالب ويقبح الباطل في عينه كما قال ﴿ولكن الله يحب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ فاهدنا الصراط المستقيم اشارة إلى هذه الحالة ، ويدل أيضاً أن المبطل لا يرضى بالباطل . وإنما طلب الحق والدين المتين والقول الصحيح . فلو كان الامر باختياره (ومقتضى عقله) لوجب أن لا يقع أحد في الخطأ . ولما

وأيتنا الا كثيرين غرقوا في بحر الضلالات ؛ علمنا أن الوصول إلى الحق ليس إلا بهداية الله تعالى . ومما يقوى ذلك ان كل الملائكة والانبياء اطبقوا على ذلك . كما قال ابراهيم عليه السلام ﴿ لئن لم يهدنى ربى لا كونن من القوم الضالين ﴾

قال العلامة ولى الله الدهلوى فى كتابه حجة الله البالغة : ان من أسباب الزيع والخروج عن الصراط المستقيم التشدد ، وحقيقته اختيار عبادات شاقة لم يأمر بها الشارع كدوام الصيام والقيام والتبتل وترك الزوج . وان يلتزم السنن والآداب كالنزام الواجبات . وهو حديث نهى النبي ﷺ عبد الله بن عمر وعثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنهما عما قصدا من العبادات الشاقة وهو قوله ﷺ « لن يشاد الدين أحد إلا غلبه » فاذا صار هذا المتشدد أو المتعمق معلم قوم ورئيسهم ظنوا أن هذا أمر الشرع ورضاه . وهذا داء رهبان اليهود والنصارى . ومنها تقليد غير المعصوم ، اعنى غير النبي الذى ثبتت عصمته واعتقاد أنه على الاصابة قطعاً أو غالباً فيردوا به حديثاً صحيحاً . وهذا التقليد غير ما اتفق عليه الأئمة المرحومة ؛ فانهم اتفقوا على جواز التقليد للمجتهدين مع العلم بان المجتهد يخطئ ويصيب . فاذا ظهر حديث صحيح خلاف ما قلده ترك التقليد واتبع الحديث . ومنها خلط ملة بملة حتى لا تتميز واحدة من الاخرى ، وذلك أن يكون الانسان فى دين من الاديان تعلق بقلبه علوم تلك الاديان ، ثم يدخل فى الملة الاسلامية فيبقى ميل قلبه إلى ما تعلق به من قبل ، فيطلب لاجله وجهاً فى هذه الملة ولو ضعيفاً أو موضوعاً ، ويرى

جوز الوضع رواية الموضوع لذلك وهو قوله صلى الله عليه وسلم « لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلاً حتى نشأ فيهم المولدون وابناء سبايا الأم فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا » ومما دخل في ديننا علوم بني إسرائيل وتذكير خطباء الجاهلية وحكمة اليونان ودعوة البابليين وتاريخ الفارسيين والنجوم والكلام والرمل . وهو سر غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرئ بين يديه نسخة من التوراة ؛ وضرب عمر رضى الله تعالى عنه من كان يطلب كتب دانيال . والله أعلم .

قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومى الخجندى ثم المكي حفظه الله تعالى . ومن هذا الباب دخلت خرافات الصوفية في الاسلام . مثل رابطة صورة الشيخ والتزام الطريقة الفلانية والاستمداد من الارواح والتوجه إلى القبور وبناء القبب عليها والقاء الستور والسراج السرج لديها والنذر لها والاذكار والغنائية بضرب المزامير والطبول والنائى وامثالها . فانها لا شك من رسوم الوثنيين والمشركين والبوديين كما هو غير خفى على البصير المتأمل . واني قد شاهدت بعيني رأسى في بلاد الروس والصين والهند والتبت ان من بينت حالهم من الكفرة يفعلون ذلك . فالخذر الخذر .

والحاصل أن التبرى من الشرك وعن المشركين وعن ما ينخصهم من الاعمال والعبادات شرط صحة الاسلام الصحيح . وان تخصيص الله تعالى بالعبادة اية عبادة كانت من فرائض الايمان . فهذا هو الصراط المستقيم كما قال الله تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام أن توحيد الربوبية والالوهية

والعبادة هو الصراط المستقيم ﴿ إن الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم ﴾ سورة آل عمران .

وفيها أيضاً ، ان كل من تمسك بكتاب الله وعمل به فهو قد سلك على الصراط المستقيم ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ وفي سورة الانعام ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه . ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون . وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون قل إنني هادي ربي إلى صراط مستقيم . ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً . وما كان من المشركين . قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له . وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . قل غير الله أبغى رباً وهو رب كل شيء . ولا تكسب كل نفس إلا عليها ﴾

وفي سورة الاعراف ﴿ اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء . قليلاً ما تذكرون ﴾ ﴿ وقل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً . الذي له ملك السماوات والارض . لا إله إلا هو يحيى ويميت . فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ فحاصل ما تقرر من هذه الآيات أن الصراط المستقيم الذى نطلب من الله تعالى أن يهديننا اليه إنما هو دين الاسلام ، ودستوره

وقاونه القرآن وإمامه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . فمن اتبعه فقد هدى إلى صراط مستقيم ، ونال السعادة في الدنيا والدين ، فندستك اللهم اهدنا الصراط المستقيم آمين .

ثم بين الله تعالى ذلك الصراط وقال ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ وهذا الصراط المستقيم هو الموصل إلى الحق ، وقد أنعم الله ذلك على عباده الصالحين وأوليائه الفالحين فهداهم به إلى أعلى عليين ، وقد فسر بعضهم المنعم عليهم بالمسلمين كما فسر المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى ، ونحن نقول أن المراد من الذين أمرنا الله أن نهتدي بهدهم كما قال تعالى ﴿ فبهدهم اقتده ﴾ وهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من الامم السالفة ؛ فقد أحال الله تعالى على معلوم اجمله في الفاتحة وفصله في سائر القرآن بقدر الحاجة ، فثلاثة أرباع القرآن تقريباً قصص وتوجيه للانظار إلى الاعتبار باحوال الامم في كفرهم وإيمانهم وشقاوتهم وسعادتهم ، ولا شىء يهدى للانسان كالامثلة والوقائع ، فاذا امثلنا الامم والارشاد ونظرنا في أحوال الامم السالفة وأسباب علمهم وجهلهم وقوتهم وضعفهم وعزهم وذلمهم وغير ذلك مما يعرض للامم كان لهذا النظر اثر في انفسنا يحملنا على حسن الاسوة والافتداء باختيار تلك الامم فيما كان سبب السعادة والتمكن في الارض ، واجتناب ما كان سبب الشقاوة أو الهلاك أو الدمار ؛ ومن هنا ينجلي للعاقل شأن علم التاريخ وما فيه من الفوائد والثمرات . وتأخذه الدهشة والحيرة اذا سمع ان كثيراً من رجال الدين من امة هذا كتابها

يعادون التاريخ باسم الدين ويرغبون عنه . ويقولون انه لا حاجة اليه ولا فائدة له
وهنا سؤال وهو كيف يأمرنا الله تعالى باتباع صراط من تقدمنا
وعندنا أحكام وإرشادات لم تكن عندهم . وبذلك كانت شريعتنا أكمل
من شرائعهم وأصلح لزماننا وما بعده . والقرآن يبين لنا الجواب وهو
انه يصرح بان دين الله في جميع الامم واحد . وانما تختلف الاحكام
بالفروع التي تختلف باختلاف الزمان . وأما الاصول فلا خلاف فيها أصلاً
قال الله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ﴾ الآية ﴿ وأنا أوحينا اليك كما أوحينا
الى نوح والنبيين من بعده ﴾ الآية . فالاعتقاد بالله وبالنبوة وبترك الشر
وبعمل البر والتخلق بالاخلاق الفاضلة مستوفى للجميع . وقد أمرنا الله
تعالى بالنظر فيما كانوا عليه والاعتبار بما صاروا اليه فنقتدى بهم في القيام
على وصول الخير وهي ثلاثة . وهي الاعتقاد الصحيح ولو بالتسليم .
وعبادة الله تعالى وحده وحسن المعاملة مع الناس فهي لاخلاف فيها . كما
قرره الاستاذ الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى في تفسيره .

وقال العلامة الجوهرى الطنطاوى في تفسيره . واعلم ان المنعم عليهم
هم الانبياء وورثتهم والمخلصون من بنى آدم . وهم الذين نصبوا أنفسهم
لهداية الناس وإرشادهم . وكانهم آباء والناس أبناءهم . ويتشبهون بالله
في أفعالهم وأقوالهم . ويقودون الامم الى سبيل الرشاد . ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقال ان غاية الحكمة التشبه بالله فيعرفون
نظام العالم وحكمة الخالق ويتركون آثاراً في البرايا . ويتحملون ما ينالهم

من الآلام ، في سبيل اسعاد الامم فينالون أجرهم مرتين ؛ فهم في الآخرة
مكرمون . وفي الدنيا مذكورون بالثناء الجميل والاكرام ؛ وتشتاق اليهم
النفوس وتذكرم الاجيال ، الخ .

وقال العلامة الامام ابن كثير في تفسيره ﴿ صراط الذين أنعمت
عليهم ﴾ مفسر للصراط المستقيم ، وهو بدل منه عند النجاة والذين أنعم
الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء حيث قال ﴿ ومن يطع الله
والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى
بالله علماً ﴾ وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس رحمه الله تعالى
﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ قال هم النبيون ، وقال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما هم المؤمنون . وقال وكيع هم المسلمون وقال عبد الرحمن ابن
زيد بن أسلم رضي الله تعالى عنهم هم النبي ﷺ ومن معه ، وقول ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما أعم وأشمل ، والله أعلم .

وقال العلامة ابن القيم في زاد المعاد المنعم عليهم هم الذين شرح الله
صدرهم للاسلام ، ومن أعظم أسباب شرح الصدر التوحيد على حسب
كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه قال الله تعالى ﴿ فن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً
حرجاً كأنما يصعد في السماء ﴾ فالهدى والتوحيد من اعظم اسباب شرح
الصدر والشرك والضلال من اكبر اسباب ضيق الصدر وانحراجه
فالهدى المشرح الصدر يكون اعلم بالله ويرزق احسن الاخلاق والانابة

الى الله ومحبته بكل القلب والاقبال عليه والتنعم بعبادته رزقنا الله تعالى ذلك .

فان قيل ان كثيراً من المشركين واهل الضلال متنعمون بنعمة الدنيا فهل يعد هؤلاء ممن انعم الله عليهم ام لا فالجواب قال العلامة ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ان ما ينعم به الكفار والفساق من الرياسات والاموال في الدنيا فانما تصير نعمة حقيقية اذا لم تضر صاحبها في الآخرة ولهذا اختلف الاصحاب من العلماء هل ما ينعم به الكفار نعمة ام ليس بنعمة قال الله تعالى ﴿ يحسبون ان ما نعمة لهم من مال وبتين نساوع لهم في الخيرات بل لا يشعرون . فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء . الى مبلسون ﴾ وفي الحديث اذا رأيت الله ينعم على العبد مع اقامته على معصيته فانما هو استدراج يستدرجه فكذا ما يصدر من بعض الجهال ماصورته الكرامة وليس في الحقيقة كرامة وانما يشبه الكرامة من جهة كونها دعوة نافذة وسلطاناً قاهراً وانما الكرامة في الحقيقة ما نفعت في الآخرة او نفعت في الدنيا ولم تضر بالآخرة .

والمنعم عليهم في الحقيقة على الاطلاق هم الانبياء عليهم الصلوات والسلام . ومن جماتهم ابراهيم ويعقوب عليهما السلام فوصيتهما لاولادهما ﴿ اذ قال له ﴾ اى لابراهيم ﴿ ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب

الموت اذ قال لبيته ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك
ابراهيم واسماعيل واسحاق الهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴿ ومن يطعم
الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً . ومن احسن ديناً ممن
اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم
خليلاً ﴿ وتلك حجتنا آتينها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء
ان ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا
هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون
وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين .
واسماعيل واليسع ويونس ولوطا . وكلا فضلنا على العالمين . ومن آباؤهم
وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ، ذلك هدى
الله يهدى به من يشاء من عباده ، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون
اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفروا بها هؤلاً فقد
وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ، اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
قل لا أسألكم عليه أجراً ، ان هو الا ذكرى للعالمين ﴿ وفي سورة مريم
بعد أن ذكر الله تعالى زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم واسحاق ويعقوب
وموسى واسماعيل وإدريس عليهم السلام قال ﴿ اولئك الذين أنعم الله
عليهم من النبيين من ذرية آدم ، ومن حملنا مع نوح ، ومن ذرية ابراهيم
وإسرائيل ، ومن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً
وبكياً ، نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات ، أ

فسوق يلقون غيا . وقد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون .
والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم
حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون
والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون ﴿ وفي سورة الشورى ﴾ شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه . الله يجتبي إليه
من يشاء ويهدي إليه من ينيب . فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا
تتبع أهواءهم ﴿ وفي الباب آيات كثيرة بينت صفات المهتدين ورغبت
الناس إليها ؛ وشرحت صفات من يستحق الغضب وأهل الضلال
وحذرت عنها فيجب علينا أن نلتزم إعتقاداً وعملاً ما أمر به القرآن ،
ونقتدى بمن مدحهم من الانبياء والصديقين ، طالباً من الله الرحمن الرحيم
أن يهديننا إلى ذلك ويوفقنا لما هنالك فاللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين أنعمت عليهم من الانبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين
آمين يارب العالمين .



فصل

في صفات المهتدين وعلاماتهم

فمن صفاتهم الايمان بالله تعالى وبجميع ما جاء به النبي ﷺ من عند الله تعالى . وإقامة الصلاة في أوقاتها مع شرائطها وآدابها . وإيتاء الزكاة وبذل الاموال في سبيل الله وترويج الدين وتقوية الملة وإعانة الطلبة والايتام والمساكين * المذلل الكتاب لاريب فيه ، هدى المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . اولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون * فالمهتدون وأهل التقوى والفلاح والسعادة في الدارين هم الذين آمنوا بالله إيمانا كاملا ، وزينوا إيمانهم بإداء الصلوات وإداء الزكوات والنفقة في سبيل الله ، ويصدقون بيوم القيامة والجزاء ويخافون منه ؛ الخ . وأما الذين لم يتصفوا بهذه الصفات فاولئك هم الكافرون والمنافقون .

ومن صفاتهم أنهم يتصفون بالشكر على النعماء والصبر على المصيبة ، ولا يجزعون جزعا ؛ وإن تراكت عليهم المصائب والآلام ، كما قال الله تعالى ﴿ الدين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون . اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾

ومن صفات المهتدين الابرار والمتقين الصادقين الاخيار ؛ الايمان بالله إيمانا كاملا ، وتصديق ما جاء به النبي ﷺ والايان باليوم الآخر يوم الجزاء ، وكذا الملائكة ومنهم الكرام الكاتبين الذين يكونون مع

العبد دائماً ويكتبون كل ما صدر عنه من فعل أو قول ؛ وكذا بالكتب
والنبيين الذين أولهم آدم وآخرهم سيدنا محمد ﷺ ، ويؤتون أموالهم
المحبوبة حباً لله وطلباً لرضاه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفي الرقاب ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهودهم
ووعودهم إذا عاهدوا أو وعدوا ، ويصبرون على الضراء ، ويشكرون على
السراء ، وفي حال الملاقات عند قتال العدو في الجهاد والدفاع الشرعى ؛
لا العصبي ؛ فهذه الاوصاف هي من صفات الصادقين في إيمانهم ،
وليست منها توجيه الوجوه إلى المشرق أو المغرب والدخول في طريقة
الشيوخ الطرقية ، واستعمال السبوح ذوات العدد من الجواهر والصدف ؛
فليست داخلة في صفات المهتدين المتقين ما يفعله صوفية الزمان ومشائخه
من الاذكار الغنائية والاوراد المبتدعة وجمع المريدين حولهم ، وهم لا
ينفقون في سبيل الله للمحتاجين والايتام والعاجزين ، بل يبغضون
طلبة علوم الدين ، فقد أخبر الله تعالى عن حال أمثال هؤلاء الضالين
حيث قال كما في سورة البقرة ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون
بعهودهم إذا عاهدوا . والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس .
اولئك الذين صدقوا . وأولئك هم المتقون ﴾

ومن صفات المهتدين الايمان بجميع الانبياء بلا تفریق بين أحد منهم والتسليم لهم ولما جاؤا به ، واتباع الحق والاحتراز من الاشرار بالله في شىء من صفات الربوبية والالوهية . كما قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ﴾ وفي سورة آل عمران ﴿ قل آمننا بالله وما أنزل علينا . وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم . لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفاً . وما كان من المشركين ﴾ قال العبد الضعيف المعصومى حفظه الله تعالى ، ورزقه حسن الخاتمة فان كان من صفات المؤمنين المهتدين الايمان بجميع الانبياء والمرسلين واحترامهم واکرامهم بالصلوات والتسليمات عليهم فكذا يجب اكرام ورثتهم من الصحابة والتابعين والعلماء المجتهدين كالائمة الاربعة واضرابهم وائمة أهل الحديث رضى الله تعالى عنهم أجمعين . فالأخذ بقول البعض وترك من سواه كما يفعله غالب مقلدة المذاهب الجامدين . فانه ليس من هدى المهتدين ولا من صفات المتقين . فن هذا نشأت العداوات بين منتسبي المذاهب حتى صاروا لا يقتدون في الصلوات خلف من ليس على مذهبهم . كما شاهدنا أن الحنفى لا يقتدى خلف الامام الشافعى أو الحنبلى . وخصوصاً في صلاة الوتر في رمضان . وصنيعهم هذا كأنه انكار على رسول الله ﷺ لكون ذلك ثابتاً عن الرسول ﷺ .

ولكن غلبة التعصب أعمت القلوب والابصار . فانتبهوا يا أولى
الالباب والابصار

ومن صفات المهتدين انفاق أنفس الاموال في سبيل الله . في الخيرات
من بناء المدارس وتربية طلبة العلوم والايتام ونشر لواء الاسلام وحفظ
الشرع وصيانة حدود دار الاسلام . قال الله تعالى ﴿ لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما يحبون . وما تنفقوا من شيء فان الله به عايم ﴾ .

ومن صفات المهتدين الدعوة الى التوحيد والاعمال الخيرية والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر . وتعليم العلوم النافعة ونشرها وتسهيل سبلها
قال الله تعالى ﴿ واتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وأولئك هم المفلحون . كنتم خيرا امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . يؤمنون بالله واليوم الآخر
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات . وأولئك
من الصالحين ﴾ فمن ترك هذه الامور لا يكون من الصالحين ولا من
الفالحين ولا من المهتدين . كما كثر من نشاهده ممن في أيديهم السبع الطويلة
واصحاب العمام والجيب الواسعة الاكام ممن يدعون التصوف أو أنهم
اصحاب الطرق يتأكلون بدينهم في التكايا والزوايا وضرائح الاولياء . عصمنا
الله تعالى من شرورهم ووساوسهم ...

ومن صفات المهتدين العدل والانصاف والمعاملة مع الناس بلا
خيانة ولا اعتساف واداء الشهادات على وجهها بالقسط والخوف من الله
والتقوى بقدر المستطاع كما قال الله تعالى في سورة المائدة ﴿ يا ايها الذين

آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَن
لَّا تَعْدِلُوا . اَعْدِلُوا هُوَ اقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ . وَاتَّقُوا اللَّهَ اِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾
ومن صفات المهتدين بعد الايمان بالله والتقوى ابتغاء الوسيلة
والتشبث بكل وسائل الدفاع لاعلاء كلمة الله وحفظ الاسلام والمسلمين
وديارهم كما قال الله تعالى في سورة المائدة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل
الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون ﴿١٠٢﴾ فالظاهر من هذه الآيات التشبث
لاستعداد ما امكن من الآلات على مقتضى الحال والزمان فمن ترك
ذلك وجلس في الزوايا واشتغل بالاوراد والقصائد وتوجه الى القبور
والارواح فلا يكون من المهتدين بل يكون من الخاسرين والخاذلين
عصمنا الله تعالى من شرورهم وشؤونهم .

ومن صفات المهتدين تقوى الله تعالى في كل الحالات . واصلاح
ذات البين والسعى الى توحيد كلمة المسلمين وتأليفهم وجمعهم ورفع
النزاع بقدر المستطاع وعند ذلك يحصل الدولة ويسعد اهل الملة كما
قال الله تعالى في سورة الانفال ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّت
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ
يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا . لَهُمْ

درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا . ان الله مع الصابرين ﴿

ومن صفات المهتدين الايمان بالله والتقوى عن الشرك والكفر والمحرمات واولئك هم اولياء الله المهتدون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما قال الله تعالى في سورة يونس ﴿ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون ﴿

ومن صفات المهتدين العدل والانصاف والاحسان الى عباد الله واعانة ذى القربى والفقراء والوفاء بالعهد والوعد والاحتراز عن الفحشاء والمنكر والبغى والكذب والخيانة كما قال الله تعالى في سورة النحل ﴿ وان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون واطيعوا الله اذا اٰهتتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها . ﴿ الآية .

ومن أجمع صفات المهتدين الذين يستحقون أن يكونوا عبداً لله فينالون رضاه ويسعدون في الدنيا والآخرة ما بينه الله تعالى في سورة الفرقان ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبیتون لربهم سجداً وقياماً . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً . انها ساءت مستقراً ومقاماً . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكانت بين ذلك قواماً . والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون . ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له

العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات . وكان الله غفوراً رحيماً . ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً . والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً . والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماماً . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً . خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً ❀ .

ومن صفات المهتدين تدبر آيات الله والتأمل والتفكير في مخلوقات الله والتذكر لمعانى القرآن وما خلقه الله تعالى من المخلوقات ، وكذا صرف القوة إلى الخيرات ومصالح العبادة مع التعقل والاستبصار والنظر في أحوال العالم وأهله ؛ كما قال الله تعالى في سورة ص ❀ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب . واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار ❀

ومن صفات المهتدين وأهل الفلاح في الدنيا والآخرة بعد الإيمان بالله ورسوله إيماناً صحيحاً ، الجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله باللسان واللسان والقلم وبذل النفس والنفيس لذلك ، كما قال الله تعالى في سورة الصف ❀ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ❀ فمن ترك الجهاد في سبيل

الله بالسيف واللسان والقلم مع القدرة عليه فهو ليس من المهتدين فيكون محروماً من فضل رب العالمين ، فياخسارة من ترك ذلك وتجن ، أو خدم الكفرة والمستبدين وتجنس لهم ككثير من العلماء الدجالين ومشائخ الطرق الضالين ، فهذا تسلطت الكفرة على كثير من بلاد المسلمين فانا لله وانا اليه راجعون .

ومن صفات المهتدين الوفاء بالنذر المشروع ، والخوف من الله ومن عذاب يوم القيامة ، وإطعام الطعام للمساكين والايتام والغرباء لوجه الله تعالى ؛ كما قال الله تعالى في سورة الدهر ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ، يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ؛ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ﴾ فجملة القول ان المهتدين حقيقة والمتصفين بالاسلام والايمان الحقيقي هم الذين يخلصون إرادتهم وأعمالهم لله تعالى وحده دون من سواه . فلا يدعون ولا يرجون ولا يستغيثون ولا يتوكلون ولا يتقربون بنوع من أنواع العبادة الا الى ربهم ومليكمهم وخالقهم والقائم عليهم والمتصرف فيهم بمشيئته وإرادته ويعملون بما شرعه لهم في كتابه وسنه لهم نبيهم سيدنا محمد ﷺ من شريعته . معتصمون بحبل الله متعاونون على طاعة الله تعالى ، كذا في المجموعة النجدية .

فاهل الهداية لا يتحاسدون ولا يتباغضون ولا يتدبرون ولا يتكابرون ولا يتقاتلون الا لله تعالى وفي الله عزوجل . ويصلحون ما أفسده الناس

أولئك هم أهل الفلاح في الدارين . فנסألك اللهم أن تجعلنا منهم آمين
يارب العالمين .

وقوله تعالى ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فالمغضوب
عليهم هم الذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به والذين بلغهم شرع الله ودينه
فرفضوه ولم يتقبلوه انصرافاً عن الدليل . ورضي بما ورتوه من القيل
ووقوفاً عند التقليد وعكوفاً على هوى غير رشيد . وغضب الله عقوبته
وإنتقامه . وهذه الآية تفيد ان الطوائف ثلاث . المنعم عليهم . والمغضوب
عليهم والضالون . ولا شك ان المغضوب عليهم ضالون أيضاً . لانهم
بنبذهم الحق وراء ظهورهم قد استدبروا الغاية واستقبلوا غير وجهتها
فلا يصلون الى المطلوب ، ولا يهتدون الى مرغوب ، ولكن فرقاً بين من
عرف الحق فاعرض عنه على علم ، وبين من لم يظهر له الحق فهو تائه بين
الطرق لا يهتدى الى الجادة فيها وهم من لم تبلغهم الرسالة ، او بلغتهم على
وجه لم يتبين لهم فيه الحق فهؤلاء هم أحق باسم الضالين ، فان الضال
حقيقة هو التائه الواقع في عماية لا يهتدى معها الى المطلوب . والعماية في
الدين هي الشبهات التي تلبس الحق بالباطل ويشبه الصواب بالخطأ .

والضالون أقسام . منهم من بلغتهم الرسالة وصدقوا بها بدین نظر
في أدلتها ولا وقوف على أصولها . فاتبعوا أهواءهم في فهم ما جاءت الرسالة
به في أصول العقائد . وهؤلاء هم المبتدعة في كل دين . ومنهم المبتدعون
في دين الاسلام . وهم المنحرفون في إعتقادهم عما نزل عليه جملة القرآن
وما كان عليه السلف الصالح وأهل الصدر الاول . ففرقوا الامة الى

مشارب ومذاهب وطرق . فمن جملة آثارهم في الناس أن يأتي الرجل الى
دوائر القضاء فيستحلف بالله العظيم . أو بالمصحف الكريم وهو كلام
الله القديم انه ما فعل كذا . فيحلف وعلامة الكذب بادية على وجهه
فيأتيه المستحلف من طريق آخر . ويحمله على الحلف بشيخ من
المشايخ الذين يعتقد بهم الولاية فيتغفر لونه وتضطرب اركانه . ثم يرجع في
اليته ويقول الحق ويقرباً أنه فعل ما حلف عليه اولاً أنه لم يفعله تكريماً للاسم ذلك
الشيخ وخوفاً منه ان يسلب عنه نعمة أو يحل به نقمة اذا حلف باسمه كاذباً . فهذا
ضلال في أصول العقيدة يرجع الى الضلال في الاعتقاد بالله . وما يجب له من
الوحدانية في الافعال . ولو أردنا ان نسرده ما وقع فيه المسلمون من الضلال
في العقيدة الاصلية بسبب البدع التي عرضت على دين الاسلام لطال المقال
واحتيج الى مجلدات في وجوه الضلال . ومن أشنعها أترا وأشدّها ضرراً
خوض رؤساء الدين والفرق منهم في مسائل القضاء والقدر والاختيار
والجبر . وتحقيق الوعد والوعيد . وتهوين مخالفة الله تعالى على نفوس العبيد
ومن جملة الضلال جعل المذاهب أصلاً . والقرآن هو الذي يحمل
عليها ويرجع بالتأويل والتحريف اليها كما جرى عليه المخدولون وتاه فيه
الضالون . والحق الواجب ان يكون القرآن أصلاً تحمل عليه المذاهب
والآراء في الدين فما وافق فمقبول وما خالفه فردود .

ومن جملة الضلال الضلال في الاعمال وتحريف الاحكام عما وضعت له
كالخطأ في فهم معنى الصلاة والصيام وجميع العبادات . والخطأ في فهم
الاحكام التي جاءت في المعاملات . ولنضرب لذلك مثلاً الاحتيال في الزكاة

بتحويل المال الى ملك الغير قبل حلول الحول . ثم استرداده بعدمضى قليل من الحول الثاني حتى لا تجب الزكاة فيه . وظن المحتمل أنه بحيلته قد خاص من اداء الفريضة ونجا من غضب من لا تخفى عليه خافية ولا يعلم أنه بذلك قد هدم ركناً من أركان دينه وجاء بعمل من يعتقد ان الله تعالى قد فرض فرضاً وشرع بجانب ذلك الفرض ما يذهب به ويمحو أثره . وهو محال عليه جل شأنه وكل قسم من هذه الضلالات يظهر أثرها في الامم فتختل قوي الادراك فيها وتفسد الاخلاق وتطرب الاعمال . ويحل بها الشقاء عقوبة من الله عز وجل لا بد من نزولها بهم . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً . وبعد حلول الضعف ونزول البلاء بأمة من الامم من المعلمات والدلائل على غضب الله تعالى عليها لما أحدثتها في عقائدها واعمالها مما يخالف سنته ولا يتبع فيه سنته ولهذا علمنا الله تعالى كيف ندعوه بان يهدينا طريق الذين ظهرت نعمته تعالى عليهم بالوقوف عند حدوده . وتقويم العقول والاعمال بفهم ما هدا بنا اليه وان يجنبنا طرق أو تلك الذين ظهرت فيهم آثار نعمته بالانحراف عن شرائعه . سواء كان ذلك عمداً وعناداً أو غواية وجهلاً اذا ضلت الاممة سبيل الحق . ولعب الباطل باهوائها ففسدت اخلاقها واعتلت أعمالها وقعت في الشقاء لا محالة ، وسخط الله عليها من يمتثلها ويستأثر بشئونها ، ولا يؤخر لها العذاب الى يوم الحساب كأهل بلغار وقوقاز وتوركستان الروسى والصينى وبخارا والاندلس والجزائر والمغرب وغيرها ، وان كانت ستلاقي نصيبها منه ايضاً ، واذا تمادى بها الغى وصل بها الى الهلاك وحى أثره

من الوجود ، ولهذا علمنا الله تعالى النظر والاعتبار في احوال من سبقنا ، واما في الافراد فلم تجر سنة الله بلزوم العقوبة لكل ضال في هذه الحياة الدنيا ، فقد يستدرج الضال من حيث لا يعلم ، ويدركه الموت قبل أن تزول النعمة عنه وانما يلتقى جزاءه ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا . والامر يومئذ لله ﴾ كما أفاده الاستاذ العلامة المجدد الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى .

قال الامام الحافظ العلامة العماد ابن كثير في تفسيره الشهير ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قرأ الجمهور بالجر على النعت ، قال الزمخشري وقرئ بالنصب على الحال ، وهي قراءة النبي ﷺ وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، ورويت عن ابن كثير ؛ والمعنى ﴿ إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ ممن تقدم وصفهم ونعتهم وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسوله وامثال أوامره وترك نواهيه وزواجره ، غير صراط المغضوب عليهم ، وهم الذين فسدت إرادتهم فعملوا الحق وعدلوا عنه ، ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون الى الحق ، وأكد الكلام بلايديل على أن ثم مسلكين فاسدين وهما طريقة اليهود والنصارى .

وروى ابو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه كان يقرأ غير المغضوب عليهم وغير الضالين ، وهذا اسناد صحيح ، وكذلك حكى عن ابي بن كعب

رضى الله تعالى عنه أنه قرأ كذلك ، وهو محمول على أنه صدر منهما على وجه التفسير ، فيدل ما قلنا من أنه إنما جرىء بلا لتأكيد النفي لثلاثتهم أنه معطوف على الذين أنعمت عليهم ، والفرق بين الطريقتين اليجتنب كل واحد منهما ، فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به ؛ واليهود فقدوا العمل ، والنصارى فقدوا العلم ، ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى ؛ لأن من علم وترك العمل استحق الغضب بخلاف من لم يعلم ، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه لأنهم لم يأتوا الأمر من بابيه ؛ وهو اتباع الحق ضلوا ؛ وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليهم ، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال الله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ، وأخص أوصاف النصارى الضلال ؛ كما قال الله تعالى أخبراً عنهم ﴿ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ . وبهذا جاءت الأحاديث والآثار وذلك واضح بين .

قال الإمام محي السنة البغوى ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة .

قال الخازن في تفسيره ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ يعنى صراط الذين غضبت عليهم (ولا الضالين) أى وغير الضالين عن الهدى ، وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى . وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة . والله أعلم .

بما الله اعلم به . وكان الضالون والمغضوب عليهم يبنون المساجد على قبور الانبياء والصالحين وقد نهى النبي ﷺ امته عن ذلك .

ومن صفة الضالين انهم يعبدون بالاصوات المطربة والصور الجميلة فلا يهتمون بامر دينهم باكثر من تلحين الاصوات قال الله تعالى ﴿وقالت اليهود ليست النصراني على شيء وقالت النصراني ليست اليهود على شيء﴾ وانت تجد كثيراً من المتفقهة اذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئاً ولا يعدم الا جهالاً ضلالاً ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئاً وترى كثيراً من المتصوفة والمتفكرة لا يرى الشريعة والعلم شيئاً بل يرى ان المتمسك بهما منقطع عن الله وانه ليس عند اهلها مما ينفع عند الله شيء وانما الصواب ان ما جاء الكتاب والسنة من هذا وهذا حق وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل .

وقد قال الامام العلامة فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره الكبير ان المشهور ان المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصراني وقيل هذا ضعيف لان منكري الصانع والمشركين اخبث ديناً من اليهود والنصراني فكان الاحتراز عن دينهم اولى بل الاولى ان يحمل المغضوب عليهم على كل من اخطأ في الاعمال الظاهرة وهم الفساق ويحمل الضالون على كل من اخطأ في الاعتقاد كاهل البدع والكفرة لان اللفظ عام والتقييد خلاف الاصل ويحتمل ان يقال المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون وهذه الآية دلت على ان المكلفين ثلاث فرق . اهل الطاعة واليهم الاشارة بقوله تعالى : ﴿وانعمت

رضى الله تعالى عنه أنه قرأ كذلك ، وهو محمول على أنه صدر منها على وجه التفسير ، فيدل ما قلنا من أنه إنما جرىء بلا لتأكيد النفي لثلاثتهم أنه معطوف على الذين أنعمت عليهم ، والفرق بين الطريقتين ليجتنب كل واحد منهما ، فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به ؛ واليهود فقدوا العمل ، والنصارى فقدوا العلم ، ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى ؛ لأن من علم وترك العمل استحق الغضب بخلاف من لم يعلم ، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقته لأنهم لم يأتوا الأمر من بابيه ؛ وهو اتباع الحق ضلوا ؛ وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليهم ، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال الله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ، وأخص أوصاف النصارى الضلال ؛ كما قال الله تعالى أخبراً عنهم ﴿ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ وبهذا جاءت الأحاديث والآثار وذلك واضح بين .

قال الامام محي السنة البغوى ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة .

قال الخازن في تفسيره ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ يعنى صراط الذين غضبت عليهم (ولا الضالين) أى وغير الضالين عن الهدى ، وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى . وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة . والله أعلم .

بما الله اعلم به . وكان الضالون والمغضوب عليهم يبنون المساجد على قبور الانبياء والصالحين وقد نهى النبي ﷺ امته عن ذلك .
ومن صفة الضالين انهم يعبدون بالاصوات المطربة والصور الجميلة فلا يهتمون بامر دينهم باكثر من تلحين الاصوات قال الله تعالى ﴿وقالت اليهود ليست النصراني على شيء وقالت النصراني ليست اليهود على شيء﴾ وانت تجد كثيراً من المتفهمة اذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئاً ولا يعدم الا جهلاً ضلالاً ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئاً وترى كثيراً من المتصوفة والمتفكرة لا يرى الشريعة والعلم شيئاً بل يرى ان المتمسك بهما منقطع عن الله وانه ليس عند اهلها مما ينفع عند الله شيء وانما الصواب ان ما جاء الكتاب والسنة من هذا وهذا حق وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل .

وقد قال الامام العلامة فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره الكبير ان المشهور ان المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصراني وقيل هذا ضعيف لان منكري الصانع والمشركين اخبث ديناً من اليهود والنصراني فكان الاحتراز عن دينهم اولى بل الاولى ان يحمل المغضوب عليهم على كل من اخطأ في الاعمال الظاهرة وهم الفساق ويحمل الضالون على كل من اخطأ في الاعتقاد كاهل البدع والكفرة لان اللفظ عام والتقييد خلاف الاصل ويحتمل ان يقال المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المتناقون وهذه الآية دلت على ان المكافين ثلاث فرق . اهل الطاعة واليهم الاشارة بقوله تعالى : ﴿ انعمت

عليهم ﴿ واهل المعصية واليهم الاشارة بقوله تعالى ﴿ غير المغضوب عليهم ﴿ واهل الجهل في دين الله والكفر واليهم الاشارة بقوله تعالى ﴿ ولا الضالين ﴿ فان قيل لم قدم ذكر المعصاة على ذكر الكفرة قلنا لان كل واحد يحترز عن الكفر . وأما عن الفسق فقد لا يحترز فكان أهم فان قيل ما الحكمة في انه تعالى جعل المقبولين طائفة واحدة وهم الذين الذين انعم الله عليهم . والمردودين فر يقين المغضوب عليهم والضالين الجواب ان الذين كملت نعم الله عليهم هم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به . فهؤلاء هم المرادون بقوله أنعمت عليهم . فان اختل قيد العمل فهم الفسقة وهم المغضوب عليهم . كما قال الله تعالى ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ﴿ وان اختل قيد العلم فهم الضالون لقوله تعالى ﴿ وماذا بعد الحق الا الضلال ﴿ ومن الضالين المغضوب عليهم الذين لا يوافق اعمالهم اقوالهم . ويفسدون في الناس تحت ستار الاسلام والزهد والتقوى والاصلاح . كيرزا أحمد القادياني في بلاد الهند . وموسى بيكى جار الله في بلاد التتار قال الله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴿ الى ان قال ﴿ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴿ الايات فالرجال الهندي القادياني باع دينه لمبشرى الانكليز واما الرجال التتاري موسى بيكى جار الله فقد باع دينه وأهل ملته لمبشرى الروس وملاحدة البلاشفة الشيوعية اللادينية فالحذر كل الحذر . وياخسارة من اغتر بهما

إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ . اُولَئِكَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ
تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ . وما يضل به إلا الفاسقين . الذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في
الارض اُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ (الفاسقين) الخارجين عن الطاعة
(عهد الله) ما عهده اليهم في الكتاب من الايمان بحمد ﷺ ﴿ ويفسدون
في الارض ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الايمان ، فأهل الضلال هم الذين
اشتروا الضلالة بالهدى ، واختاروا الكفر والشرك على الايمان
والتوحيد ، واتبعوا التقاليد بالمبتدعين فآخذوا الضلالة وتركوا الهدى ؛
نفرجوا من الهدى إلى الضلالة ومن الجماعة إلى الفرقة ، ومن الامن
إلى الخوف ، ومن السنة إلى البدعة ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، كما
نقله ابن كثير في تفسيره .

ومن صفات أهل الضلال إنكار ما في القرآن من الامثال وعدم
التصديق بها أو الاستهزاء بها ؛ ومن صفاتهم الفسق والخروج عن
حدود ما حدده الله ، كما بين الله تعالى ﴿ إِنْ أَقْبَلْتُمْ الْكُفْرَانَ يَغِثْ
مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ،
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا بَظُلْمٍ كَثِيرًا
وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا . وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ الآية .

وقد قال الامام العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الرد
على الاخناتى ، والمبتدعون هم الضالون ؛ وقد قال سفيان الثوري رحمه

عليهم ﴿ واهل المعصية واليهيم الاشارة بقوله تعالى ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ واهل الجهل في دين الله والكفر واليهيم الاشارة بقوله تعالى ﴿ ولا الضالين ﴾ فان قيل لم قدم ذكر العصاة على ذكر الكفرة قلنا لان كل واحد يحترز عن الكفر . وأما عن الفسق فقد لا يحترز فكان أم فان قيل ما الحكمة في انه تعالى جعل المقبولين طائفة واحدة وهم الذين الذين انعم الله عليهم . والمردودين فريقين المغضوب عليهم والضالين الجواب ان الذين كملت نعم الله عليهم هم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به . فهو لاء هم المرادون بقوله أنعمت عليهم . فان اختلف قيد العمل فهم الفسقة وهم المغضوب عليهم . كما قال الله تعالى ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ﴾ وان اختلف قيد العلم فهم الضالون لقوله تعالى ﴿ وماذا بعد الحق الا الضلال ﴾ ومن الضالين المغضوب عليهم الذين لا يوافق اعمالهم اقوالهم . ويفسدون في الناس تحت ستار الاسلام والزهد والتقوى والاصلاح . كبرزا أحمد القادياني في بلاد الهند . وموسى بيكي جار الله في بلاد التتار قال الله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ الى ان قال ﴿ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ الايات فالرجال الهندي القادياني باع دينه لمبشرى الانكليز واما الرجال التتاري موسى بيكي جار الله فقد باع دينه وأهل ملته لمبشرى الروس وملاحدة البلاشفة الشيوعية اللادينية فالخذر كل الخذر . وياخسارة من اغتر بها

إنما نحن مستهزؤن . اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . وما يضل به إلا الفاسقين . الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون ﴿ (الفاسقين) الخارجين عن الطاعة . (عهد الله) ما عهد به اليهم في الكتاب من الايمان بحمد ﷺ و يفسدون في الارض ﴿ بالمعاصي والتعويق عن الايمان ، فأهل الضلال هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، واختاروا الكفر والشرك على الايمان والتوحيد ، واتبعوا التقاليد بالمبتدعين فاخذوا الضلالة وتركوا الهدى ؛ فخرجوا من الهدى إلى الضلالة ومن الجماعة إلى الفرقة ، ومن الامن إلى الخوف ، ومن السنة إلى البدعة ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، كما نقله ابن كثير في تفسيره .

ومن صفات أهل الضلال إنكار ما في القرآن من الامثال وعدم التصديق بها أو الاستهزاء بها ؛ ومن صفاتهم الفسق والخروج عن حدود ما حدده الله ، كما بين الله تعالى ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها . فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم ، واما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا . وما يضل به إلا الفاسقين ﴿ الآية .

وقد قال الامام العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الرد على الإخناتى ، والمبتدعون هم الضالون ؛ وقد قال سفيان الثوري رحمه

الله تعالى ؛ البدعة أحب الى ابليس من المعصية ، لان المعصية قد يتاب عنها والبدعة لا يتاب منها ، فتكون أضر واهلك من المعصية .
وفي رسالة الحج له ، ومن الضلالة مذهب الاتحادية والحلولية .
الذين يزعمون ان المخلوق عين الخالق وانه يحل فيه كما تقول به ابن عربى صاحب الفتوحات المكية والفصوص وأمثاله ، ومن الضلالة قولهم ان الولي افضل من النبي ، لان الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ، وان النبي يأخذ بواسطة الملك .

وفي اقتضاء الصراط المستقيم له ايضا ، ومن صفة اهل الضلال تخصيص زمان او مكان بعيد او فضيلة او زيارة فيما لم يرد به الشرع المحمدى واعتقاد الفضل فيه مع كونه لا فضل له فى الشريعة اصلا ، ولا فيه موجب تفضيله ، بل هو كسائر الامكنة او دونها ، فقصد ذلك المكارن او قصد الاجتماع فيه لعصاة او دعاء او ذكر او غير ذلك .
ضلال بين .

قال الجامع محمد سلطان المعصومى الخجندى ثم الملكى حفظه الله عز وجل ، كاجتماع اهل كاشغر فى آفاق خواجه ، واهل فرغانه فى اوش .
وجلاد آباد بزعم ان الاول مقر كرسي سليمان النبي عليه السلام والثانى فيه قبر ايوب النبي عليه السلام والعين التى اغتسل فيها ، وكاجتماعهم فى شاه مردان فى مرغينان ؛ وفى يسي اى تركستان فى انصاف الشتاء ، ويسمونه خلوت ، وفى ضريح بهاؤالدين فى بخارى فى كل وقت وخصوصا فى ليلة الاربعاء ، وفى بلخ فى الربيع فى مزار سخى ، وفى موسم معين

الظلمة . واعلم ان عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص
فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال . وهذا عين الضلال . لان النظر
ينبغي أن يكون الى القول لا إلى القائل : كما قال علي رضي الله
تعالى عنه . ان الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله وقال
أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى من ضيق علم العالم أن يقلد في إعتقاده
رجلا . واما الفرعيات فيصح للعامي التقليد فيها لمن سبر ونظر . وأما
الطريق الثاني فكثير من الفلاسفة الذين خرجوا عن الشريعة والحدود والسخ
فان قلت ان كان طريق المقلدين في الاصول وطريق المتكلمين
هكذا فما الطريق السليم من تلبيس ابليس . فالجواب انه ما كان عليه
رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعوه باحسان من إثبات الخالق سبحانه
وإثبات صفاته على ماوردت به الآيات والخبار من غير تغيير ولا بحث
عما ليس في قوة البشر إدراكه .

وفي إقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية . فمن أوصاف الضالين
الانهمك في البدع والمحدثات في الامور الدينية . ولا ريب ان من المحدثات
في الدين ما أحدثه بعض الناس أمامضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه
السلام وأما محبة للنبي ﷺ وتعظيمه . والله يثيبهم على هذه المحبة
والاجتهاد لا على البدع من إتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً ، فان هذا لم يفعله
السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ، ولو كان خيرا لكان السلف
أحق به منا ، فانهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيمه منا وانما

الله تعالى ؛ البدعة أحب الى ابليس من المعصية ، لان المعصية قد يتاب عنها والبدعة لا يتاب منها ، فتكون أضر وأهلك من للمعصية
وفي رسالة الحج له ، ومن الضلالة مذهب الأتحادية والخلولية
الذين يزعمون ان المخلوق عين الخالق وانه يحل فيه كما تقول به ابن
عربي صاحب الفتوحات المسكية والفصوص وأمثاله ، ومن الضلالة
قولهم ان الولي افضل من النبي ، لان الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ،
وان النبي يأخذ بواسطة الملك .

وفي اقتضاء الصراط المستقيم له ايضا ، ومن صفة اهل الضلال
تخصيص زمان او مكان بعيد او فضيلة او زيارة فيما لم يرد به الشرع
المحمدي واعتقاد الفضل فيه مع كونه لا فضل له في الشريعة اصلا ،
ولا فيه موجب تفضيله ، بل هو كسائر الامكنة او دونها ، فقصده ذلك
المكان او قصد الاجتماع فيه لعلاة او دعاء او ذكر او غير ذلك
ضلال بين .

قال الجامع محمد سلطان المعصومي الخجندی ثم الملكي حفظه الله
عز وجل ، كاجتماع اهل كاشغر في آفاق خواجه ، واهل فرغانه في اوش
وجلاد آباد بزعم ان الاول مقر كرسي سليمان النبي عليه السلام والثاني
فيه قبر ايوب النبي عليه السلام والمين التي اغتسل فيها ، وكاجتماعهم في
شاه مردان في مرغينان ؛ وفي يسي اي تركستان في انصاف الشتاء ،
ويسمونه خلوت ، وفي ضريح بهاؤالدين في بخاري في كل وقت وخصوصا
في ليلة الاربعاء ، وفي بلخ في الربيع في مزار سخى ، وفي موسم معين .

الظلمة . واعلم ان عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص .
فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال . وهذا عين الضلال . لان النظر
ينبغي أن يكون الى القول لا إلى القائل : كما قال على رضى الله
تعالى عنه . ان الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله وقال .
أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى من ضيق علم العالم أن يقلد في إعتقاده
رجلا . واما الفرعيات فيصح للعامى التقليد فيها لمن سبر ونظر . وأما
الطريق الثانى فكثير من الفلاسفة الذين خرجوا عن الشريعة والحدود والنخ
فان قلت ان كان طريق المقلدين فى الاصول وطريق المتكلمين
هكذا فما الطريق السليم من تلبيس ابليس . فالجواب انه ما كان عليه
رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعوه باحسان من إثبات الخالق سبحانه
وإثبات صفاته على ماوردت به الآيات والاحبار من غير تغيير ولا بحث
عما ليس فى قوة البشر إدراكه .

وفى إقتضاء الصراط للمستقيم لابن تيمية . فمن أوصاف الضالين
الانهم ياك فى البدع والمحدثات فى الامور الدينية . ولا ريب ان من المحدثات
فى الدين ما أحدثه بعض الناس أما مضاهاة للنصارى فى ميلاد عيسى عليه
السلام وأما محبة للنبي ﷺ وتعظيما له . والله يثيبهم على هذه المحبة .
والاجتهاد لاعلى البدع من إتحاذ مولد النبي ﷺ عيداً ، فان هذا لم يفعله
السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ، ولو كان خيرا لكان السلف
أحق به منا ، فانهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيما له منا وانما

كمال محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته واتباع أمره واحياء سنته ظاهراً
وباطناً ، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان ، فان
هذه طريقة السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم
باحسان ، وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم حراساً على أمثال هذه البدع مع
ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة تجدوهم
فأمرين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه ، وانعام بمنزلة من يحلى
المصحف ولا يقرأ فيه . أو يقرأ فيه ولكن لا يتبعه . وبمنزلة من
يزخرف المسجد ولا يصلى فيه . أو يصلى فيه قليلاً ، وبمنزلة من يتخذ
المصابيح والسجادات المزخرفة رياء وكبراً . كما في الحديث « ما ساء عمل
قوم قط الا زخرفوا مساجدهم » الخ .

قال المعصومى حفظه الله عزوجل ؛ فالخير كل الخير في إتباع ما فعله
الرسول ﷺ وأصحابه والسلف الصالحون رضي الله تعالى عنهم ، والشر
كل الشر والضلال كل الضلال فيما أحدثه المتأخرون في الامور الدينية .
وقد قال في جوهرة التوحيد ونعم ما قال .

كل خير في اتباع من سلف كل شر في ابتداع من خلف
فتابع الصالح ممن سلفا وجانب البدعة ممن خلفا
والمراد من السلف المأمور باتباعهم هم الصحابة الكرام والتابعون
الاخير والائمة ذووا الوقار رضي الله تعالى عنهم لا كل من سلف وان
كان من الاشرار او الائمة الدجالين الفجار . كما يزعمه كثير ممن لا خبرة
له من الجهال وان كان في صورة الائمة او المشائخ . واصحاب المعام

هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ﴿ الآية . رواه أحمد والنسائي والدارمي وغيرهم
وعن بلال بن الحارث المزني رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول
الله ﷺ « من احب سنة من سنتي قد أميتت بمدى فان له من الاجر
مثل اجور من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئاً ، ومن
ابتدع بدعه ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الاثم مثل آثام
من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزارهم شيئاً . رواه الترمذي وابن
ماجه وغيرهما .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ
« ليأتين على أمتي كما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان
منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وان بني اسرائيل
تفرقت على ثنتين وسبعين فرقة وملة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين
ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه
واصحابي ، رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب ، وكذا رواه
أبو هريرة رضى الله عنه وحديثه حديث حسن صحيح ، وفي رواية أحمد
وأبي داود عن معاوية رضى الله تعالى عنه ، ثنتان وسبعون في النار
وواحدة في الجنة وهي الجماعة ، وانه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى
بهم تلك الالهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا
مفصل الا دخله » وكذا رواه .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ

كمال محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته واتباع أمره واحياء سنته ظاهراً
وباطناً ، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان ، فان
هذه طريقة السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم
باحسان ، وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم حراساً على أمثال هذه البدع مع
ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة تجدوهم
قآرين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه ، وانما بمنزلة من يحلى
المصحف ولا يقرأ فيه . أو يقرأ فيه ولكن لا يتبعه . وبمنزلة من
يزخرف المسجد ولا يصلى فيه . أو يصلى فيه قليلاً ، وبمنزلة من يتخذ
المصاييح والسجادات المزخرفة رياء وكبراً . كما في الحديث « ما ساء عمل
قوم قط الا زخرفوا مساجدهم » الخ .

قال المعصومى حفظه الله عزوجل ؛ فالخير كل الخير في إتباع ما فعله
الرسول ﷺ وأصحابه والسلف الصالحون رضي الله تعالى عنهم ، والشر
كل الشر والضلال كل الضلال فيما أحدثه المتأخرون في الامور الدينية .
وقد قال في جوهرة التوحيد ونعم ما قال .

كل خير في اتباع من سلف كل شر في ابتداع من خلف
فتابع الصالح ممن سلفا وجانب البدعة ممن خلفا
والمراد من السلف المأمور باتباعهم هم الصحابة الكرام والتابعون
الاخيار والائمة ذووا الوقار رضي الله تعالى عنهم لا كل من سلف وان
كان من الاشرار او الائمة الدجالين الفجار . كما يزعمه كثير ممن لا خبرة
لهم من الجهال وان كان في صورة الائمة او المشائخ . واصحاب العامم

هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ﴿الآية﴾ . رواه أحمد والنسائي والدارمي وغيرهم
وعن بلال بن الحارث المزني رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول
الله ﷺ « من احب سنة من سنتي قد أميتت بعدي فان له من الاجر
مثل اجور من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئاً ، ومن
ابتدع بدعه ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الاثم مثل آثام
من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزارهم شيئاً . رواه الترمذي وابن
ماجه وغيرهما .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنها قال قال رسول الله ﷺ
« ليأتين على أمتي كما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان
منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وان بني اسرائيل
تفرقت على ثنتين وسبعين فرقة وملة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين
ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه
واصحابي ، رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب ، وكذا رواه
أبو هريرة رضى الله عنه وحديثه حديث حسن صحيح ؛ وفي رواية أحمد
وأبي داود عن معاوية رضى الله تعالى عنه ، ثنتان وسبعون في النار
وواحدة في الجنة وهي الجماعة ، وانه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى
بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا
مفصل الا دخله » وكذا رواه .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ

من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله اجر مائة شهيد . رواه البيهقي
في كتاب الزهد له .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما ضل قوم بعد
هدى كانوا عليه الا اتوا الجدل ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية
﴿ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ﴾ رواه احمد والترمذي
وابن ماجه وقال القارى في المرقاة المراد من الجدل هنا التعصب لترويج
مذهبهم من غير ان يكون لهم دليل . وذلك محرم .

وعن انس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول لا
تشدوا على انفسكم فيشدد الله عليكم فان قوما شددوا على انفسهم
فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار ﴿ رهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم ﴾ رواه أبو داود وغيره .

وعن الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى مرسل قال قال رسول الله ﷺ
تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكن بهما كتاب الله وسنة رسوله
رواه مالك في موطنه وغيره .

وعن غضيف بن الحارث الثمالي رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله ﷺ ما احدث قوم بدعة الا رفع مثلها من السنة فتمسك
بسنة خير من احدث بدعة رواه احمد وغيره .

وعن ابراهيم بن ميسرة رحمه الله تعالى قال قال رسول الله ﷺ
من قر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام . رواه البيهقي في
شعب الايمان مرسلا . وكذا .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله من الضلالة في الدنيا ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وفي رواية قال من اقتدى بكتاب الله لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلى هذه الآية ﴿فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾ رواه رزين وغيره .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعن جنبتى الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعند رأس الصراط داع يقول استقيموا على الصراط ولا تعوجوا . وفوق ذلك داع يدعو كلما هم عبد ان يفتح شيئا من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك ان تفتحه تلجه ثم فسره فاخبر ان الصراط هو الاسلام وان الابواب المفتحة محارم الله وان الستور المرخاة حدود الله . وان الداعي على رأس الصراط هو القرآن وان الداعي من فوقه هو واعظ الله في قلب كل مؤمن رواه رزين واحمد والبيهقى في شعب الايمان . وكذا رواه الترمذى بنوع اختصار .
وفي آخر كتاب العلم من المشكاة المصابيح عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه . ولا يبقى من القرآن الا رسمه . يساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى ؛ علمهم شر من تحت أديم السماء . من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود رواه البيهقى في شعب الايمان .
وفي باب السمعة منه . عن ابى هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال

رسول الله ﷺ سيخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين « أي يخدعون ويطلبون » يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، السنهم أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب . يقول الله تعالى أبي يغترون أم على بجرؤن ، فبي حلفت لا بمئن على أوائك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران » رواه الترمذي قلت الآ يصدق هذه الاوصاف على صوفية العصر وقلندريته الذين يتعيشون في التكايا والزوايا والخانه قاهات ، وتلك الفتنة كفتة الاورباويين والبلاشفة .

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لتابعين سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ، قيل يا رسول الله ، اليهود والنصارى ، قال فن . رواه الشيخان وقال القاري في شرحه المرقاة ، المراد طريقة أهل الأهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد انبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم الخ . وفي كتاب الفتن منه ، عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ؛ قال قلت يا رسول الله أنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم . قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه . قال قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هدى تعرف منهم وتذكر ، قلت فهل بعد ذلك الخير من شر ، قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، قلت يا رسول الله صفهم لنا ، قال هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا قلت فما

تأمرني ان أدركني ذلك ، قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام ، قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض باصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك ، متفق عليه ، وفي رواية لمسلم ، قال يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهدأى ولا يستنون بسنتى ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس ، قال حذيفة قلت كيف اصنع يا رسول الله ان أدركت ذلك . قال تسمع وتطيع الامير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع واطع .

وعن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « انما أخاف على امتي الأئمة المضلين ، وأذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة » رواه أبو داود والترمذى .

وعن جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول « ان بين يدي الساعة كذا بين فاحذروهم » رواه مسلم . قال القارى فى المرقاة : كالذين يدعون النبوة ، ويدعون أهواء فاسدة ويسندون ذلك الباطل اليه ﷺ كاهل البدع كلهم . قلت كما كثر مشائخ الطرق القبوريين والملاحدة المتجددين أصحاب العقول السخيفة والآراء الباطلة .

وعن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « انى فرطكم على الحوض من مرّ على شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليردنّ على اقوام أعرفهم ويعرفوننى ، ثم يحال بينى وبينهم فاقول أنهم منى ، فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدى »

متفق عليه . وفي رواية احمد كما رواه ابن كثير في تفسيره وكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « الكوثر حوض ونهر اعطانيه ربي عزوجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آيته عدد الكواكب ، فيختلج العبد منهم ، فاقول يارب أنه من أمتي ، فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بعدك » وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ قال « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ، قوم يحسنون القبيل ويسيتون الفعل ؛ يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين صروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد على فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم وقتلوه ؛ يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء ؛ من قتلهم كان أولى بالله تعالى منهم قالوا يا رسول الله ما سيأثم قال التحليق » وفي رواية : التسميد والتحليق . قال أبو داود التسميد استئصال الشعر . وفي رواية على رضى الله تعالى عنه أنه قال أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج قوم من أمتي يقرؤن القرآن ليست قرائتكم الى قرائتهم شيئاً ولا صلاتكم الى صلاتهم شيئاً ولا صيامكم الى صيامهم شيئاً ، يقرؤن القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية » الحديث .

ثم ان المحقق الامام ابا اسحاق ابراهيم اللخمي الشاطبي رحمه الله تعالى قد أتى في كتابه (الاعتصام) بجمل من علامات اهل البدع

والضلالة ؛ وقد حقق وأفاد ، قال رحمه الله تعالى ان الاسلام قد كمل وتم واستقام طريقه على مدة حياة النبي ﷺ ومن بعد موته ، واكثر قرن الصحابة رضى الله تعالى عنهم الى ان نبغت فيهم نوابع الخروج عن السنة ، وأصغوا الى البدع المضلة كبدعة القدر ؛ ثم لم تزل الفرق تكثر حسبا وعده الصادق ﷺ في قوله « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ؛ وتفرقت امتى على ثلاث وسبعين فرقة » وفي الحديث الآخر « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضيب لدخلتموه » وهذا الحديث أعم من الاول فان الاول عند كثير من اهل العلم خاص باهل الاهواء ، وهذا الثانى عام فى المخالفات ، وكل صاحب مخالفة فمن شأنه انه يدعو غيره اليها ، ومن سنة الله فى الخلق ، ان اهل الحق فى جنب اهل الباطل قليل ، لقوله تعالى ﴿ وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ وقوله تعالى ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾ ولان الهوى قد يتداخل فى الانسان ، وسبب الخروج عن السنة الجهل بها ، فاندريست رسوم السنة حتى مدت البدع أعتاقها ، فاشكل على الجمهور مرماها ، فبدأ الدين غريبا كما بدأ ، ولكن مع ذلك لا يزال ولن يزال طائفة من النصحاء فى الارض من عباد الله تعالى يعرضون أعمال العباد على كتاب الله فاذا وافقوه حمدوا الله ، واذا خالفوه عرفوا بكتاب الله ضلالة من ضل وهدى من اهتدى ، فاولئك خلفاء الله تعالى فى الارض .

قال البدعة طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك

عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية ؛ كالاختصاص في الاقتران للعبادة ،
والاقتصار من الأكل والشرب والملبس على صنف دون صنف ،
وكالتزام الكيفيات والمهيات المعينة في العبادات كالذكر بهيئة الاجتماع
على صوت واحد واتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيداً ، وكالتزام صيام يوم
النصف من شعبان وقيام ليلته وصاحب البدعة إنما يخترعها ليضاهي بها
السنة حتى يكون ملبساً بها على الغير ، إذا الإنسان لا يقصد الاستتباع
بامر لا يشابه المشروع ، لانه إذ ذاك لا يستجاب به في ذلك الابتداء
تفعلاً ، ولا يدفع به ضرراً ، ولا يجيبه غيره اليه ، ولذلك نجد المبتدع
ينتصر لبدعته بامور تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف .
فانت ترى العرب الجاهلية في تغيير ملة ابراهيم عليه السلام كيف
تأولوا فيما أحدثوه احتجاجاً منهم ، كقولهم في أصل الاشرار ﴿ ما نعبدكم
إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وكترك الحرس الوقوف بعرفة لقولهم ، لا تخرج
من الحرم اعتداداً بحرمته ، وكطواف من طاف بالبيت عريانا قائلين
لا تطوف بالبيت بثياب عصينا الله فيها ، وما أشبه ذلك مما وجهه ليصيره
بالتوجيه كالمشروع ؛ ويقصدون بالسلوك عليها المبالغة في التعميد لله تعالى ،
وهو تمام معنى البدعة ، إذ هو المفضود بتشريعها ، والعامل بغير السنة
تديناً هو المبتدع بعينه ، والتارك للمطلوبات الشرعية ان تركها كسلاً أو
تضييعاً فهو عاص ، وان تركها تديناً فهو مبتدع .

لاخفاء ان البدع من حيث تصورها يعلم العاقل ذمها ، لان
اتباعها خروج عن الصراط المستقيم درى في عمائة ، وان الشريعة جاءت

كاملة لا تحتل الزيادة ولا النقصان ، كما ثبت نصاً ، فان كان كذلك فالبتدع إنما محمول قوله بلسان حاله أو مقاله ، ان الشريعة لم تتم ؛ وانه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها ، لانه لو كان معتقداً كمالها وتامها من كل وجه لم يبدع ولا استدرك عليها ، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم .

قال ابن الماجشون سمعت مالكا رحمه الله تعالى يقول ؛ من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، لان الله تعالى يقول ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً ، فمن يبتدع شيئاً في الدين فهو ضال ، أما يكفيك ما كفى من هم خير منك ومن شيوخك ألا وهم الصحابة والتابعون الاخير رضي الله تعالى عنهم .

قوله تعالى ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ قد جاء تفسيرها في الحديث من طريق عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ يا عائشة ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ من هم قلت الله ورسوله أعلم ، قال هم أصحاب الاهواء واصحاب البدع واصحاب الضلالة من هذه الامة ، يا عائشة ان لكل ذنب توبة ما خلا أصحاب الاهواء والبدع ليس لهم توبة ، وانا يرى منهم وهم مني برآء .

قال الامام الاوزاعي رحمه الله تعالى ، بلغني أن من ابتدع بدعة ضلالة آلفه الشيطان العبادة ؛ أو ألقى عليه الخشوع والبكاء كي يصطاد به ؛ فالبتدع يزيد في الاجتهاد لينال في الدنيا التعظيم والمال والجم

وغير ذلك من أصناف الشهوات ، الا ترى إلى انقطاع الرهبان في الصوامع والديارات ، ومن مقاساتهم أصناف العبادات وهم مع ذلك خالدون في جهنم ، كما وصفهم النبي ﷺ « يحقر أحدكم صلاته في صلاته وصيامه في صيامه » الحديث .

والمبتدع يخشى عليه الفتنة ، وقد حكى عياض عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى ، انه قال سألت مالكاً انى أريد أن أحرم من مسجد الرسول ﷺ فقال لا تفعل فان هذا مخالف لله ورسوله اخشى عليك الفتنة في الدنيا والعذاب الاليم في الآخرة ، أما سمعت قوله تعالى ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم ﴾ قال وأى فتنة في هذا فانما هي أميال أزيدها . قال وأى فتنة أعظم من أن ترى انك سبقت الى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ . وهذه الفتنة التي ذكرها مالك رحمه الله تعالى في تفسير الآية هي شأن أهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم . فانهم يرون ان ما ذكره الله تعالى في كتابه وما سنه نبيه ﷺ دون ما اهدوا اليه بعقولهم .

وفي مثل ذلك قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فيما روى عنه ابن وضاح لقد هديتم لالم يهتد به نبيكم . وانكم تلمسكون بذنوب ضلالة . اذ صر بقوم كان رجل يجمعهم يقول رحم الله من قال كذا وكذا مرة سبحان الله . فيقول القوم ويقول رحم الله من قال كذا وكذا مرة الحمد لله ، فيقول القوم . يعنى انه يلحق الناس التسبيح والتحميد بالكيفية التي ذكرها فعد ذلك بدعة . لان النبي ﷺ ما كان يلحق أصحابه الذكر بهنهم .

الكيفية . ذلك بان الصحابة والتابعين لهم كانوا لا يتجاوزون في الدين حد الاتباع ولو الى مستحسن في الرأي . ويعدون من زاد في العبادة على ماورد ولو في الصورة والكيف مبتدعاً مفضلاً نفسه على الشارع واضحاً نفسه موضع من اهتدى الى ما لم يهتد اليه الرسول ﷺ في بيان كتاب الله وتبليغ دين الله . وبيان ما يوصل الى الله .

ولما تقرر ان البدعة ضلالة . وان المبتدع ضال ومضل . ومن صفات أهل الضلالة الاختلاف والتفرق شيعاً وتفرق الطرق . كما تشهد به الآيات والاختيار . ولا تجد مبتدعاً ممن ينسب الى الملة الا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعي . فينزله على ما وافق عقله وشهوته . وهو امر ثابت في الحكمة الازلية التي لا مرد لها . قال الله تعالى ﴿ يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ﴾ وقال تعالى ﴿ فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ الآية .

ثم ان بعض المفسرين وان قالوا ان المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى . ولكن لا يبعد أن يقال ان الضالين يدخل فيه كل من ضل عن الصراط المستقيم كان من هذه الامة اولا . اذ قوله تعالى ﴿ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ عام في كل ضال كان ضلاله كضلال الشرك والنفاق . أو كضلال الفرق المعدودة في الملة الاسلامية وهو ابلغ وأعلى في قصد حصر أهل الضلال . وهو اللائق بكلية فاتحة الكتاب والسبع المثاني . قال ومن جملة أهل البدع والضلال هؤلاء الفقراء الذين زعموا انهم سلكوا طريق الصوفية . وقلمما تجرد منهم من يحسن قراءة الفاتحة في

الصلاة الاعلى اللحن . فضلا عن غيرها . ولا يعرف كيف يتعبد . وكيف يعلمون ذلك وهم قد حرموا مجالس الذكر التي تغشاها الرحمة . وتنزل فيها السكينة وتحف بها الملائكة ، فبانطماس هذا النور عنهم ضلوا ، فاقتدوا بجهال أمثالهم وخرجوا عن الصراط المستقيم الى ان يجتمعوا ويقرأ احدهم شيئا من القرآن يكون حسن الصوت طيب النغمة جيد التلحين تشبه قرائته الغناء المذموم ثم يذكرون الله ويرفعون اصواتهم على صوت واحد يشبه الغناء (قلت بل مثل اصوات حمر جمعاء نهقت نهقا كما كان هو المشاهد في بلاد تركستان) ويزعمون ان هذا من مجالس الذكر المندوب اليها ، وكذبوا فانه لو كان حقا لكان السلف الصالح أولى بادراكه وفهمه والعمل به والا فإين في الكتاب أو السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهرا عاليا ، وقد قال الله تعالى ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ﴾ والمعتدين في التفسير هم الرافعون اصواتهم بالدعاء ، وعن أبي موسى الاشعري رضى الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فجعل الناس يبجرون بالتكبير ، فقال النبي ﷺ « اريعوا على انفسكم ، انكم لا تدعون اصم ولا غائبا ، انكم تدعون سميما قريبا ، وهو معكم ، وهذا الحديث من تمام تفسير الآية ؛ ولم يكونوا رضى الله تعالى عنهم يكبرون على صوت واحد ، ولكنهم نهام عن رفع الصوت ليكونوا محتملين للآية ؛ وقد جاء عن السلف ايضا النهي عن الاجتماع على الذكر والدعاء بالهيئة التي يجتمع عليها هؤلاء المبتدعون ، وجاء عنهم النهي عن المساجد المتخذة لذلك ؛ وهي الربط التي يسمونها بالصفة .

وفقراء الوقت قد تخيروا بايات وتميزوا باصوات، هي إلى الاعتداء أقرب منها إلى الاقتداء، وطريقتهم إلى اتخاذها مأكلة وصناعة، أقرب منها إلى اعتدادها قرينة وطاعة. وقد صح من حديث عرابض بن سارية رضى الله تعالى عنه قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب الحديث فقال الامام الآجورى العالم السنى ابو بكر رحمه الله تعالى، ميزوا هذا الكلام، فانه لم يقل صرخنا من موعظة؛ ولا طرقتنا على رؤوسنا؛ ولا ضربنا على صدورنا، ولا زفنا ولا رقصنا؛ كما يفعل كثير من الجهال يصرخون عند المواقظ ويزعقون ويتناوشون، قال وهذا كله من الشيطان يلعب بهم وهذا كله بدعة وضلالة، ويقال لمن فعل هذا، اعلم ان النبي ﷺ اصدق الناس موعظة وانصح الناس لامته وارق الناس قلباً، وخير الناس من جاء بعده، ولا يشك فى ذلك عاقل، ما صرخوا عند موعظته ولا زعقوا ولا رقصوا ولا زفنا، ولو كان هذا صحيحاً لكانوا احق الناس به ان يفعلوه بين يدي رسول الله ﷺ، ولكنه بدعة وضلالة ومنكر؛ فاعلم ذلك ولا تكن من الجاهلين المالكين.

ومن البدع عمل جملة ممن ينتمى إلى طريقة الصوفية من تربصهم بيمض العبادات (المخترعة كختم خواجة وأوراد الفتحية ودلائل الخيرات واشدهم من يلزم تلاوة قصيدة البردة) أوقاتا مخصوصة غير ما وقته الشرع فيها، وربما وضعوا لانواع من العبادات لباساً مخصوصاً، واشباه

ذلك من الاوضاع الفلسفية يضعونها شرعية ، أى متقرباً بها إلى الحضرة
الالهية في زعمهم ؛ وربما وضعوها على مقاصد غير شرعية ، كاهل التصريف
بالاذكار والدعوات ليستجلبوا بها الدنيا من المال والجاه والحظوة ورفعته
المنزلة ، بل ليقتلوا بها ان شاءوا أو يمرضوا أو يتصرفوا وفق اغراضهم .
فهذه كلها بدع محدثات بعضها أشد من بعض لبعده هذه الأغراض عن
المقاصد الشرعية الاسلامية الموضوعة مبرأة عن مقاصد المتخربين ،
مطهرة لمن تمسك بها عن أضرار اتباع الهوى . وهذا كله ان فرضنا أصل
العبادة مشروعاً ، فان كان أصلها غير مشروع فهي بدعة حقيقية مركبة
كالاذكار والأدعية التي يزعمون انها مبنية على علم الحروف . كما اعتنى به
البونى وغيره ممن حذوا حذوه أو قاربه ، وكل ذلك ضلال ، واشبهه بالسحر
وان ادعوا أنه كرامات .

وواضع البدعة يزعم أنه يتقرب بها إلى الله تعالى ، فهي عنده مما يلحق
بالمشروعات ؛ كجعل الثانى عشر من ربيع الأول ملحقاً بإيام الاعياد
لانه صلى الله عليه وسلم ولد فيه ؛ وكن عد السماع والغناء مما يتقرب به الى الله تعالى بناءً
على أنه يجلب الاحوال السنية ، أو رغب في الدعاء بهيئة الاجتماع في ادبار
الصلوات دائماً ، أو زاد في الشريعة أحاديث مكذوبة لينصر في زعمه
سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقول انما كذبت له لاعليه وكل هذا بدعة وافتراء
على الشريعة .

قال وانما سى أهل البدع أهل الاهواء ، لأنهم اتبعوا أهواءهم
فلم يأخذوا الادلة الشرعية مأخذ الافتقار اليها والتعويل عليها ، حتى

يصدروا عنها بل قدموا احوالهم واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الادلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك ؛ واكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح ومن مال إلى الفلاسفة وغيرهم ويدخل في غمارهم من كان منهم يخشى السلاطين لنيل ما عندهم ، أو طلباً للرئاسة ؛ فلا بد أن يعيل مع الناس بهواهم ويتأول عليهم فيما أرادوا وأرادوا؛ فبذلك فسدت الامور وتغيرت الشريعة .

قال العبد الضعيف جامع هذه السطور محمد سلطان المعصومي الخجندی المهاجر المجاور الآن بمكة المكرمة اني كلما أشاهد ما في عتبة الكعبة المشرفة من الحجرة والشموع الموقدة ضئيلة النور يتنفر عنها قلبي واحسب هذا الفعل من الدخيل . لأنني قد شاهدت في كنائس النصارى وبيع اليهود ومعابد الجوس والبودا والبراهمة في بلاد الروس والصين والمغل والتبت والهند وأوروبا أنهم يوقدون الجاسر والشموع في ابواب معابدهم وبين يدي صور معبوداتهم . ولهذا شبهه من ذلك ، والحال ان النبي ﷺ حذرنا عن المشابهة بهم ؛ كما يوضح المسئلة حديث الاذان حين ذكر الناقوس والنار ثم بعد زمان طاعت في كتاب الاعتصام للمحقق الشاطبي . قال ابن العربي أول من اتخذ البخور في المسجد بنو برمك يحيى بن خالد ومحمد بن خالد كانوا باطنيته يعتقدون آراء الفلاسفة فاحيوا الجوسية واتخذوا البخور في المساجد وانما كانت تطيب بالخلوف ، فزادوا التجمير الخ ، وقال العلامة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا في حاشيته ، قال بعض المؤرخين ، ان البرامكة زينوا للرشيد وضع الجاسر في الكعبة المشرفة لياأس المسلمون بوضع النار

في أعظم معابدهم ؛ والنار معبود المجوس ، والظاهر ان البرامكة كانوا من رؤساء جمعيات المجوس السرية التي تحاول هدم الاسلام وسلطة العرب. وإعادة الملك للمجوس ؛ وانما افتك بهم هارون الرشيد لانه وقف على دخائلهم ، قال المعصومي فعلى هذا ثبت ان وضع الحجر وإيقاد الشمع الضئيل النور على عتبة الكعبة المشرفة مما دس اعداء الاسلام فيجب على ولي الامر العامل بالسنة منع ذلك ، مع ان المشاهدان تلك الشمعة لا تفيد نوراً ، فانتبهوا يا أولى الالباب الابصار

ان أهل البدع وأصحاب الضلالات لهم خواص وعلامات يعرفون بها ، منها الفرقة التي نبه عليها قوله تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ قال بعض العلماء صاروا فرقا لا تباع احوالهم ، وبمفارقة الدين تشتت احوالهم فافترقوا ، وهو قوله تعالى ﴿ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ ثم برأه الله تعالى منهم بقوله ﴿ لست منهم في شيء ﴾ وهم أصحاب البدع وأصحاب الضلالات . وقد وجدنا أصحاب رسول الله ﷺ من بعده قد اختلفوا في احكام الدين ولم يتفرقوا ، ولا صاروا شيعاً لانهم لم يفارقوا الدين وانما اختلفوا فيما أذن لهم من الاجتهاد . والاستنباط من الكتاب والسنة فيما لم يجدوا فيه نصاً ، كاختلاف أبي بكر وعمر وعلي وزيد رضي الله تعالى عنهم في الجدم مع الأم ونحوه . فاختلّفوا فيه وكانوا مع هذا أهل مودة وتناصح ، واخوة الاسلام فيما بينهم قائمة ، فلما حدثت الأهواء

المردية التي حذر منها رسول الله ﷺ وظهرت العداوات وتحزب أهلها
فصاروا شيعاً . دل على انه انما حدث ذلك من المسائل المحدثه التي القاها
الشیطان على افواه اوليائه .

فكل مسألة حدثت في الاسلام واختلف الناس فيها ولم يورث
ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا انها من مسائل
الاسلام، وكل مسألة حدثت وطرأت فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابير
والقطيعة علمنا انها ليست من أمر الدين في شيء . وانها التي عنى
رسول الله ﷺ بتفسير الآية . وذلك ما روى عن عائشة رضی الله
تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ يا عائشة « ان الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيعاً » من هم ، قلت الله ورسوله اعلم ؛ قال هم اصحاب الاهواء
 واصحاب البدع واصحاب الضلالة من هذه الامة الحديث ؛ قال فيجب
على كل ذی عقل ودين ان يجتنبها ، والاسلام يدعو إلى الالفة والتحاب
والتراحم والتعاطف ، فكل رأى ادى إلى خلاف ذلك تفارج عن الدين .
ومن خواص أهل البدع والضلالات ما نبه عليه قوله تعالى ﴿ فاما الذين
في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ الآية فبينت الآية ان أهل الزيغ
يتبعون متشابهات القرآن ، ومعنى التشابه ما اشكل معناه ؛ ولم يبين
مغزاه ومن علاماتهم اتباع الهوى ؛ وهو الذى نبه عليه قوله تعالى
﴿ فاما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ والزيغ هو الميل عن الحق اتباعاً للهوى ،
وكذلك قوله تعالى ﴿ ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾

افرايت من اتخذ الهمة هواه واضله الله على علم (وقد قررنا ان اصل الضلال وحدث الفرق انما هو الجهل بمواقع السنة .

قال الامام مالك رحمه الله تعالى ان العبد لو ارتكب جميع الكبائر بعد ان لا يشرك بالله شيئاً وجبت له ارفع المنازل لان كل ذنب بين العبد وربه هو منه على رجاء . وصاحب البدعة ليس هو منها على رجاء ، انما يهوى به في نار جهنم لكونه اعتقد ببدعته خيراً وثواباً . انتهى ملخصاً .

قال العلامة البركوي محمد بن يير على الرومي الحنفي في كتابه الطريقة المحمدية ، بعدما ذكر الاحاديث الواردة في ذم البدعة وضررها ، ان للبدعة معنى لغوي عام وهو المحدث مطلقاً عادة او عبادة ، ومعنى شرعي خاص هو الزيادة في الدين أو النقصان منه الحادثان بعد الصحابة بغير اذن من الشارع لا قولاً ولا فعلاً ولا صريحاً ولا اشارة ؛ فلا يتناول العادات أصلاً ، بل تقصر على الاعتقادات والعبادات ؛ فهذه هي مراده صلوات الله عليه بدليل قوله صلوات الله عليه « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، ومن احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وقوله صلوات الله عليه « أنتم اعلم بامور دنياكم » والبدعة في الاعتقاد هي المتبادرة من اطلاق البدعة والبدعة في الاعتقاد هي اكبر من كل كبيرة في العمل حتى القتل والزنا والبدعة في العبادة وان كانت دونها لكنها ايضا منكرو ضلال ، لاسيما اذا صادمت سنة مؤكدة . واما البدعة في العادة كالنخل فليس فعلها ضلالة ؛ بل تركها اولى . فظهر ان البدعة ثلاثة اصناف مرتبة في القبح . ثم

ان فعل البدعة اشد ضرراً من ترك السنة ، لان الفقهاء قالوا اذا تردد في شيء بين كونه سنة أو بدعة فتركه لازم .

فان قيل ان ما سبق قد دل على ان الكتاب والسنة كافيان في أمر الدين ، وان ما لم يثبت باحدهما بدعة وضلالة ، فكيف يستقيم قول الفقهاء الادلة الشرعية اربعة ، قلنا لا بد للاجماع من سند من احدهما حالا ومالا على الصحيح ، والقياس من اصل ثابت باحدهما ، وانه مظهر لا مثبت ، فراجع الاحكام ومثبتها اثنان في الحقيقة ، فظهر من هذا أن ما يدعيه بعض المتصوفة في زماننا إذا أنكر عليهم بعض أمورهم المخالف للشرع الشريف ان حرمة ذلك في العلم الظاهر وأنا أصحاب العلم الباطن وانه حلال فيه ، وأنكم تأخذون من الكتاب وانا تأخذ من صاحبه محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك كله من الترهات والحاد وضلال ، ويجب على كل من سمعه من المؤمنين الانكار على قائله ؛ والجزم ببطلان مقاله بلا شك ولا تردد والافهم من جملتهم ، فيحكم بالزندقة عليهم .

ومن الامور المبتدعة الباطلة التي اكب الناس عليها على ظن انها قرب وطاعات استتجار القارىء لتلاوة القرآف ووقف التقود عليها والامر باعطاء ثوابها الى ارواح من يريد الامر والوصية بذلك ، فكل هذا باطل وضلال ؛ وقال عطاء الله السكندري في حكمه أن من علامة اتباع الهوى الاهتمام والانهاك في نوافل العبادات مع التساهل في الفرائض والواجبات ، وكذا نقله النازلي في آخر كتابه خزينة الاسرار .

قال العبد الضعيف وقد صرح العلماء بان الالهام ليس من أسباب المعرفة

بالاحكام ، وفى العقيدة النسفية والالهام ليس من أسباب معرفة الحق بشىء عند أهل الحق ، وكذلك الرؤيا فى المنام خصوصا إذا خالفا كتاب العليم العلام ، أو سنة محمد عليه الصلاة والسلام ؛ وقد قال سيد الطائفة الصوفية جنيد البغدادي رحمه الله تعالى الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ ، وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الامر لان علمنا ومذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

وقال ابو يزيد البسطامى رحمه الله تعالى ، لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهى وحفظ الحدود . الخ .

قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومى عافاه الله تعالى ، وإنما طولت الكلام فى شأن أهل الضلال وصفاتهم لكثرة شعوبهم وتشتت سبلهم وتفرق مذاهبهم ليعرفوا فيحترزوا ؛ لان من عرف السم اجتنب ومن جهل ربما وقع فيه فهلك ؛ كما دلت عليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وشهدت التجربة فنسألك اللهم أن توفقنا إلى صراطك المستقيم الذى وفقت له أنبيائك وعبادك الصالحين ؛ واحفظنا ياربنا عن الوقوع فيما وقع فيه الذين غضبت عليهم وعمما وقع فيه أهل الضلال . آمين .



الخاتمة في (آمين)

قال الحافظ العماد ابن كثير في تفسيره يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين مثل يسين ، ويقال امين بالتصراً ايضاً ، ومعناه اللهم استجب ، والدليل على استحباب التأمين ما رواه الامام احمد وابو داود والترمذي عن وائل بن حجر رضى الله تعالى عنه قال سمعت النبي ﷺ قرأ ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقال آمين . مد بها صوته ، ولا يبي داود رفع بها صوته ، وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وروى عن علي وابن مسعود وغيرها رضى الله تعالى عنهم وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله ﷺ اذا تلا ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قال آمين حتى يسمع من يليه من الصف الاول ؛ رواه ابو داود ، وابن ماجه ، وزاد فيه فيرتج بها المسجد قال الدارقطني هذا اسناد حسن .

ونقل ابو نصر القشيري عن الحسن وجعفر الصادق رهما الله تعالى انها شدة الميم من آمين مثل ﴿ آمين البيت الحرام ﴾ قال الشوكاني في نيل الاوطار خطأ جماعة هذه الرواية ، قال اصحابنا وغيرهم ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة ، ويتأكد في حق المصلي ، وسواء كان منفرداً أو إماماً أو مأموماً وجميع الاحوال ، لما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ « قال اذا أمن الامام فامنوا ، فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » وفي مسلم عن أبي موسى رضى الله تعالى عنه مرفوعاً اذا قال ؛ يعنى الامام ﴿ ولا

الضالين ﴿ فقولوا (آمين يجيبكم الله) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قلت يا رسول الله ما معنى آمين ، قال رب افعل ، قال الجوهرى معنى آمين كذلك فليكن وقال الترمذى معناه لا تخيب رجاءنا ؛ وقال الا كثرون معناه اللهم استجب لنا ، وحكى القرطبي عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف رحمهم الله تعالى ، ان آمين اسم من أسماء الله تعالى ، وروى ابن مردويه عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال (آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين) وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ إعطيت آمين فى الصلاة وعند الدعاء لم يعط أحد قبلى الا أن يكون موسى ، كان موسى يدعو وهارون يؤمن فاختموا الدعاء بآمين فان الله يستجيب لكم ، فآمين هارون نزل منزلة من دعا لقوله تعالى ﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾ فلهذا قال من قال ان المأموم لا يقرأ لان تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قرائتها ، ولهذا جاء فى الحديث « من كان له إمام فقراءة الامام له قراءة » رواه احمد فى مسنده النخ .

قال الامام محى السنة البغوى فى تفسيره ، والسنة للقارىء أن يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة آمين مفصولا عن الفاتحة بسكنته وهو مخفف ومجوز ممدوداً ومقصوراً ؛ ومعناه اللهم اسمع واستجب وقيل هو طابع الدعاء ، وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به الآفات عنهم كخاتم الكتاب يمتعه من الفساد وظهور ما فيه النخ .

قال العلامة البيضاوى فى تفسيره ، آمين اسم الفعل الذى هو استجب ، وليس من القرآن وفاقا ، ولكن يسن ختم السورة به لقوله

صلى الله عليه وسلم علمنى جبريل آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة ؛ وقال انه كان ختم على الكتاب ، وفي معناه قول على رضى الله تعالى عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده . الخ .

وقال شيخ الاسلام برهان الدين على المرغينانى فى الهداية ، آمين المد والقصر فيه وجهان ، والتشديد فيه خطأ فاحش .

قال العبد الضعيف الغريب المهاجر وفى حرم الله المجاور محمد سلطان المعصومى ، فنحمدك اللهم وأنت رب العالمين الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . فايك نعبد وإياك نستعين . واهدنا الصراط المستقيم الذى أنعمته على عبادك الصالحين من الانبياء والصديقين وعبادك المؤمنين ؛ وأدم لنا التوفيق للقيام بذلك ، واحفظنا ياربنا عن صراط المغضوب عليهم وطرائق الضالين من المشركين والمنافقين والكافرين والزنادقة والملحدين والأئمة الدجالين المضلين وشياطين الانس والجن أجمعين ؛ وأسألك اللهم ياربنا أن تجعل هذا التأليف خالصاً لوجهك الكريم ، وان تنفع به عبادك المؤمنين ، وأن تهدي به الضالين ، فتجعله ذكراً لى عندك وذخراً ليوم الدين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ؛ يارب ان العبد الغريب المسكين ، البعيد عن الاولاد والاقارب والاهل ومن المتكويين ، الملتجى إلى بابك فى جوار بيتك المعظم ، فاحفظ اللهم اولادى الذين تركتهم فى بلاد ما وراء النهر من خجندة والصين ، ويسر لهم الطريق وأوصلهم إلى حرمك وحرم رسولك يا أكرم الاكرمين ويا أرحم الراحمين ، ويا مجيب

السائلين ، ويا مجير من استجارك يارب العالمين ، يارب تمت اليك فهب لي نوراً من انوارك ، وعلماً نافعاً ورزقاً حلالاً طيباً واسعاً ، ولا تحوجني إلى غيرك ، وأغنني بفضلك عن سواك ، وارزقني الحسنى واختم عمري بلا إله إلا الله خالصاً ومخلصاً ؛ فاني لا أعبد إلا إياك ، ولا أستعين إلا بك ، ولا التجئ إلا اليك ، وانا العبد العاجز المسكين لديك .

هذا آخر ما أردت تحريره مما التقطته من مقالات السلف الصالحين المتعلقة بتفسير فاتحة الكتاب حسب فهمي القاصر وعقلي الفاتر ، ولعل ما تركته اكثر مما ذكرت ، فالله حسبي وعليه اعتمادي في مبدئي ومعادي ، وآخر دعوانا سبحان ربك رب العزة عما يصفون .
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وكان ذلك ضحوة يوم الاحد الرابع عشر من شهر صفر عام (١٣٥٦) هـ . المطابق ٢٥ من شهر ابريل (١٩٣٧) م . في مكة المكرمة في مسكني في رباط خجند الكائن في أول زقاق البخارية من محلة المسفلة قريبا من مسجد الحرام بقلم جامعه العبد الضعيف الغريب المهاجر المجاور بهذا البلد الامين محمد سلطان المعصومي الخجندی ثم المكي المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة دار الحديث المكية . تم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفقنا لخدمة العلم ونشره من منذ عنقوان الشباب الى آخر شببه والصلاة والسلام على رسول الله الذي بلغ اليناعن الله تعالى ما يحبه من دينه وشرعه ورضى الله تعالى عن صحابته وعلماء دينه الذين بلغوا اليينا ما ثبت عنه ﷺ من قوله وفعله وتقريره باسانيد متصلة وطرق صحيحة بايضاح سببه وإزالة خفائه .

أما بعد فقد وفقني الله تعالى لطبع تفسيرى لام القرآن الذى سميته (أوضح البرهان فى تفسير أم القرآن) فى مطبعة أم القرى الكائنة فى مكة المكرمة بنفقة (الملك الممظم مالك المملكة العربية السعودية) ﴿ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ﴾ وفقه الله تعالى لما فيه رضاه . فجاء يعون الله تعالى على أحسن شكل وأجل حرف وقد كنت طبعت قبل هذا مقدمة لهذا التفسير وكنت سميتها (مختصر ترجمة حال محمد سلطان الذى كتبه مقدمة لتفسير أم القرآن) وكانت جزءاً من رسالتى (حكم الله الواحد الصمد فى حكم الطالب من الميت المدد) وكان طبعها فى مصر فى مطبعة عيسى اليبانى الحلبي وشركاه بتاريخ ٢ / ٥ / ١٣٥٥ واكتفينا بهذا عن إعادة طبعها هنا فن أراد الوقوف على تلك المقدمة فعليه بها فانها نافعة ومفيدة وصادرة عن تجارب صحيحة وهى توجد عند المؤلف بكمية وافرة أسأل الله تعالى أن يجعل مؤلفاتى خالصة لوجهه الكريم وسبباً للفوز الى جنات النعيم وأن ينفع بها العباد فى عامة البلاد آمين .

وللمؤلف مؤلفات أخرى يريد طبعها ونشرها ان يسر الله تعالى
مؤنة الطبع بحول الله تعالى وقوته وهالك بيانها .

(١) « حبل الشرع المتين وعروة الدين المبين » مرتب على المواد
وعدها الفمادة كل واحدة منها مثبتة بالآيات والاحاديث والآثار .
(٢) « القول السديد في تفسير سورة الحديد » باللغة التركية
الازبكية قد بين فيه مافيه سعادة الدنيا والآخرة .

(٣) « رفع التشكيك عن مظالم البلاشفيك . او من البولشوفيك
وما البولشوفيزيم » قد بين فيه ماشاهده بعينه مافعلته البلاشفة من
الظلم والعدوان والتدمير والتخريب .

(٤) « تحفة الخواص في تفسير آية الكرسي والاخلاص »
وهي باللغة التركية الازبكية . وغيرها من المجموعات .



فهرست

اوضح البرهان

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
الفاتحة تشتمل على الاشارة لجميع ما ورد في القرآن .	٢٢	الخطبة المشتملة على الآيات المشيرة الى التمسك بالقرآن	٣
فصل في ما ورد في فضل الفاتحة	٢٧	شعور بعض المسلمين الى ذهاب مجد اسلافهم وسببه	٥
فصل في انواع الكفر والشك الذي كان في عصر النبي ﷺ ونزل القرآن لبيانه .	٢٩	مقدمة في لزوم فهم معاني القرآن من هجران القرآن ترك تدبره وتفهمه وترك العمل به	٧
المشركون يقرون بتوحيد الربوبية فدعاهم النبي ﷺ الى توحيد الالهية .	٣١	مثال من قرأ القرآن ولم يفهم معناه ولم يعمل بأوامره	٩
ان جميع الكفار والمشركين يقرون بوجود الله تعالى .	٣٢	فصل هل تنفع العبادات الظاهرة بلا تصحيح الاعتقادات والقلب	١٢
هل الذكر بالاسم المفرد الله ذكر شرعي او بدعي بل بدعي ولا شك فيه .	٣٤	صورة الصلاة والاسلام لا تنفع من النجاة الاخروية شيئاً بل لا بد من الاعتقاد الصحيح	١٥
فصل في بيان التعموذ من الشيطان الرجيم في ابتداء القراءة . وفي كل الازمان والحالات	٣٦	المقصد من الجوز واللوز له لا فشره وانما هو للوقاية .	١٧
ان في التعموذ خمسة اركان الاستعاذة لا تتم الا بهلم وحال وعمل	٣٧	فصل الفاتحة ام الكتاب وام القرآن	٢٠
	٣٨	نزلت هذه السورة لتعليم العباد احوال مبادئهم ومعادهم .	٢١

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
ومن صفات الشيطان الافك والبهتان ومن حزبه الأئمة الدجالون وبيان خطوات الشيطان	٦٠	تنبيه في تحقيق لفظ الجلالة الله ومعناه .	٤١
ومن خطوات الشيطان ترك الاسباب الطبيعية اعتمادا على اهل القبور وسلطتهم الغيبية	٦٢	فصل في تحقيق لفظ الشيطان ومعناه وحقيقته .	٤٣
ترجم الصوفية بالا ذكار يشبه ترجم الرهبان في الكنائس	٦٣	في حكم الاستمادة انها واجبة او مستحبة .	٤٤
ومن صفات الشيطان الاسراف والتبذير والتشبيه بالكفار والظالمين ان للشيطان جندين عظيمين والغفلة والشهوة . ووصا ابليس لبنيه الالهاء السوء هم الشياطين .	٦٤	كما ان الاستمادة واجبة في أول القراءة كذلك تلزم في كل الحالات	٤٦
قصة ابليس والشيطان الابيض . وبرصيما الراهب	٦٤	فصل في بيان عداوة الشيطان لبني آدم .	٤٨
كيف حال الخوارق وما يزعمه الناس كرامات	٦٦	الشيطان كما يكون من الجن كذلك يكون من الانس .	٤٩
ما يفعله سدنة القبور من الدجل والخرافة	٦٧	ما اضل المسلمين الا الأئمة المضلون	٥١
بيان ما دسه المبشرون في المسلمين وبياناتهم	٦٨	فصل في خواص التموذ ونه ثجه .	٥٢
اعلم ان كل قبيح ينسب الى الشيطان اتخاذ التجار من صورة الجاحظ تمثالا للشيطان	٧١	فصل للشيطان انما يغلب على من يطيعه ويواليه .	٥٤
	٧٢	فصل ان الشيطان لما كان عدوا لجميع بني آدم كان الانبياء اكثر استمادة منه .	٥٥
	٧٣	فصل التموذ انما يكون بالله وباصحائه وصفاته لا غير	٥٧
	٧٤	في بيان صفات الشياطين من بني آدم الكبر وعدم قبول الحق	٥٨

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
العالم كله مفتقر الى الله في وجوده وبقائه	١٠٠	سر تقديم التعموذ على التسمية	٧٥
تربية النطفة في الرحم . والحبة والشجر والنبات .	١٠١	فصل في احكام بسم الله الرحمن الرحيم وفضائله	٧٦
سورة الفاتحة جامعة لكل ما يحتاج الانسان في المبدأ والمعاد .	١٠٢	سر التسمية في اول الامور ومعناها	٧٨
سرد الآيات التي حمد الله تعالى بها نفسه . وأفاد أنه رب العالمين .	١٠٣	فصل في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم مفصلاً	٨٠
من يتأمل في هذه الآيات تتبين له الحقيقة .	١٠٦	فصل في فضائل بسم الله الرحمن الرحيم وخواصه	٨٤
ان التربية لجميع العالمين مختصة بالله تعالى فلا رب سواه .	١٠٧	تفسير الحمد لله رب العالمين	٨٨
التربية قسمان حقيقية وظاهرية . فالحقيقية مختصة بالله تعالى والظاهرية انواع . واما التربية التي تدعيها الصوفية فضلالة ووثنية .	١٠٨	كيفية تربية الله تعالى للعالمين	٩٠
تربية الله للعالمين ليست لحاجة به اليهم بل بحض رحمته .	١٠٩	ما قال زهرة لرستم مقصدنا اخرج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله	٩١
ان الحوادث قسمين ما يظن انه رحمة مع انه عذاب . وما يظن انه عذاب مع انه في الحقيقة رحمة وفضل وامثلته	١١٠	الحمد يكون على مقدار علم الحامد	٩٢
تفسير قوله تعالى (مالك يوم الدين) فان قيل أليس كل الايام أيام جزاء والجواب عن ذلك .	١١١	حكاية المؤلف ومدح الرجل الذي لم يطالع كتابه وارساله المقص وقص الاورباويين أرضنا	٩٣
	١١٢	ان كثيرا من قرائم يعيش بقرائمه كالخمار يحمل اسفارا .	٩٥
		الالف واللام في الحمد للاستغراق ومعنى الرب	٩٦
		ان شكر المنعم واجب على المنعم عليه حقلا وشرعا .	٩٨
		الكفار اما معطاه واما مشركة .	

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
لا اله الا الله هي الكلمة الفارقة بين الكفر والاسلام	١٣١	ان التربية يعوزها امران الرحمة والشدة .	١١٣
لا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الالهية وحكم من يناحي من دون الله	١٣٢	تخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه .	١١٤
حديث شجرة ذات افواط في حنين	١٣٥	الآيات المؤيدة للملك يوم الدين	١١٦
أن مشركي زماننا اشد شركا من مشركي الجاهلية	١٣٦	تفسير قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين)	١١٧
اول ما فرض الله على العبد الايمان بالله والكفر بالطاغوت	١٣٧	تحقيق معنى العبادة	١١٩
وقوع الشرك في هذه الامة	١٣٩	ان التوحيد أهم ما جاء لاجله الدين . وما بعث لاجله الرسل .	١٢١
تزيين القبور والنذر للخلقين .	١٤٠	الرياء ضرمان . رياء النفاق ورياء العادة .	١٢٣
اتفق أئمة الاسلام على عدم جواز بناء المسجد على القبر	١٤٢	ما معنى حصر الاستعانة بالله مع (وتماونوا على البر والتقوى)	٠٠
معنى لا تتخذوا قبري عيداً . واللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد	١٤٣	حكم الذين يستعينون بالارواح واهل القبور .	١٢٤
العبادات مبناهها على الاتباع الا لا على الابتداع	١٤٤	ما معنى النون في (إياك نعبد وإياك نستعين) .	١٢٦
في كراهيته لدعاء بما قد العز من عرشك وبحق فلان	١٤٥	المبدي يقال على أربعة أضرب .	١٢٨
في عدم حواز التوسل بالميت مطلقا اي ميت كان	١٤٦	كل من اخذ بقول الغير بلا دليل فقد عبده . واتخذ الاحبار اربابا	١٢٩
الشريعة كالسفينه من خرج منها غرق . والمعكوف على القبور شرك وحال اهل بخارى وعباد القبور	١٤٧	من دون الله	١٣٠
		ان اشد شرك الجاهلية الاشراك بالصالحين	

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
علامة المشرك ذكر إلهه في كل حالة	١٦٤	الاستغاثة نوعان. الاستغاثة بالحلي	١٥٠
إذا قعد وإذا قام وإذا حمل شيئاً		وبالميت	
تشبيهه الله تعالى من يدعو غيره	١٦٥	معنى اتخاذ الاحبار والرهبان ارباباً	١٥٢
من يطلب من السراب الماء		من دون الله وصرف شئ من	
حكم من يتوسل غير قاصد للشرك	١٦٦	العبادات لغير الله شرك	
ولا معاند للاسلام		ومن الشرك ان يستغيث بغير الله	١٥٣
بناء القباب على القبور من علامات الكفر	١٦٧	او يدعو غيره	
وشعائره		قد وقع الشرك في هذه الامة كثيراً	١٥٥
تصور الشيطان بصورة الشيخ	١٦٨	بل زادوا على ما في الجاهلية .	
المستغاث به		ما حكم من يستنجد باهل القبور	١٥٦
خاطب الله للناس بان دينهم هو الذي	١٦٩	ما يقال ان هذا اقرب الى الله مني	١٥٧
خلق السموات الخ فـ و المتفرد		فيجيب الله دعاءه	
بالصرف والتدبير واستحقاق		لا يجوز النذر لغيره ولا المجاورين عند	١٥٨
العبادة		القبر ولا لخلق ما وأن سؤال الميت	
الشرك يفسد لروح كما يفسد السهم	١٧٠	والغائب ندياً او غيره من المحرمات	
للدقن البدن اذا اصاب في القلب		الواجب على العبد ان يتوجه الى	١٥٩
أو الدماغ		الله تعالى الذي محياه ومماته له	
ومن الناس من يسمون أنفسهم	١٧١	لا يجوز البناء على القبر ولا اسراج	١٦٠
موحدين وهم يفعلون ما يفعل جميع		المرج عليه	
المشركين ودعاء الاموات والغائبين		قد شاع الشرك في أهل البسيطة	١٦١
حال حافظ الاوراد الذي هو غافل	١٧٢	على أنواع شتى	
عن معناها		ومن اعظم اللبوى التوجه الى الموتى	١٦٢
ان الارواح المقدسة لها تأثير عند	١٧٣	الواسطة الى الله نوعان ما هو حق	١٦٣
الفلاسفة ومن هذا الباب دخل		وما هو باطل	
الشرك وعبادة الارواح			

الموضوع	الموضوع	الرقم	الرقم
الموضوع	الموضوع	الرقم	الرقم
في حكمة الانتقال من الغيبة الى الخطاب في أياك تعبد .	المقصود من زيارة القبور الدعاء للميت والاعتبار لا طلب المدد	١٨٥	١٧٤
تفسير قوله تعالى (واياك نستعين)	الذين يحجون الى القبور هم من جنس الذين يحجون الى الاوثان .	١٨٦	١٧٥
اصل اصول البر انما هو توحيد العبادة وبيان عقيدة المنجمين .	ان من كمال الايمان بالله والرسول الاهتمام بما أمروا به والفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان .	١٨٧	١٧٦
والمبتلون بمرض الشرك اصناف .	كل موضع تعظمه الناس غير المساجد ومشاهر الحج فانه مأوى للشياطين	١٨٨	١٧٧
حقيقة الشرك اعتقاد كون غيره تعالى متصفاً بصفة من الصفات الالهية ومنها انخذ الاحبار ارباباً وحكم منكرى الاشارة بالسبابة .	ومن المنكرات الاعياد المبتدعة والرغائب .	١٨٩	١٧٨
لا يجوز اعتقاد علم الغيب لمخلوق ما وحكاية البخارى الذى يقول ان الشيخ عبد القادر الجيلانى الغرث الاعظم .	انما يعين تركيب الادوية الطيب الحاذق .	١٩٠	١٧٩
التاحيل والتحریم عبارة عن تكوين نافذ في المملوكوت .	صور العبادات وهيئاتها تعبدية .	١٩١	١٨٠
أمثلة الحج لغير الله ولغير بيت الله تعالى .	الاستحباب في الافعال انما نثبت بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح .	١٩٢	١٨١
ان من زندقة المشركين قولهم ان الملائكة والارواح تدبر اهل الارض .	قصة زيد بن حارثة واستغاثته بالله ونجاته .	١٩٣	١٨٢
بيان الايات التى تدل على ان المعبود المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده .	الجسد آلة الروح في اكتساب الاشياء النافعة .	١٩٤	١٨٣
	وجه حصر العبادة لله تعالى وكذا الاستعانة .		

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
ان أصل دين الاسلام هو عبادة الله وحده .	٢١٠	انما يسأل الله تعالى بالاسماء الحسنى	١٩٠
كان عند الكعبة ثلثمائة وستون صنماً على صور من كانوا يعبدونه .	٢١١	او بجاء النبي ﷺ فبدعة والحاد	١٩٥
التوحيد نوعان . القولى الخبرى الملبى . والقصدى الارادى العملى	٢١٢	انما هو التوحيد والدعوة اليه	٢٠١
اصل عباد الاصنام محبة المصلحين والغلو فيهم .	٢١٣	ان اس الاساس هو توحيد العبادة واخلاص العمل لله .	٢٠٢
غلو اهل المصوير في اصحاب القبور واتخاذها حجاً ومنسكاً . وحال اكثر اهل التركستان .	٢١٤	فصل في وجوب توحيد العبادة	٢٠٣
حكاية اللورد الانكليزي في شأن الشيخ معين الدين الجشقى وتنصيفه كراء القطار في موسم حجه .	٢١٦	سبب استحقاق الله تعالى العبادة	٠٠
ان الله لا يقبل من العمل الا اخلصه . وأصوبه .	٢١٧	الشرك اخفى من ديبب النمل على صفاة سوداء .	٢٠٤
ومن جملة للعبادة فعل المأمور وترك المنهى .	٠٠٠	من الشرك ان يقول والله وحياتك يافلان . او ماشاء الله وشئت .	٢٠٦
المعنى الكلى الجامع في العبادة هو أن للعبادة كل عمل من أعمال القلب والجوارح يعده صاحبه قرابة لمن له سلطان غيبى فوق ادراك العقل	٢١٨	اصل منشأ الشرك للغلو في المصلحين	٢٠٨
ان حقائق الاشياء لا تتغير بتغيير الاسماء .	٢١٩	جهال المشركين الاولين اعرف من اكثر من يدعي العلم من الخلف . وان شرك الاولين اخف من شرك اهل زماننا من وجوه	٢٠٩
		شبهات الذين يعبدون الارواح واهل القبور ان الكفار الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون لا اله الا الله محمد رسول الله وهم يشهدون بذلك .	

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
لا يقال ان هذا مستحب أو مشروع الا بدليل شرعى . وكلام كبار الصوفية .	٢٣٠	التوحيد نوعان توحيد الربوبية وتوحيد الالهية .	٠٠٠
توحيد بعض الصوفية وخطأ العارف فى عقيدته وقوله .	٢٣١	اتباع هذه الامة سنن من قبلها فى اتخاذ الازداد وعبادة غير الله واهل القبور .	٢٢٠
التوحيد هو العدل . وأظلم الظلم الشرك .	٠٠٠	العبادة انواع كثيرة منها السجود والذبح والدعاء والندى . وقول صاحب البردة يا أكرم الخلق الخ .	٢٢١
المشركون انما قصدوا تعظيم الرب تعالى فقاموا الله على خلقه .	٢٣٢	ليس المراد من لا اله الا الله مجرد القول بل لابد من اعتقاد معناه والعمل بمقتضاه .	٢٢٣
لم يشرع الله تعالى التقرب اليه بالشفعاء والوسائط . وللشرك انواع شرك التعطيل وشرك الالهية . .	٠٠٠	أجهل الناس من يحتج على الشرك بعمل الناس وكثرتهم . وانما أفسد عقيدة الناس العلماء الدجالون .	٢٢٤
الشركى العبيدة وأنواعه . واحكام اهل الرياء .	٢٣٣	علامة من تحقق فى قلبه لا اله الا الله	٢٢٥
ان من خصائص الالهية التفرد بملك الضر والنفع والمطاء والمنع ماقاله الشيخ احمد السرهندى فى هذه المسألة .	٢٣٤	يطلق الاله على الهوى . المنبع . الحب فى الله والبغض فى الله .	٢٢٦
السعادة والنجاة مربوطة باتباع النبي ﷺ قلباً وقالباً	٢٣٥	ان محبة الله مستلزمة لمحبة الرسول ومتابعته .	٢٢٨
ان تعظيم مراسم الشرك والكفر شرك . وحكم بي بي سيشنبه . بيان غلطات الصوفية عموماً . والشيخ احمد السرهندى بخصوصاً .	٢٣٦	العبادات الشرعية هى الدبيل الموصل الى الله تعالى ورضوانه .	٢٢٩
	٢٤٠	حكم الذكر بالاسم المفرد . الله الله أو هو هو .	٠٠٠

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
ضرر التقليد وحال المقلدين والمقلدين	٢٤٩	من الشرك أخذ الحكم عن غير	٢٤١
منع التقليد ومنع الائمة عن الاخذ بقولهم بلا دليل .	٢٥٠	الادلة الشرعية . واتخاذ البعض اربابا من دون الله .	
من جملة الشرك التولات والتناجيس	٢٥٢	اتخاذ الشفعاء من الشرك . وبيان الاقناد .	٢٤٢
مخالطة المشركين محظور رهوب الشر .	٢٥٣	لا بد في الحرب من العدد والمدة	٢٤٣
الله قريب من عباده فلا حاجة الى الوسائط .	٢٥٤	ولا يجوز الاعتماد على الاولياء والارواح . واعتماد جملة اهل بخارى على نقشبند	
السلطان النبي لا يكون الا الله تعالى وحده .	٢٥٥	من جملة الاقناد من يتبع له في الدين من غير بيان . وحكم تارك الاشارة بالسبابة في تشهد الصلاة .	٢٤٤
المقصود من الدين تصفية الارواح وتخليص العقول عن الشوائب للفاسدة الشركية .	٢٥٦	يجب النظر فيما حسنه الشرع وقبحه فيلزم العمل بالحسن والاحترار عن القبيح .	٢٤٥
ما جرى على الرسول ﷺ في احد .	٢٥٨	سبب جهل المسلمين هو التصوف واهله الجاهلون .	٢٤٦
وحكم من يستغيث ويستنجد بالاموات .		من اقبح القبائح قول جملة الصوفية ان الشريعة غير الحقيقة وحال صوفية الزمان .	
بيان التعطيل والشرك لدى بين في القرآن .	٢٥٩	ضرر ترك الاهتداء بالكتاب والسنة واستبدال اقوال الناس بهما . وضرر التذهب بذهب بخلص .	٢٤٨
يجب الايمان بان العبادة حق الله تعالى على عباده .	٢٦٠		
معنى الجبت والطاغوت :	٢٦١		
الشرك غاية فساد الارواح لادواء الا الاقلاع .	٢٦٢		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
لا يجوز اطلاق الحرام الا على ما علم تحريمه قطعا وبيان خطاه كثير من المؤلفين في هذا الباب .	٠٠٠	من الناس من يسمى نفسه مسلما وهو يفعل فعل جميع المشركين .	٠٠٠
حكم الايراد والاحزاب البدعية كدلائل الخيرات مثلا	٢٧٧	الدعاء هو العبادة ومعني الحصريه والعبادات الرسمية تعليمية تكليفية ودعاء عباد القبور	٢٦٣
لا يعلم ما يرضى الله الا بواسطة رسوله فالاستحسانات العقلية في العبادات ضلالة واشراك بالله :	٢٧٨	الرهبانية في النصرانية وكذا في الاسلام بدعة .	٢٦٦
حكم البدعة في الدين والبدعة في الامور الدنيوية .	٢٧٩	كيف حرفت اليهود التوراة . وكيف غير المسلمون التوحيد .	٢٦٧
حكم الزيادة في الدين . وما ينشأ من الايراد البدعية من المفسد .	٢٨٠	حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه في اتخاذ الارباب .	٢٦٨
سبب عناية العوام بالايراد البدعية وضررها على الاسلام	٢٨١	كما كفر الله اليهود باطاعتهم الاحبار فليكفر للفسق باطاعة الشيطان والجواب عنه .	٢٧٠
تهمة المبتدعين على المتمسكين بالسنة وضرر كتب التصوف واهله زيادة على ما في كتب الفلاسفة .	٢٨٣	قد بالغ الجهال في تعظيم شيوخهم وحال المقلد وحكاية الرازي عن والده والامام البغوى .	٠٠٠
البحث عن الخطرات والوصاوس من البدع	٢٨٤	طاعة المتعصب لمن يقتدى بقوله هو كاتخاذ اربابا من دون الله	٢٧٢
بيان القائلين بوحدة الوجود . ونقضهم الدين	٠٠٠	من استلم القبر او طاف به فقد اتخذه الهـا .	٢٧٤
الترغيب الى مطالعة كتاب مدارج السالكين والعلماء والمشائخ هم الذين افسدوا الدنيا والدين	٢٨٥	ان شارع الدين هو الله تعالى وانما محمد <small>صلى الله عليه وسلم</small> مبلغ عنه لا غير	٢٧٥

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
نتائج الفاتحة ونجربة المصنف لها حينما حبس	٢٩٦	دعوت المسلمين الى فهم القرآن والسنة والاكتفاء بهما . وتميز الامة بالثروة والقوة .	٢٨٦
اشتمال الفاتحة على الرد على جميع المبطلين والمبتدعين .	٢٩٧	تكملة في بيان خلاصة مذكره ابن القيم في مدارج السالكين واشتمال الفاتحة على انواع التوحيد	٢٨٧
المنتبزون للخالق تعالى امام واحد واما مشرك .	٢٩٨	صراط الحق واحد وسبل الضلال كثيرة ومن استقام على هذا الصراط في الدنيا ثبت قدمه على صراط الآخرة ومرسالماء ودخل الجنة	٢٨٨
الناس ثلاثة أقسام . منعم عليهم ومغضوب عليهم وضالون . وصفة أصحاب الرسول ﷺ . ومما في هذه الامة . .	٢٩٩	سالك الصراط المستقيم قليل والناكبون عنه كثير .	٢٨٩
سر الامر والخلق والكتب والشرائع انما هي اياك نعبد واياك نستعين وحقيقة الاستعانة .	٣٠٠	مثال لاسد الشيطان عن الصراط المستقيم . فمن التفت اليه هلك . وقوائد دعاء القنوت	٢٩٠
الناس في العبادة والاستعانة اربعة أقسام .	٣٠١	وسيليتان لا يرد معهما دعاء . والاسم الاعظم .	٢٩١
ليس كل ما أجاب الله الدعاء من كرامة الداعي على الله .	٣٠٢	الفاتحة مشتملة على شفاء القلوب وشفاء الابدان	٢٩٢
حقيقة التحلى باياك نعبد انما تحصل بمناجاة الرسول ﷺ والاخلاص للمعبود .	٣٠٣	من طلب الغاية بلا وسيلة موصلة لم يصل اليها	٢٩٣
ان الله تعالى لا يقبل الا الصواب اخلاص . وبيانه . والناس في هذا اربع درجات .	٣٠٤	دواء أمراض القلب . ودواء الرياء والكبر .	٢٩٤
		الرقية بالفاتحة . وشهادة قواعد الطب لها .	٢٩٥

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
للهداية معنيان . للتوفيق والايصال والارادة والبيان	٣١٨	ان الكفر الاكبر خمبة اقسام . وساته . كفر تكذيب وكفر آباء .	٣٠٥
الصراط المستقيم هو الطريق الوسط وبيانه .	٣١٩	وكفر اعراض وكفر شرك وكفر نفاق الشرك نوعان اكبر واصغر . وحال	٣٠٧
حاصل في ما قيل في تفسير الصراط المستقيم .	٣٢٠	من يعظم القبور والانداد . من جهل المشرك اعتماده على غير الله	٣٠٩
فان قيل كيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت وهو متصف بذلك اليس تحصيلا للحاصل . والجواب عنه	٣٢٢	واتخاذها وليا وشفيعا . يعامل المشرك عكس ما يرجو من	٣١٠
بيان انواع الهدايات على ما فسره البيضاوي .	٣٢٣	الآمال . والشفاعة لا تنال الا الموحد الخاص لا المشرك	
هداية الله تعالى للانسان على اربعة أوجه على ما فسره الراغب الاصفهاني	٣٢٤	انما تنقض عري الاسلام اذا دخل في الاسلام من لا يعرف الجاهلية	٣١١
ان الله انما يهدي من طلب الهداية ولا يهدي القوم الظالمين	٣٢٦	اما الشرك الاصغر فكثير كالوليا . والخلف بغير الله وطلب الحاجة من	٣١٢
كن طالباً للاستقامة لاطالباً للكرامة وليس الى الله طريق الا من طريق الرسول ﷺ	٣٢٧	الموتى والاستعانة بهم . اما النفاق فالداء العضال ويخفى على	٣١٣
الصراط المستقيم هو الحق وهو الوسط والقصد	٣٢٨	كثير ممن تلبس به وما أصاب المسلمين بلية الامنهم او بواسطتهم	٣١٤
للصراط المستقيم صفتان إيجابية وسلبية . وحكم من يعتقد ان الارواح متصرفة . ومن يتسدد في الدين .	٣٢٩	تفسير قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾	
		انواع الهدايات الاربع . اعلاها هداية الدين .	٣١٥
		اشارة القرآن الى انواع الهدايات وهدياه الناجدين	٣١٧

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
من صفات المهتدين الايمان بجميع الانبياء واحترامهم وكذا اكرام ورتبتهم من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين وليس منهم من يتمصب لواحد . يمادي الباقين ومن صفات المهتدين الدعوة الى التوحيد والامر بالمعروف .	٣٤٣	أهل الدنيا فريقان من لا يعبد الا الله ومن يشرك به وما بينه الحكما في التوسط والاقتصاد	٣٣٠
ومن صفاتهم التشبث بالآيات الدفاع لاعلاء كلمة الله .	٣٤٥	أهل العالم مختلفون في النفي والاثبات في جميع المسائل . ولم يصل الى الحق الا القليل بهداية الله	٣٣١
ومن صفاتهم تدبر آيات الله والجهاد في سبيل الله اللسان والسنان والقلم أهل لهداية لا يتحاسدون ولا يتكابرون .	٣٤٧	ان من أسباب الزيف التشدد في الدين	٣٣٢
تفسير قوله تعالى ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ والضالون أقسام ومنهم المبتدعون .	٣٤٩	من أين دخلت خزاقات الصوفية في الاسلام .	٣٣٣
ومن جملة الضلال جعل المداهب أصلا والنص يحمل عليها .	٣٥٠	من تمسك بكتاب الله فهو قد ملك الصراط المستقيم .	٣٣٤
الحيلة لاسقاط الزكاة من الضلال وظهور اثرها في الامة ووقوع الامة في الشقاء كاهل التركستان والصين	٣٥١	فائدة الامثال والوقائع وعلم التاريخ	٣٣٥
بيان القرآآت في غير المغضوب عليهم	٣٥٢	دين جميع الرسل واحد واتما	٣٣٦
المغضوب عليهم - أهل البدعة والضاكين عن السنة .	٣٥٣	الاختلاف في الفروع وصفة ورتبتهم	٣٣٧
		أعظم أسباب شرح لصدر التوحيد وعلامة ذلك .	٣٣٨
		اذا كان أهل للضلال صاحب دولة دنيوية هل يعد من المنعم عليهم وبيان المنعم عليهم حقيقه . وهم الانبياء .	٣٣٩
		فصل في صفات المهتدين وعلاماتهم	٣٤١
		المبتدعون ليسوا من المهتدين وان كانوا أهل طرق ، عبادات وار التفت حولهم المر يدون .	٣٤٢

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
ومن صفه أهل الضلال تقليد الآباء والامادات الجاهلية واهلم ان في للتقليد أبطال منفعة العقل .	٣٦٣	اضلال الشيطان الناس في ترك القرآن والسنة وان علم القرآن والسنة خاص بالمجتهد المطلق وذلك قد انقطع	٣٥٤
ومن أوصاف الضالين الانهالك في البدع والمحدثات في الامور الدينية والمولد .	٣٦٤	من صفة أهل الغضب انهم لا يقبلون الحق الا من طائفهم التي هم منتسبون اليها . والرهبانية .	٣٥٥
الخبر كل الخير في إتباع السلف المصالحين و بيانهم .	٣٦٥	من صفة الضالين انهم يعبدون باصوات مطربة وتلحين الاصوات	٣٥٦
بيان أحاديث في تمييز أهل الحق من أهل الضلال	٣٦٦	من الضالين المنافقون الذين يدعون الاسلام كلقادياتي وموسى بيكي الروسي .	٣٥٧
في العلماء الدجالين والمبتدعين .	٣٦٧	ومن علاماتهم التفرق في الدين والاشراك بصفات الله . وحكم عباد القمور	٣٥٨
فضيلة إحياء السنة والعمل بها واقتراق أهل الاسلام الى ثلاث وسبعين فرقة . و بيان أهل السنة ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الاتو والجدل والمعصب .	٣٦٨	ومن صفاتهم القول في الدين والاحكام بالتخمين . كالذين يقولون بحرمة الاشارة في تشهد الصلاة .	٣٥٩
من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام .	٣٦٩	قال ابن تيمية المبتدعون هم الضالون والبدعة احب الى ابليس من المعصية .	٣٦٠
يأتي زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه صوفية آخر الزمان . ومجيء الشر بعد الخير والدعاة الى جهنم .	٣٧٠	بيان مذهب الاتحاديين الضالين وتخصيص مكان أو زمان يعبد أو فضيلة فيما لم يرد فيه الشرع . وأمثلة ذلك .	٣٦١
ان بين يدي الساعة كذابين . والقبوريين . وان المبتدع يطرد عن الكون .	٣٧١		
	٣٧٢		

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
واضع البدعة يرسم انه يتقرب بها الى الله تعالى	٣٨١	المبتدعون بحسنون للقبيل ويسيثون الفعل وسياهم التحليق .	٣٧٣
أهل البدع هم أهل الاهواء	٣٨١	ان الدين قد كمل . وحدوث البدع والاهواء وعلامة المبتدعين رأهل الضلالة .	٣٧٤
وضع الحجرة والشعلة الضئيلة النور على باب الحكمة	٣٨٢	اتخاذ المولد عيداً وقيام نصف شعبان . واحتجاج المبتدع على بدعته وانبدعة خروج عن الدين .	٣٧٥
أهل البدع والضلال لهم خواص وعلامات ومنها الفرقة شيباء	٣٨٣	ان المبتدع يزعم ان محمداً ﷺ كان الرسالة وان المبتدع آلفه الشيطان العبادة والبكاء	٣٧٦
ومن خواص أهل البدع والضلالات اتباع متشابهات النصوص ، والميل عن الحق	٣٨٤	المبتدع يخشى عليه الفتنة ، وقصته الاحرام من مسجد الرسول ، وبدعية الذكراً جهراً بصوت واحد	٣٧٧
صرتكب الكبيرة ارجي حالاً من المبتدع ؛	٣٨٥	البدعة ضلالة ، المبتدع ضال ومضل ومن صفاتهم الاختلاف والتفرق ومنهم متصوفوا العصر	٣٧٨
بيان المدعة الدينية والبدعة للمادية	٠٠٠	حکم الذکر بالنغمة ورفع الاصوات كحمر نهقت جماء ، وقول الرسول ﷺ اربعوا على أنفسكم	٣٧٩
ومن البدع الباطلة الاستئجار لتلاوة القرآن	٣٨٦	من علامة المبتدع انها كما في النواقل وان الالهام ليس بحجة شرعية لا اعتبار للخوارق اذا لم يكن من تصدر عنه صالحاً ؛	٣٨٧
من علامة المبتدع انها كما في النواقل وان الالهام ليس بحجة شرعية	٠٠٠	الخاتمة في آمين ومعناها وحكمه	٣٨٨
لا اعتبار للخوارق اذا لم يكن من تصدر عنه صالحاً ؛	٣٨٧	مناجاة المؤلف في خاتمة أمره	٣٩٠
الخاتمة في آمين ومعناها وحكمه	٣٨٨	خاتمة الكتاب وان لهذا التفسير مقدمة	٣٩٢
مناجاة المؤلف في خاتمة أمره	٣٩٠	قربة وطاعة ؛ وحكم ختم خواجبة ودلائل الخيرات وقصيدة للبردة	٣٨٠
خاتمة الكتاب وان لهذا التفسير مقدمة	٣٩٢		
قربة وطاعة ؛ وحكم ختم خواجبة ودلائل الخيرات وقصيدة للبردة	٣٩٤		

بيان الخطأ والصواب

الواقع في طبعة (اوضح البرهان)

صواب	خطأ	٤	٥	صواب	خطأ	٧	٨
الاثمة	اثمة	١٤	٥١	أدران	ادراك	٧	٤
يؤخذ بقولهم	يؤخذ لهم	٩	٦٢	غرامافون	غرمامون	١٩	٥
الصائبين	الصائبين	١	٦٤	تعالى عنه	تعالى	١٧	٨
كحال	كحال	١	٦٥	تعالى	تعال	١٦	٩
الغضب	الغضب	١١	٦٦	أنا	ان	١٤	١٢
فخنة	فخنة	١٩	٦٩	ارزقنا	ارزقنا	٢	١٥
قد	قد	١	٧١	الحلية	الحيلة	١٧	١٠
صاداتهم	صاداتهم	١	٧٢	الخوارجة	الخوارجة	٣	١٦
رسول	رسوله	١٤	٧٧	اثيان	اثبات	٧	١٧
الرهاوي	الزهاوي	١٧	٠٠	انا نكون	ان نكون	١٠	٢٣
نفتتح	يفتتح	٩	٧٨	والقدر	والقدرة	٨	٢٥
لم تتركون	أتتركون	١٦	٨٧	غيرها	غيرها	١٠	٢٧
حق حمد	من حمد	٢	٩٣	ألا يظنون	لا يظنون	١	٣١
المرجان	الرجان	١٠	٠٠	الخلق	الحق	٧	٠٠
ابراهيم	ابراهيم	٢	٩٥	البليات	البلياب	١٧	٠٠
قلت أنا	قلت	١١	٩٦	وبالجملة انهم	بالجملة وانهم	٢٠	٠٠
تجذب	تجذب	٢	١٠٢	الغرور	الغرور	١٢	٣٥
بيمينه	بيمينه	١٠	١٠٦	كتابه جلاء الافهام	كتابه	٠٠	٣٣
الاسقام	الاقسام	٤	١٠٨	الاتصاف	الاتصاف	٢٠	٣٦
دوراً	دور	١١	١١٣	يمنع	يمنع	٢٠	٣٨

صواب	خطأ	رقم	صواب	خطأ	رقم
تيمية	تيمية	١٩١٧٧	ادراك	ادرك	٧١١٧
تعالى	عالى	١٠١٧٨	والاستدلال	الاستدلال	٢٠١١٨
الاحوال	الاحول	٩١٧٩	الاله	الا الله	٤١٢٨
دراؤه	دواءه	٤١٨٠	كونوا	كونو	٩٠٠٠
وعبادته	وعبادة	٥٠٠٠	ان امر	ان امر	١٠١٢٨
تيمية	تيمية	٦١٨١	نعبدكم	عبدكم	١١١٢٩
مفاسدها	مفاسده	١٣٠٠٠	وفي	من	٥١٣٣
واكثر	واكثر	٤١٨٤	أتقون	أتقون	٦١٣٤
وتستعد	ويستعد	٦١٨٢	اتواط كما لهم ذات اتواط واخشوني ان كنتم مؤمنين	اتواط	١١١٣٥
مضمومة	مضمودة	٧١٨٧	انبيائهم	انبيائهم	١٨١٤٣
كسجدة	سجدة	٩١٨٨	بعمق	بعمق	٣١٤٧
المخلوق	المخلوق	٥١٩٠	بمنزلة	بمنزله	١٤١٤٨
الحج	الحج	٤١٩١	تعالى	ولى	١٨١٤٩
طائفة	طائف	١٤٠٠٠	لثلاثة	الثلاثة	١٠١٥٢
دادعا	وادعا	١٥٠٠٠	وقع	وقع	٦١٥٥
المسلمين	لمسلمين	١٧٠٠٠	وكله نذر	وكل له نذر	٩١٥٨
وفي حجة الله البالغة	وفي الحجة البالغة	١٨٠٠٠	بينات	بينات	٢١٦٠
اعبدوا	اعبدو	١١١٩٢	والكفر بما	والكفر وبما	١١٦٢
يرحمك	يرحمك	١٦١٩٣	يا يرم	يا يرم	١٣١٦٤
يشعرون	اشعرون	١٠١٩٦	والرخاء	والرجاء	٥١٦٥
انه	نه	٢٩١٩٨	وجميع	وجميع	٧٠٠٠
منكم	منك	٢٠٢٠٠	عليه	عينه	١١٧٣
يعيت	يعيت	١٦٢٠٦	للائبياء والموتى	وللائبياء الموتى	٢٠١٧٦

To: www.al-mostafa.com